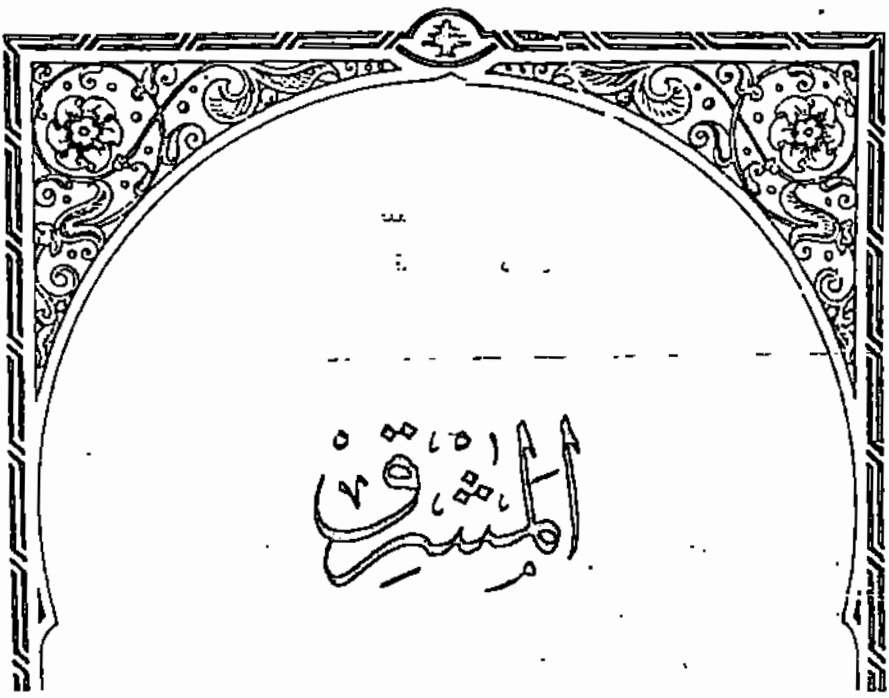

السنة الثامنة والاربعون — تموز – آب – ايلول – ت ١ ١٩٥٤

الآثارُ المطوّيّة (تابع)

جمعها وعلق عليها ونشرها الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في النزل »[1]

ان للشيخ ناصيف اليازجي ثلاث قصائد غزلية في هذا المخطوط الذي نحن بصدده عدا ميميته الفريدة في بابها، وما لا ريب فيه انهُ نظمها في عهد شبابه ، يوم كان الشعر من طلّابه ، ولا نظنُّ ان شاعرًا مهما كان مقامهُ وحالهُ ، يخلو شعره من غَزَلٍ او نسيب . ويظهر ان الشيخ بعد نظمه هذه القصيدة الغزليّة الاولى ضرب عنها صفحاً بعد ان استعار ما استطابهُ من ابياتها ، وبدل بعض كلماتها ، وصدّر بها قصيدتهُ الجوابيّة للسيد عبدالله مصيب من بغداد[2] . واننا ننشرها على هذه الصفحات كما هي مسطّرة في المخطوط ، لا رغبةً في الغَزَل او التشبيب والنسيب ،

١) المخطوط ص ٤٥٤ .

٢) راجع هذه القصيدة الجوابيّة في مجموعة ديوانهِ المثلّث ، صفحة ٥٩ ، « نفحة الريحان » المطبوع بالمطبعة الشرقية ، الحدث – لبنان ، سنة ١٩٠٤ ، بنفقة ميخائيل ابرهيم رحمه .

بل لانها اثرٌ مطويٌ ، من آثار الشيخ ناصيف اليازجيّ ، مواصلين نشر ما احتجب من آثار قلمه الشائقة .

شوقٌ يهيجُ وقلبٌ طالما خفقا ... لهفٌ في الدجى علّمتها الأرقا
ومهجةٌ وهي نارٌ في المحبّة قد ... ذبت على شمعةٍ ، فاعجبْ لما انفقا
يا من بخدّيه نارٌ من عجائبها ... اذا تباعد عنها قلبيَ احترقا
أشبهتُ لاماً ومن عطفيكَ لي ألفٌ ... أم ترى ألفاً باللام مستتقا
مَن منصفي يا لقومي في المحبة من ... ظبيٍ انا عبدهُ وهو الذي أبقا
كأنما حدّثوه أنّ منطقهُ ... درٌّ فغار عليه كلّما نطقا
سرقتُ من وجهه فاقتصّ من كبدي ... لحظاً بلحظٍ وهذا شأنُ من سرقا
وعاهدَ الطرفَ سرّاقاً فحاذرَهُ ... فظلّ ينظرُ في أعطافهِ قرَقا
مهفهفُ القدّ لدنُ العطف منتدلٌ ... كالغصن قد حمّل الديباج لا الورقا
خصرٌ تصوّب من نهدٍ الى كفلٍ ... من قال بينهما وادي النقا صدقا
خطّت يدُ الحسن في مصقول جبهتهِ ... سطرًا ملخّصهُ سبحان من خلقا
وقال خطّ عذاريّه أجذروا فانا ... قد خطّني سحرُ تينِ المقلتينِ رُقى
لم انس يوم المصلى وهوَ مقتدرًا ... قد سرّ بي حيث لات الحين حين لقا
بكيتُ فازورّ محمرًّا ولا عجبٌ ... فهكذا البدر فوق البحر منطلقا
دعوتهُ بلسان لو دعوتُ بهِ ... بعض الحجارة من اذلالهِ شفقا
قال عجبًا-وقال أصبر ، فقلتُ نعمْ ... عدّ لي بقلبي قلبٌ به التحقا
وكيف اصبرُ عمّن لو عرضتُ بهِ ... يومًا على الصبر قال الصبرُ واقلقا
نرجو الليالي والايامُ تمدنا ... صبرًا وانت جمتَ الصبح والغسقا
حقٌّ عليك دلالٌ انت طارقهُ ... والوجدُ حقٌّ على قلبي الذي طرقا
لو نال حسنك بدرُ الافق دلّ ولو ... رآكَ رضوانُ من فردوسه عشقا
قيل العفاف ولو نفسي نطاوعني ... على فؤادٍ عفيفٍ قطّ ما علقا
اني حضرتُ وما عيني بلا بصرٍ ... ولا فؤادي جمادًا يثلبُ الحدقا
قد كنتُ ابكي دموعًا من صدودك لي ... حتى نأيت فصارت ادمعي علقا
وليس وجهك الا الشمس قد أفلتْ ... عن مقلتيَّ فأبقتْ فيهما شفقا

« وقال »[1] :

لمن طللٌ بذي سلمٍ محيلُ ... عفت آثارهُ الريحُ النبولُ

---

١) المخطوط ص ٤٥٥

وقفتُ وناقتي في جانبيه ... غداةَ البين فاجتمع طلولُ
أُساءلهُ وليس لهُ لسانٌ ... فيخبرني وأفهمُ ما يقولُ
اذا اعترك الحوادث ذو فؤادٍ ... فأخفى ما يلوح لهُ دليلُ
بكت عيني وقد أنستْ ولذّتْ ... به فدموعها عبثًا تسيلُ
ومن عشق العيون يلذُّ منها ... بآثارٍ اذا امتنع الوصولُ

٥

ألا يا في ذمام الله ركبٌ ... لهم ولمهجتي كان الرحيلُ
فتلك رفيقهم يرعى ولكن ... أضاعوها وفاتهمُ الجميلُ
وبين الركب ناعمةٌ فتاةٌ ... تؤرقها القراطقُ والحجولُ
يظلُّ الردفُ يُقعد مطيتيها ... فذلك عندها السببُ الثقيلُ
ألوفٌ طالما ألفتْ فبرّت ... وذلك في الكواعب مستحيلُ
اذا ذكرت معاهدها استهامت ... فحنّت مثلما حنَّ الفصيلُ
لقد حملتْ جبالًا من دمانا ... فواعجبًا تُساقُ بها الحمولُ
وكيف استودعت حرّان قلبي ... ولم تُحرق به فهيَ الخليلُ
اقولُ لحصرها لما تثنّى ... أتمشيها فما هذا النحولُ
فقال لقد عشقتُ نعم ولكن ... عذابًا بين عشّاقي يطولُ
فرحتُ وقد علمتُ بان فردًا ... عليه جماعةٌ لهوَ القتيلُ
وقلتُ لنفسيَ اصطبري فخصمي ... جميلٌ حقُّهُ الصبرُ الجميلُ

٥

ألا حمل في سبيل الله طيفٌ ... فليس اليكِ يا سلمى وصولُ
ومن طلب الكثيرَ فلم يجده ... تمنى ان يكون لهُ القليلُ
هنيئًا للمُذيبِ وانت فيه ... فقد صار المُذيبُ كما يخيلُ
وطوبى للنسيم وانت منهُ ... بمتنٍ فكيف هو العليلُ
ترى هل يمكنُ لنا رسولًا ... اليكِ فيبلغ الحيَّ الرسولُ
وما بيني الرسول ودون سلمى ... جبالٌ تشتكي منها السهولُ
بزعمي ان ثوب الرسلُ عنّا ... وعن خلواتنا زيدٌ يقولُ
ولكن اذ دعونا ذاك حالًا ... علينا ان يكون لهُ حؤولُ

«ثمَّ وقال من ابيات»[1] :

يا تُرى ما الذي لقلبيَ شاقا ... والذي نبَّه الهوى فاستفاقا

١) المخطوط ص ٤٥٦

كان لا يعرفُ الهوى ابن قلبي ... مَن تُرى دلَّهُ عليهِ وساقَ
ظلمتني عيناكَ وقفَ او عينا ... يَ أ راحتني الأحداقا
فانا في الهوى حديدٌ ولكني م محول الهوى سبقتُ المذاقا
كان لي قبلما عرفتُكِ قلبٌ ... فكتنا على يديكِ الطلاقا
تعلمين الطلاق وما ندرين م ماذا الذي جعلنا الصداقا
لا ارى بين حانيَّ فسيحاً ... واراكِ اتخذتِ صدري رواقا

انا في الحبِّ قاصرٌ لستُ ادري ... قبلكِ العشقَ لا ولا العشّاقا
علّمتني الهوى عيونك والبُعدُ م لقلبي يُعلّمُ الأشواقا
علّميني ماذا اقولُ اذا نحنُ م افترقنا وكيف اشكو الفراقا
وأصحبيني ولو ببعض كلامٍ ... منكِ زاداً يُذكرُ الميثاقا
وأعذريني اذا رأيت دموعي ... فوق خدّي يبتدرنَ سباقا
ليس من شيمتي البكاء ولكنَّ م الليالي تُغيرُ الأخلاقا
نلتُ ما لا يُنال من فرط حُبيكِ م ولاقيتُ منهُ ما لا يُلاقى
لو تعمّدتُ ان أُحبَّكِ ايضاً ... فوق هذا عجزت أن أتراقى
كان لي من أحبّهُ فاذا بي ... كنت في حُبِّ كلّهم مذّاقا
لم يدع رفقةٌ هواكِ ولا اعجبُ م منهُ فقد اهنت الرفاقا
لا ارى من يُحبُّ غيرك لا ذاتاً م ولا خلقةً ولا اخلاقا

قامةٌ تفتحُ الغصونَ وعينٌ ... مَن رآها يُبيحُ الخلاقا
يضحكُ الكحلُ بين أعداها السو ... دِ على نفسهِ فيجري اندلاقا
وحديثٌ لو كان خمراً تناطا ... ها ندامى اللاتِ قبلاً أفاقا
وجمالٌ لو نالهُ قمرُ الافقِ م لما نال في السُرار[1] لحاقا

اغتباكَ غيبةً وحضوراً ... ويذوبُ الحشى اليكَ اشتياقا
يجذبُ الشوقُ بي اليكَ ويُثني م عنكَ الحياءُ طاقاً فطاقا
لا أُريدُ الحنى ولكني اكذبُ م ان قلتُ لا اريدُ العناقا
لستُ ادري وربّما سوف ادري ... كيف هذا الهوى أتاني استراقا
علقتني صبابةً علقتكَ الامس م واليومَ والغداةَ اعتلاقا
ليس خيرٌ فيها ولا بدَّ منها ... والهوى يأخذُ الفتى استرقاقا

1) السُرار : آخر ليلة من الشهر (حاشية في الاصل) .

سرقت عينك الرقاد ونامت م سامح الله طرفك السراقا

لبست ثوب راهب واستباحت دمنا فانظري الدما والنفاقا
لا تبالي لملمها بسواد الوجه م اذ قد تعودته خلاقا
ليس بدعٌ في ظلمها وهي الظلماء م والوصفُ قد يجيء اشتقاقا
غير اني استغفرُ الله لا تخلو م جفوني من الكرى اطلاقا
إنَّ فيها فلانةً وهي قد نا متُ بها ملءَ جسمها استغراقا
لا أُسمّيك غيرةً يا ابنة الكرام م وخوفًا من وبيةٍ ان تُلاقا
صرتُ من فرط ما أهابك هيًّا با وقلبي تعوَّد الاخفاقا

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في القس انطون الحلبي[1] »

جهدُ الليالي ان أكون كما ترى قدمًا مفسّرةً وربعًا أقفرا
ولعلَّها نظرتْ اليَّ فأبصرت رجلًا يعافُ طباعها متكبّرا
مارستُها فعرفتُ بعض صفاتها وعرفتُ من نظر الاقلّ الاكثرا
وعرفتُ من ابنائها ما ساءني فررتُ حين عرفتُهُ متحذّرًا
لا اشتكي عبث الزمان لانني قدمًا شكوتُ فما حمدتُ المصدرا
وصبرتُ حتى ملَّ ضيري همَّتي مددًا وقال الصبرُ ليتك تضجرا

ولقد وقفتُ على المنازل وُقفةً والنجمُ يوشكُ ان يميلَ الى الكرى
قالت سهرت ولو رددتُ جوابها لكتبتُ فيها من دموعي أسطرا
فلاشكرنّك يا ديارُ الى الفلا ولاشكوتّك يا ظلامُ الى السُرى
ولأحسنَنَّ على القوافي معرضًا حتى اودّع شيخهنَّ الاكبرا
انا شاعرٌ في الجاهليّة نفسهُ عند التقريض وان يكن متأخّرا
قد كنتُ اطمعُ أن أبلَّ جوانحي لمّا رأيتُ الشمر يُقسمُ أبحرا
وطمعتُ ان تجني يدي من بحره درًّا فوافاه العظيم ولا الدرا[2]
هيهات ما عمرتْ لديك يمونهُ ورجوتُ بيتك بعدها ان يُعمرا
قد كان راعي النوق ينشدُ نوقهُ شعرًا فصاروا ينشدون المنذرا
يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما واذا بدا وجهٌ لعذري فاعذرا
لا تحسباني قلتُ ما قد قلتهُ ملَلًا ولكن خفتُ أنْ تتقطّرا

---

١) المخطوط ص ٤٦٣
٢) الدُرا : هي الدُرر والالف للاطلاق ، ويسمّى عند البديعيين اكتفاء .

يا ليتَ شعري هل اقولُ قصيدةً ... لا تنفدُ الشكوى عليها خنصرا
تيمُ الزمانِ كما صحبتكما اذا ... فان السلامُ عليكما فتحذَّرا
والمرء في الدنيا بثروتهِ ولا ... عجبٌ فان الناس أبناء الثرى
أخطا بنسته التراث وربّما ... أغنى ولكن لو أصاب لأفقرا

ولقد صحبتُ من الافاضل سيّدًا ... كالمِسكِ ماء والصفيحةِ جوهرا
ساءلتُ عن اخباره فسمتُها ... متعجبًا حتى رأيتُ المخبرا
صدقتْ به عيني لديَّ وطالما ... قد كنتُ قبلًا لا أُصدّقُ منظرا
وسمتُها حتى سمعتُ حديثهُ ... فرأيتُ كلَّ الصيدِ في جوف الفرا[1]
يا ألطف النسمات روحًا لا ترد ... طربًا عليَّ من الحديث فأسكرا
وأعدْ حديثك حين تسكنُ طربتي ... اني لأستحلي الشراب مكرَّرا
واحذرْ فؤادي ان تُميلك نارهُ ... فلقد حللتَ به حلولًا مضمرا
لو لم يكن في القلب نارٌ لم تكن ... يا جنّتي في صفحتيهِ مصوَّرا
قالوا هويتَ وكنتَ تعتزلُ الهوى ... فأجبتُهم لا تسألوا عمَّا جرى
ان المقدَّر كائنٌ لا يُتّقى ... ولسكَ الامانُ من الذي قد قدّرا
اني رأيتُ من الشمائل مرّةً ... ما لو يمرُّ على الجماد لكبَّرا
وشربتُ منها شربًا لو ذاقهُ ... جبلُ الكُرُنتِم لبات يحلول السُرى
وأنستُ أفضل هيكل في طيه ... ذاتٌ ارقُّ من النسيم اذا سرى
خضريّةٌ شاميّةٌ حلبيّةٌ ... لو شامها ماء السماء تخضَّرا[2]
نفسٌ تُوقّد غيرةً في جسمها ... رغمًا لقومٍ يوقدون المنبرا
أنسيّةٌ قدسيّةٌ ملكيّةٌ ... فلكيّةٌ في الارض ما بين الورى
لا تعرفُ الحضراء[3] بين صفاتها ... وتُميدُ مثل قضيب موسى اخضرا
تذكو أشعّتُها ويصفو ثوجها ... فتكاد تحت حجابها ان تظهرا
إياك اعني لا سواك بمنطقي ... ولربَّ مذكورٍ ولو لم يُذكرا

ولقد سهرتُ على مديحك ليلةً ... ما كان أطولها عليَّ وأقصرا
أعربتُ بالتمييز حالك ظاهرًا ... وعرفتُ فعلك اذ عرفتُ المصدرا

---

١) حمار الوحش (في الاصل) .
٢) ماء السماء : اسم ملوك العرب (في الاصل) .
٣) اي لا يقال نفسٌ خضراء . وهي صفة يُراد بها (هنا كلمتان أُلفقتا بمقراض التجليد) (حاشية في الاصل) .

فوصلتُ من قبل الوصول الى الحمى ... فرداً يجرُ من الفواني عسكرا
لا اشتكي حصر المقال وانني ... ما زلتُ أجرى من لبيدَ وأشعرا
حكمتُ في شعر الاوائل راحتي ... فاذا عجزتُ دعوتهُ مستحضرا
لا تنكروا اني سرقتُ قوافياً ... من شعرهم فركبتُ امراً مُنكرا
قد قلَّ ما عندي الى ان قلَّ في ... صدري الكلامُ فما سرقتُ تجبُّرا
ولربَّ نظَّارٍ بعقلة عاتبٍ ... كترَ العتاب ولثمهُ لو أجمرا
قد زادني حلماً فأنقصني به ... كالاسم لمَّا زيدَ حرفاً صُغِّرا
ولئن تعثَّر من يُظنُّ به فقد ... يكبو الجوادُ ولو يكونُ الأبجرا
ولربما عثر المُصيبُ وربما ... لم يدرِ كيف يُصيبُ حتى يعثرا
بأبي وبي، يا من تخذتك لي أبا ... فرأيتُ منك البرَّ منهُ وأغبرا
أوتيتَ من فصل الخطاب لطافةً ... لا ترتضي لك غيرَ قلبي منبرا
اني رأيتُكَ في سوادِ ملابسٍ ... متهلِّلاً فرأيتُ ليلاً مقمرا
وعلمتُ وجهك جامعاً شمل البها ... لمَّا تصفَّحتُ الجبين الأزهرا
وعرفتُ نعمتك التي غلبت على ... شكري وكيف الرمحُ ينكرُ سمهرا[1]
فلاشكرنك ما حييتُ وان أمُت ... فلتشكرنك أعظمي تحت الثرى[2]

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) يمدح الامير بشير الشهابي عند رجوعه من القاهرة سنة ٢٣٩ »[3] :

قامت وفي يدها يلوحُ إناءُ ... وزَنَتْ فكادت تكسرُ الصهباءُ
عذراءُ لو ندبت على نظراتها ... صخراً لقام ومات الحصباءُ
شربت يمينُ الكأس بسمها فلم ... تدرِ الذي شرب الطلا الندماءُ
حتى تبسَّم فادَّعتْ بجباجها الكاساتُ لمَّا لاحت اللألاءُ
بدويَّة هي في الحجاز فانما ... تأبى الخطابَ كأنَّها عجماءُ
ولعلَّها عذرت بتيه دلالها ... ان الدلال على الجمال وقاءُ
يا للعجائب وهي ظبيةُ ربرب ... ترمي السهامَ فلا يكون خطاءُ

---

١) سمهر : رجلٌ كان يقوّم الرماح (في الاصل) .

٢) وتلي هذه القصيدة ، قصيدةٌ أخرى قالها الشيخ ناصيف في القس انطون الحلبي المذكور ، وهي منشورة في ديوانه « النبذة الاولى » ص ٨ طبعة مخائيل رحمه ، وابياتها في المخطوط اكثر عدداً من المطبوع .

٣) المخطوط ص ٤١٠ .

لا بدعَ ان عبقت لنا أنفاسها ... بالمسك فهو به تجيُّ طيبا
باديتُ معطفها يرجرجهُ الهوى ... ريًّا فقد أيقنتُ انك ماء
ثمَّ التفتُ بوجهها[1] فنفرتُ من ... جزعٍ وقلتُ وراءكِ الرقباء
ولها لحاظٌ لا تخال بطرفها ... سحرٌ فقد دُهيت بها السحراء
قالت أما بك وهي قد سلبت بها ... عقلي فقلتُ المرءُ السودا
هان الحمامُ عليَّ ان رضيتْ به ... يا حبذا لو ترتضيهِ فنا
وكرهتُ بذل النفس خوف فراقها ... قبلًا يكونُ من «البشير» لقا
ملكٌ من الافراد طلعة وجهه ... عند البصائر هيبةٌ وجلا
متوشحُ الديباج تحت رقيقه ... ما يطرقُ الديباج منهُ حيا
تلقاهُ مبتسماً وفيهِ عبوسةٌ ... وتراهُ غضبانًا وفيهِ رضا
ريَّان معتدل الطباع كأنه ... فصلُ الربيع تجوده الأنوا
تَثرَ الدراهمَ عند وقدِ عطائهِ ... بيضًا تُفرّقها يدٌ بيضا
كالبدر في كبدِ السماء وحولهُ ... تحت الرقيع كواكبٌ غرّا
كفٌّ تسيلُ على العفاةِ مواهبًا ... وسيلُها تحت العجاج دما
وَصَلَ الحسامَ بها فأرعدَ نصلهُ ... وعليها منها رونقٌ ومضا
من فوق ادهمَ قال من في وجهِهِ ... نظر الثريَّا انه الظلما
لو قام يوم البعث صوتُ صهيله ... ما شك ان الصور منهُ صدا

٥

يا خير من لبس الشفوفَ وخير من ... لاحت عليه عمامةٌ خضرا
ألبستَ لبنان الضياء كأنما ... جبريل فوق الطور منهُ ندا
وعلى الكنانة من نداك نضارةٌ ... فكأنها فوق الرؤوس لوا
لو كان يدري «النيلُ» انك قادمٌ ... مصرًا ثناهُ عن المفيض حيا
لا بدع ان ذابت لفرقتك الحصى ... منها واوشك ان يجفَّ الما
فلقد تركت بها عوارفَ أنعمٍ ... ذكر الخصيب بعرفها النبا[2]
وأثبتَ ترفلُ في ظلال مؤيّدٍ ... رفلت بظلّ جلالهِ الوزرا
فردٌ من الاقيال أمَّا مالهُ ... فندىً وأمَّا جارهُ فحما
عزت به جنبات مصر وكيف لا ... وهو العزيز محلُّهُ العليا

---

١) نظر وجههُ كما يكون في المرآة (حاشية في الاصل).
٢) الخصيب: اسم ملك. والكنانة لقب مصر. والنُّبا: الذين يحصون اسماء الناس. (في الاصل).

ما ضرها ان فاتها مطر السما ... فلها يجود بديه عند عناء
هو سيدٌ يمي وقاهرة الورى ... في كفه تنقاد كيف يشاء
يتمايل الوزراء تحت لوائه ... طوعاً وتحت لوائك الأمراء
ما كان عهد البدر قبلك طالعاً ... من مغربٍ قد تمّ منه ضياء
حتى أتيت بطلعةٍ رقصت لها ... لو لم تخف ازعاجك الدنياء
وعلى ربى لبنان حين أتيتها ... ما بالسقيم يُذاد عنه الداء
لو تستطيع وقد قصدت ربوعها ... لاقتك لو طاع الربوع لقاء
ولقد نسخت بحق بأسك أرسماً ... هامت بقيه ضلالها الآراء
وهديت اهليها الصراط فانما ... انت الرسول ، وان يروك رعاء
انت الشهاب بنور وجهك تنجلي ... حُجُب الظلام وتُرجم الاعداء
ولأنت طلّاع الثنايا عندما ... بدرت لديك ملمّةٌ صمّاء
لو كان نطقك في الشقاء مقسّماً ... في الناس لم تتفاضل الخطباء
ولو اقتسمت صواب رأيك بينهم ... لم تدر نفسٌ ما يكون خطاء
تكفي الورى حكماً اذا طلبوا وما ... لصفات خلقك بينهم أكفاء
بهل الخطاب جا فلو نطقت به ... الافرنج ما عمرت عليها الراء
لا بدع ان خلت الكرام فلم تدع ... أكرومةً تأتي جا الكرماء
ألّفت شمل البر بعد شتاته ... كالبحر يجتمعاً اليه الماء

٥

انا غرسُ نعمتك التي عوّدتني ... فنموت حيث الطيّبات رواء
وعززتُ عند تعقلي بك في الورى ... كالسلك ترفع شأنه اللآلاء
وجهت لسنادي اليك مصرّحاً ... فكأنما الأفعال والأسماء
وأضاف ذكرك قرّ نطقي واصلاً ... سنداً فأثبتَ رفعهُ القرّاء
وعلى ودادك لي فؤادٌ لم يزل ... لذخائر الأسرار وهو إناء
خجلٌ برأيي وهو يعلو فوقهُ ... وتهاب مسّ صفاقه الأعضاء
قسماً بمناك الرقيق وصبوتي ... فها الصباحُ وان أرثّ مساء
ما خضتُ في ذكراك إلّا قلتُ قد ... طفحت بلجّة منطقي البيداء
تتزاحمُ الكلمات عندي مثلما ... ورد الزلال طلائحٌ انضاء
فكأنّني الكندسُ فيك وليس لي ... عند اذكارك وقفةٌ وبُكاء
هل تبلغنّ عني الحجاز بأنني ... بك شاعرٌ فتزورني الشعراء
معناك علّمني القريض فها انا ... بعد التشاعر شاعرٌ روّاء

صفلت مناقبهم غرار قريحتي فاذا بها من ذي الفقار مضاء
وجلا جمالك روئيتي فكأنما كانت لعيني تنظر الزرقاء[1]
يحلو بمدحك نظمُ شعري مبدعاً وبديع شعري من ثناك سناء
فاذا خلا من ذكركم فكأنهُ حرفُ الشفاهِ بقولهِ الفأفاء[2]
فلأجلكم اليك كلُّ قصيدةٍ هيهات من اياتها الاقواء[3]
تأبى قوافيها السناد وانما لا بدع ان يضطرها الإيطاء
فاسلم ودُم تُحدى الثناء ويُثنى وعليه من اهل الثناء ثناء
حتى يقول الدهرُ وهي محالةٌ يكفي فمندي بعدك الملفاء

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) في الامير فارس الشهابي[4] »

قفْ بين ريحان العقيق وخالهِ وقل السلامُ على العقيق وآلهِ[5]
وقل السلامُ على الشجيرة من فتىً لولا الثياب يتستُ لمح خيالهِ
لي بينهم رشأٌ أغنُّ مهفهفٌ ابدًا يفوحُ الطيبُ من اذيالهِ
رشأٌ يلوح الصبح من طربوشهِ ويميلُ غصنُ البان من سروالهِ
خشيَ الكمال على شمائله وقد عذبت فعوَّذها[6] بِرَّ دلالهِ
فغدا يامن الصخرُ قبل فؤادهِ وينال بدرَ الافق قبل منالهِ
نزل العقيق فكان بعض ظبائه وله فؤادٌ كان بعض جبالهِ
ذابت خمائله لميلةِ عطفهِ فمذرتُ قلبي قبلهِ من بلبالهِ
وبشعبِ ذي سلمٍ غزال انما شتَّان بين غزالها وغزالهِ
ما زال مذ صعد الثنيَّة مقمرًا[7] لمَّا تصفَّحه على اقبالهِ
يا عاذلي ما انت بعد لقائهِ إلَّا على صفة الجماد وحالهِ

---

١) امرأة كانت حادّة النظر (في الاصل).
٢) الذي يردّد حرف الفاء (في الاصل).
٣) الاقواء في اللغة: التقوّض. وعند العروضيين: اختلاف حركة الروي (في الاصل).
٤) المخطوط ص ٤١٧.
٥) ان الشيخ قد صدّر بهذا البيت قصيدته الى بعض اصحابه العلماء (راجع النبذه الاولى من ديوانهِ، طبعة ميخائيل رحمه، ص ٤٦).
٦) عوَّذها: علّق عليها عوذةً، وهي كالتميمة يُتّقى بها السحر والعين (حاشية في الاصل).
٧) قيل: ان الغزال اذا نظر القمر، نشط (في الاصل).

ولعلَّ رشدك غاب عند حضوره ... فنطقتَ نطق الأحمقِ المتبالهِ
او كان لومك غيرةً مني على ... شغفي بهِ وتملُّقي بوصالهِ
او شمت اقبالَ الامير بوجههِ ... حتى استهنتَ بمنتهِ وجمالهِ
الفارسُ ابن السيّد الحسنُ ابن سيّد ... نا العلي لبني الرسول وآلهِ
الهاشميُّ من العشائر سادة العرب ... م الكرامِ لعمّهِ او خالهِ
رجلٌ يعبرُ الغصن لين قوامهِ ... ويعيرُ بدر التمّ حسن كمالهِ
يُلهي الوفودَ عن التحيّةِ وجههُ ... حتى ترى الآدابَ في استقبالهِ
ربّانُ يحتسبُ العطاء تقيصةً ... ان كان لا يعطيك قبل سؤالهِ
البرُّ بين لسانهِ وفؤاده ... والبحرُ بين يمينهِ وشمالهِ
يَمرَبْ اناملهُ فلو أوما جا ... نحو الاسير لفكَّ من اغلالهِ
او كان يلثمُ بعضها فمُ اخرسٍ ... يوماً لفاض لسانهُ بمقالهِ
متبسّمٌ متهلّلٌ متهذّبٌ ... متفرّدٌ بصفاتهِ وخصالهِ
وجمالهِ وكمالهِ وجلالهِ ... وخلالهِ ومقالهِ وفعالهِ
يا قاضلًا يا باسلًا يا كاملًا ... يا واصلًا يا باذلًا من مالهِ
يا مَن يُرى من طيب فعلك حاضرٌ ... ما ليس يخطرُ قبلها في بالهِ
انت التنى انت الهنا انت المنى ... انت الجنى للبرء في آمالهِ
ما زار دارك مَن أُصيب بحادثٍ ... إلّا وبشّر نفسهُ بزوالهِ

« وقال يمدح الامير قاسم الشهابي[1] » (ابن الامير بشير الكبير)

يا بارقًا لاح في اكتاف لبنانا ... امطرتَ لكن جلتَ السحبَ اجفانا
اعاذك الله ما ابرقت من كذبٍ ... وصادقُ الشوق في الاحشاء ما خانا
ما شامَ ضوءك طرفي غير منكبٍ ... كأنَّ للدمع في كفّيك ارسانا
لسنا نراك سوى برقٍ فواعجبًا ... أبريتَ ماءً وقد هيجت نيرانا
متى ازرك دليلًا لي على سُبلي ... تركتني بحجاب الدمع حيرانا
اشكو اليك تباريحًا علمت بها ... لو كنت تسألُ عني النجم سهرانا
وما انتفاعي بان اشكو اليك ولا ... اشكو الى القاسم المفضال هجرانا
كلاكما ماطرٌ لكنَّ بينكما ... تفاوت الحال أسواءً وإحسانا
تبارك الله جسمٌ حلَّ فيه دمٌ ... نظنُّهُ السكّر المعقود قضبانا
حلو الشمائل طلق الكفّ مبتسمٌ ... في وجهه البشرُ يزهو كيفما كانا

---

١) المخطوط ص ٤١٨ .

صفا ورقّ وما رقّت عزائمهُ ... كالنصل ما رقّ يسمى وما لانا
كأنما محوهُ في عطفه لعبت ... ريحٌ ترنّح غصن البان ريّانا
لا يحسب العيش الا بذل مكرمةٍ ... او خوض ملحمةٍ او ريّ ظمآنا
تمضي الليالي وأشغالها التي عبرت ... له ولم ترحم الضيفان ضيفانا
جدّي بنا يا نياق السير لا نقفي ... فقد نحلّت شرقاً ليس ابدانا
وحقّ نعماهُ ان بلّغتني يدهُ ... أليستُ همامكِ من نعماهُ تيحانا
لا تحسبي كلّ من لاقيتِ كابن « ابي ... سمدى »[1] ولا مثل « بيت الدين » اوطانا
نعم نعم ان هذا لابنه فلقد ... جاء الشبيه به خلقاً ورضوانا
جلّ الذي خلق الحسنى وخصّ لها ... بعضاً ولو عمّ كان الخلقُ انسانا
لولا القباحة ضاع الحسن فهي لقد ... جاءت على حسن اهل الحسن برهانا
يا ابن الكرام ، وما كلُّ الكرام سوا ... فقد أصرتم كرامَ العصر غلمانا
قد عاشتني نظم الشعر أنعمكم ... حتى غدت لعروض الشعر ميزانا
لو لم يكن بك غير الجود من خُلُقٍ ... جمعت مدح الورى مرّاً واعلانا
وعلّة المدح احسانٌ فان حصلت ... كفتْ ولم يكف شيءٌ غيرها الآنا
أهديك قطعة شعرٍ من ثنائك ولو ... وفيتُ بعض الوفا أهديتُ ديوانا
ومن اراد عيانَ الشمس أبصرها ... لمحاً ولم يستطع في الشمس إمعانا

« وقال في اخيه الامير خليل[2] »

قسماً بما حوت الثغورُ من اللمسْ ... وبما حوى وردُ الخدودِ من القبسْ
وبأعين الحفرات وهي ذوابلٌ ... كالناعباتِ وما جنى أثرُ النمسْ
وبذمّة العشق العزيزة عند من ... ذاق الغرام ولم يذقهُ الملتمسْ
وبجوبة العشّاق لولا انهم ... يتهتّكون به وشيبهمُ انبجسْ
ولأصبرنّ عليه او تُبلى به ... نفسي وتُنكرُ مهجتي رَجْعَ النفسْ
ولأحملنّ خطوبهُ ولو أنها ... هجرُ الخليل وملتقاه اذا عبسْ
احدُ الكرام الفاضلين ، وانما ... في نفسهِ كلُّ المكارم قد غرسْ
يقفو الكريم فعالهُ وكأنهُ ... من بيت مال المسلمين قد اختلسْ
وضحت فضائلهُ فكنّ كصحفٍ ... درّس الفقيهُ به وراجعَ ما درَسْ
تتحدّث الافكارُ ناطقةً به ... ويعودُ باقهِ اللسانُ من الخرَسْ

---

١) لقب للامير بشير الشهابي الكبير ، قد عُرف به ، وسرّ ذكرهُ .
٢) المخطوط ص ٤٣٠ .

الأشهب البازيّ في يوم الوغى ... والكوكب الدرّيّ في جنح الدلس
والفاضل البرّ المنيف من التمس ... والكامل الحرّ البعيد عن الدنس
لا تشتكيل القيد موطنه ولا ... تلوي المدامة جانبيه على الهوس
وتراه في الخالين مطّرد[1] النهى ... كحروف ما لا يستحيل اذا انعكس
جمعت شمائله المحاسن كلّها ... وجموعهنّ من التفرّق في حرس
فكأنّه غصن الاراك اذا مشى ... وكأنّه بدر التمام اذا جلس
وكأنّه مطر السحاب اذا همى ... وكأنّه اسد العرين اذا افترس
وكأنّه وبأن يقال كأنّه ... وهم المشبّه والقياس قد التبس
لم يله عن كرم ونلهي المقتفى ... رؤياه عن أخذ النوال المقتبس
لو كان يحمل ما افاد من النهى ... في اليوم وهو على الجواد لما ركس

يا خير من لبس الشفوف وخير من ... حمل السيوف وخير من ركب الفرس
فقت العباد ولست إلّا بعضهم ... والناس بينهم شجون لم تُنفس
كالشعر ليس سوى الكلام مركّبًا ... وبه التفاوت في القريحة والنفس
من قال فضلك لا يحاشي سيدًا ... إلّا «البشير» اباك وهو قد اجترس
لا زال ربعكما الخصيب تعيضه ... ايديكما مطر السحاب اذا احتبس
حتى يقول الناظرون اليكما ... ما مات ذكر الاوّلين ولا اندرس

«وقال في اخيه الامير امين لمّا تسلّم الديوان[2]»

بشرى المعالي فقد نالت امانيها ... ففُزْ بنا غير مأمور تُهنّيها
وليس اعظم من هذا يُقال به ... لك الهناء وهذا الشهم داعيها
صدقت يا من تُسمّيه «الامين» لنا ... فهو الامين على العليا وحاميها
وهو الشهاب اذا جنّت لياليها ... ضوءًا ورمحًا اذا قامت اعاديها
تلقّف المجد إرثًا والعلى حسبًا ... وللسيوف بجمالٌ في نواحيها
لا يركب الخطب إلّا غير مكترث ... ويركب الرأي اجلالًا وتنزيها
مجيئه عن «ابي سعدى» تداولها ... قسًّا وقال خذوا الدنيا وما فيها
اقام في صدر ديوان القاض له ... وقفًا عليه فأعطي القوس باريها
ما زال ديوانه لولا مهابته ... يكاد يرقص من ادلالهِ تيها
ويوشك الشعر في معناه لو فُقدت ... ابياته منشدًا رنّت قوافيها

---

١) مطّرد: مستقيم (في الاصل).
٢) المخطوط ص ٤٣١.

كذا وإلّا فلا ان الهوى حَرَمٌ والله يعلمُ حقًّا من يُدانيها
توغّل القومُ في الدعوى بما فاتق بعضٌ بذاتٍ وبعضٌ جاء تشبيها[1]

« وقال يمدح مصطفى آغا برير » (متسلّم طرابلس)[2]

خطرت كما خطر القضيبُ الأملدُ غيداءُ معطفها يقومُ ويقعدُ
معسولةٌ نضع البنان بخصرها فيكادُ بضٌ فوق بضٍ يُفقدُ
هي بنت ظبي الوادي ولكن لي بها لمحٌ من الفردوس قامت تشهد
ما ضرّها وهي المراضُ جفوتها لو انها يا صاحبيَّ العوّدُ
لفيتْ بطلعتها الهلال فأعلمت انَّ الأهلّةَ طالما تتولّدُ
وتأوّدت بين الرماح فلم يبنْ لولا السنانُ ، الاسمرُ ، المتأوّدُ
ورخت غدائرها تمالت خصرها كأراقم الوادي انثنت تتجمّدُ
والله ما مدّت سلاسل شعرها إلّا لتسبي القلب وهو مقيّدُ
فتنتْ مقاصيرَ الخيام بقامةٍ كالغصن في سرّ الصبا يتردّدُ
وبمقلةٍ نادت على عشّاقها لا تقربوا فأنا البلاءُ الأسودُ
ما بين وجنتها ودمعي نسبةٌ فكلاهما من حمرةٍ يتورّدُ
وكأنَّ ليلي شعرها فكلاهما متطاولُ الاطراف اسودُ اجعدُ
تذكي لواحظها ويخمدُ شرها فكأنّهُ في الكافرين موحّدُ
لا بدع في سلسال ريقكِ ان روى فهو المبرّدُ[3] والزلال مُبرّدُ
قسماً بثغرك يا أميمةُ درّهُ لي ادمعٌ منّ الجمانُ[4] يُنضّدُ[5]
درٌّ نُقضُ ذوائباً قاطُها اهدابُ جفني والصبابةُ منقدُ
ما كنتِ سيدة الملاح من الدُمى[6] إلّا وعبدُكِ في الشيرةِ سيّدُ
حسبي بحبّك عزّةً وبأنني بالرقّ عند عزيز حسنكِ اشهدُ

---

١) وتلي هذه القصيدة ، قصيدةٌ أخرى في مدح الامير امين ، تراها مطبوعة في الثبذة الاولى من ديوانه ص ٥ طبعة ميخائيل رحمه ومطلعها :

فارقكم ونضرب في البلاد فلا نترحلون عن الفؤاد

٢) نشر في خلال ترجمة الشيخ ناصيف في بدء ديوانه ، طبعة رحمه ، مقطعان من هذه القصيدة صفحة (ن) ، واننا ننشرها بكاملها كما هي مسطّرة في مخطوط دير الشير ص ٤٢٣.

٣) المبرّد : اسم رجل راوية (في الاصل) .

٤) الجمان : اللؤلؤ (في الاصل) .

٥) ونضّده : جمع بعضه فوق بعض (في الاصل) .

٦) الدُمى : الصُوَر (في الاصل) .

ولديَّ منك مواعدٌ ما تنقضي ... فاليوم يُشفيني ويُسعدني غدُ
ما انتِ كاذبةٌ جُلتِ أنَّما ... سوء النصيب يقودُ ما لا يفصدُ
ولقد اسفتُ على الصدود لأنَّها ... كانت وانت قريبةٌ تُستطردُ[1]
وشكرتُ حسنَ المطل منكِ لأنَّهُ ... قد كان يومَ يكونُ منك الموعدُ
ولقد تداولنا الدوادل ليلةً ... حلفت بالآ غاب منها الفرقدُ
لاموا وقلبي من أحبَّ وعندكم ... قلبي فكيف خطابُ من لا يوجدُ
ولقد صبوتُ فقال انَّك أشيبٌ ... رأسي وقال القلبُ انَّك امردُ
والنفسُ ناصحةٌ ولكن عندها ... رفقٌ اذا اعتذر الفتى لا يُحمدُ
ولهوتُ عن ادبي القديم وكيف لا ... وصبابتي في طيِّهِ تتجدَّدُ
ونسيتُ نظم الشعر لولا شيمةٌ ... في « المصطفى » تدعو الخصور فينشدُ
في اوحد الفضلاء والفقهاء والكرماء ... والبلغاء لا يتقيَّدُ
كالبدر او كالفجر او كالقطر او ... كالبحرِ او كالدهرِ اذ يتشدَّدُ
ربَّان تفتخرُ المكارمُ عنده ... كبرًا ويصغرُ في يديهِ المَجدُ
يتوهَّمُ الاقلال في صون اللُّهى ... ويظنُّ جمع المال وهو يبدِّدُ
وكأنَّما ظنَّ الهبات ودائعًا ... عند القوافل والودائعُ عُوَّدُ
سمحُ الانامل في العطاء فكانَّما ... قلَّت خزائنُه تراهُ يُجوِّدُ
لا شيءَ اهونُ عنده من مالهِ ... إلَّا المنيَّة في الوغى تتوردُ
متقلِّدٌ بيض النصال وانَّما ... بيضُ النصال بكفِّهِ تتقلَّدُ
يا من يقول لسيفهِ يوم الوغى ... هاك القلوب فقد شكتك الأكبُدُ
لو شئت إكحالَ العيون بجدِّهِ ... ضربًا لمرَّ كما يمرُّ المردُ
يا من ينال اذا تكاثر وفدُهُ ... طرب السوى بالمال لمَّا يحشدُ
ما سرَّ وفدك ما بذلت اشدَّ ما ... سرَّتك حين انت تفرقهُ اليدُ
صدق المخبِّرُ عن صفاتك قومهُ ... حتى اطال فقال انك أوحدُ
ذكر الحديث الى جلالك مُسندًا ... فانصاع وهو الى حديثك مُسنِدُ
وعلى طرابلس الشآم صبابةٌ ... مذ غبتَ عنها فهيَ صبٌّ مفقدُ
لو أنصفتك وقد رحلتَ ربوعها ... هرعت على آثار ركبك تنشدُ[2]
ما كنت إلَّا رحمةً في ارضها ... بُعدتْ ولكن فضلها لا يبعدُ
أخصبتها جودًا فكانت جنَّةً ... لو كان ساكنها جا يتخلَّدُ

---

١) تستطرد : تتتابع (في الاصل) .
٢) اسرعت تطلب (في الاصل) .

ما كان احسن برهةً خدمتْ بها ... كفاكَ حقَّ الله وهو مؤيدُ
شهدت لك الاحكامُ انك رشدها ... والله يشهدُ انها لك أعبدُ
فله درُّك ما أجلَّك سيدًا ... واسدَّ رأيك والطريقُ مسدَّدُ
واشدَّ بأسك في المطوب فكلُّها ... صعبت رأيت كأنها تتشهَّدُ
تغدو اليك الحادثاتُ فتثني ... شيبًا ولكن وجهها بك اسودُ
لولا تآلفها أضلَّت بعضها ... مثل النياق أضلَّهنَّ الفدفدُ[1]

انا اشعرُ الشعراء فيك ولا تقلْ ... هذا الغلامُ بهلهلٍ يتشدَّدُ
لو لم أكن في الشعر أكبر غائصٍ ... ما خضتُ بحر ثنائك وهو المزبدُ
والشعرُ ريحانُ النفوس واغا ... ويحانُ روضتهِ الصحيحُ الجيِّدُ
لولا نباهةُ ما بذلوا على ... افرادهِ الآلافَ تبرًا يُنقدُ[2]
ولقد نظمتُ فانني متقدمٌ ... حتى كتبتُ فاتني لو ولَّدُ
وحمدتُ نفسي بامتداحك معجبًا ... ان المجوم على العظائم يُحمدُ
فترفقتها من آل عيسى غادةً ... الفى عليها المعربات بحدَّدُ
انشأتُها فوجدتُ شعري بعدها ... فضلاتِ تطلقِ في النهى تتولَّدُ
واذا نظرتُ الى الخلائقِ فالورى ... رجلٌ وكلُّ الشعر بنتٌ مفردُ
مَن كان مثلك لا تطالبُ امَّهُ ... لو انَّها حوَّاء في مَن يولدُ
فيك الصيانةُ والزهادةُ والتقى ... واللطفُ والكرمُ الذي لا يُجحدُ
والحلمُ ثمَّ العلمُ ثمَّ الحزمُ ثمَّ ... العزمُ ثمَّ الفهمُ ثمَّ السؤددُ
يا فضلُ بل يا عدلُ بل يا وبلُ بل ... يا نصلُ بل يا شبلُ بل يا سيِّدُ
لم تجتمع فيك المحاسنُ أغا ... انت المحاسنُ وهي فيك تُعدَّدُ
ما شتُّ قبلك من يُبارُ لمالهِ الباقي ... من المال الذي يتبدَّدُ
وكأنَّ مهجتهُ تُنارُ لنفسها ... من انفس القتلى التي تتجرَّدُ
يرضيك دون الريِّ واعجبًا ولا ... ترضى الفرات لسائلٍ يتورَّدُ
وكأن نفسك في الكريهة غيرها ... في السلم وهي لطيفةٌ تتودَّدُ
لو أخمد الحزنَ التأسي ما بكى ... ممن قتلتَ ' ابٌ على أبنٍ يُفقَدُ
او كان يُحيي الجود نفسًا لم يمت ... من كان في ميمون عصرك يوجدُ
حيَّ المطايا فهي أولى من بني ... عمِّي بمنَّتها عليَّ وأعودُ

---

١) الفلاة (في الاصل) .
٢) محدث (في الاصل) .

وعجبتُ منها وهي قد وردت ثا ... بدر التمام على طريق نوردُ
يتلو عليك الحمد في سلوانهِ ... من قال بسم الله ثمّ يردّدُ
ما اكثر الجهلاء لكن شرّهم ... من كان عن ابواب فضلك يُشردُ

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) يمتدح الامير امين الشهابي »
« عند رجوعه من مصر القاهرة »[1]

حسبي بحبكِ يا مليحةُ عاري ... اني النتيلُ وليس يُطلب ثاري
وأشدُّ عارًا ان قُتلتُ ولم يكن ... قتلي بخطّارٍ ولا بتّارِ
وأشدُّ منهُ صحبتي وبفائلي ... مرضٌ قذلّاني وكان الضاري
وأشدُّ منهُ انّ نفسي حرّةٌ ... وغريمها أمةٌ[2] من الكفّارِ
عينٌ حواليها الشعورُ ذوائبٌ ... قالت لقلبي مُتْ قتيلَ أُوارِ
وعلى مَ تدركها الزيارة وهي قد ... حُميت بحاجبها عن الزوّارِ
يا من اخذتِ من الفتى حواجبًا ... هاتِ ائذن لي حِسًّا من الاوتارِ
وأبيكِ ما جامت وأنتِ نوحها ... إلّا لمؤكّدةٍ وجوب عثاري
أتسوغ عندكِ يا سلامةُ قتلتي ... واليكِ تُرود طاعتي وقراري
ما انتِ إلّا من كرام أعاربٍ ... والمذهبُ العربيُّ حفظُ الجارِ
بيني وبينكِ خطوةٌ وكأنّما ... بيني وبينكِ شقّةُ الاستارِ
واذا دنوتُ الدار لم يكُ نافعًا ... فالبُعدُ خيرٌ لي من دنوّ الدارِ
لولا سروركِ بالرياض لأصبحتْ ... بسموم انفاسي من الآثارِ
كرت المدود مدامعي بمياهها ... فكأنّما هي مارجٌ من نارِ

ج

يا للمجانب من دلالِ غزالةٍ ... صادت بنظرها الاسود ضواريا
وقفٌ على لحظاتها سفكُ الدما ... فكأنّهنّ سهام قوس الباري
حوراء يخفي الكحل أسود حدها ... وبياضُ ناحلُ خصرها بازارِ[3]
ما بين مقلتها وقلبي نسبةٌ ... فكلاهما المكسور في الجبّارِ
لمّا تجلّت نون حاجبها على ... صادٍ بمقلتها ولامِ عذارِ
راودتها عهدًا بكسرةِ طرفها ... فرنتْ اليَّ سكينةَ الابصارِ
بانت بفضّةِ جيدها فأريتُها ... لي وجنةً صفراءَ كالدينارِ

١) المخطوط ص ٤٤٦ .
٢) يريد بهذه الأمة عينها (حاشية في الاصل) .
٣) عبارة عن رقّة الخصر . اي انهُ لولا الازار لم يكن يظهر (في الاصل) .

وزهت بلؤلؤ ثغرها فلقيتُها ... بدامعي مثل الشقيق جوارِ
يختار من ثمها صغائرُ درّهِ ... عجباً ومن دمعي اختيارُ كبارِ
وكأنّ كُمّتها وغرة خدّها ... زهر الربيع يلوحُ في آذارِ
سفرت وقد ضحكت فرقرق دمعها ... وتكلّمت فجميعهنّ دراري
ورنت اليّ بمقلةٍ نوّامةٍ ... منعت منامي عندها وقراري
فكأنّها عينُ الحداةِ[1] وانّما ... بُدئت بجرّدةٍ من الاضارِ
فتنتْ لطافتها الصباة فراقبت ... تمويها لتسرّ في الاسحارِ
واشار معصمها الينا فانثنت ... بيض النصال فبنّ في الاستارِ
طلع السوارُ بها وليس بجائرٍ ... اخفاء بعض نظيره بسوارِ
ومن المحارم ان تقوم وعنقُها ... بيضاء يحجبها سوادُ خمارِ
غرثى الوشاح[2] كأنّها خُلقت من الماء ... الزلال صفا من الاكدارِ
لولا الثيابُ لشفّ دونك صدرُها ... عن قلبها فطمتَ بالاسرارِ
ما كان وجهكِ يا سلامةُ روضةً ... إلّا ودمعي كان من امطارِ

ومن العجائب روضةٌ فيأحةٌ ... كرمت مجاورة الحيا المدرارِ
لي بين صدرك والمحيّا وقفةٌ ... بين الأبيرقِ والنقا المؤارِ
والله ما احدقتُ غرهما سوى ... لأرى الهلال يلوحُ فوق نضارِ
ما فوق حسنك في الورى حسنٌ ولا ... فوقي من العشّاق قطّ مبارِ
لا ادّعي كبر الغرام وانّما ... نسبي اليك لقد افاد فخاري
اصبر اليك على التهتُّك[3] في الهوى ... ان المحبَّ مهتّكُ الاستارِ
لا اشتكي خدرًا[4] برحلي غائبًا ... ودعايَ باسمكِ ليلي ونهاري
أحببتُ ذكرك والطروبُ مولّعٌ ... شغفًا بذكرِ مواقع الاوتارِ
فاذا ذكرتكِ في الفنار وجدتُ بي ... ما بالمترّيل جنانةِ الخمّارِ
واذا ضحيتُكِ في الدجنّةِ لم اكن ... إلّا صحيب الكوكب السيّارِ

---

١) الحداة : الرخمة . قيل ان عينها اذا وُضعت تحت رأس النائم فلا ينقل بحيث لا يعلم (حاشية في الاصل) .

٢) رقيقة الخصر (في الاصل) .

٣) لقد طفا قلمُ الشيخ فسطّر هذا البيت عن دوس ! وللشعراء مثل هذا الطرفان في الشعر فيقولون ولا يفعلون .

٤) قيل : اذا خدرت رحل الانسان فدعا باسم أحبّ الناس اليه ذال الخدر (في الاصل) .

واذا لقيتُ بكَ الخليفةَ شافعاً ... أغنى قوامكَ عن قضيب الغار[1]
يدعو جمالك الى المحبة غاصباً ... عجباً وتُصفين بالعطّار
فكأنهُ حجرُ الهلال وقلب من ... يدنو اليه فضّة الحجّار
لولا قناعكِ اصبحت مهجُ الورى ... من آل عذرةَ خالماتِ عذارِ
ما زلتِ صائنةً جمالكِ مثلما ... صان « الامين »[2] ودائعَ الاسرارِ
طلّقتُ الانامل واللسان وانّما ... جمعا اختلافُ البذل والادخارِ
لو كان بذلُ بنانهِ بلسانهِ ... ولّت مراثرهُ على الادبارِ
او صان درهمهُ كسرّك لم يجد ... بالبضعِ منهُ على السؤالِ لعارِ
حسن الوفاء وفاؤهُ لسؤلِ[3] ... لولا المذلّةُ في احتمال الشارِ
كالنار بالانوار والاقدار بالاخطار والازهار بالاعطارِ
يلقاك مبتسماً ويبسُ مرّةً ... فتروح بين مواقع الاقدارِ
فكأنّ بَلْجَةَ[4] حاجبيهِ مسافةٌ ... طُبعت عليها شفّةُ الاعمارِ
رَيّانُ معتملُ القنا فتعجّبوا ... ما يُعملُ المطّارُ بالمطّارِ
يلقى بساعدهِ الكُماةَ وانّما ... يلقى بسيفِ عليّهِ الكرّارِ
لو كان في ذي قارَ يوماً اذ لَمَا ... نادى بنو شيبانَ في ذي قار[5]
وهوى المجوسُ رواكماً لحسابهِ ... أدباً. وقد طلبوهُ شلةَ نارِ
يعلو محجّلةً حكتْ بعض الدجى ... أقرن ثمّ خلّفنَ بالاسحارِ
لو نال صاعقةَ النمام صهيلُها ... لم تستطع فرّقاً فراقَ وجارِ[6]
ما شتَّ قبلها جواداً فوقهُ ... أسدٌ ولا أسدًا بلا اظفارِ
يغني الظبا فيكاد قبل وصولها ... ينشقُّ مفرقُ هامةِ الجبّارِ
وتكاد تشتملُ القناةُ بكفّهِ ... لولاهُ يسقيها دمَ الأنفارِ

---

١) قيل ان الحكماء اليونان اذا دخلوا على الملوك يحملون قضيب الغار تفاؤلاً بقضاء غرضهم (في الاصل) .

٢) الحمد لله على التقاء الشيخ بالامير بعد طول المسافة والمسير . ومن عادة الشعراء الاقدمين ان يستهلوا قصائد مدحهم بالغزل والتشبيب .

٣) السؤال : رجلٌ اودع عندهُ امير قيس درعاً ، فسأله لغيره ومات من اجله (في الاصل) .

٤) البلجة : ما بين الحاجبين (في الاصل) .

٥) ذوقار : مكان فيه حرب بين العرب والعجم وكانت النصرة فيه عن يد هاني مسعود الشيبان (في الاصل) .

٦) الوجار : الوكر (في الاصل) .

ابدًا يفرُّ من الفرار كأنما ... ظنَّ المنون تخبَّأت بفرار
ويخوضُ فرسان الوغى فتخالهم ... فردًا اذاة الفيلق الجرَّار
ومتى تفحَّصهُ المقدَّم مقبلًا ... نادى بصاحبهِ حذار حذار
ليس المقدَّمُ بالجبان وانما ... بين الرجال تفاوتُ المقدار
يلقى الوغى فردًا ولكن حولهُ ... رُسُلُ المنيَّةِ فهوَ في أنصار
والخيلُ تعثرُ في العجاج ضليلةً ... نظرًا ، فتهديها بروقُ شفار
عقد الغبار فلو رماه برجمهِ ... رجلٌ تطلَّق في أديم غبار
وعلا فلولا ان يُظلِّل فوقهُ ... هبطت عليهِ طوالعُ الاقمار
عَجَبًا لهُ نحيي وتقتلُ كفُّهُ ... في حالةِ الايراد والإصدار
فكأنَّما البحرُ العرمرمُ جامعًا ... للناس بين النفع والاضرار
لو تأل الاعداءَ عنها انكرت ... ان لا تكون من القضاء الجاري
او تأل العافي لأنكر قتلها ... وهيَ الحياةُ ، بصارمٍ بتَّار
غمَرَ العفاةَ نوالهُ فتخالهم ... سُفُنًا تردَّدُ بين موجِ بحار
شكروا مواهبهُ ولو لم يُعطهم ... شكروهُ خوفًا من هجاء عمار
حبُّ الألوفَ يمينهُ وكأنَّهُ ... للأربعينَ لم يجد بيسار
لو لم يزرهُ القوم نحو ديارهِ ... جعل الهبات لهم من الزوَّار
ما زال مستبقَ النوال كأنَّما ... ظنَّ السؤالَ من ارتكاب العار
لولا ارادتهُ عموم نوالهِ ... أعطى خزانتهُ لأوَّل طار
لا بدع في كرم الامير فليسهُ ... بأجلَّ من ادبٍ بهِ ووقار
لو شاءَ انكار المكارم والتقى ... لأتى على التسليم بالانكار
يا من اذا ما سال قال حسامهُ ... « حكمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جارِ[1]
واذا اناهُ المالُ قالت كفُّهُ ... « ما هذه الدنيا بدار قرار »
واذا اقتفاك على ارتحالك راكبٌ ... لم يدرِ هل هو سائرٌ ام سارِ[2]
واذا تُباعُ كريمةٌ او تُشترى ... فسواك بائعها وانت الشاري
لا يغرر الحسَّاد حلمُك انهُ ... حسدُ المواهب آفةُ الاطهار
ذهبت بهِ قِدمًا ثلوبُ عبيسٍ على ... جفر الهبات بنقسِ كلِّ فرار

انت أنتَ اشراف ولو لم يشرفوا ... لشرفتَ انت بخلقك المختار

---

١) مطلع قصيدة لابن الحسن التهامي يرثي بها ولده .
٢) السائر : الماشي نهارًا . والساري : الماشي ليلًا (في الاصل) .

ولقد يُباري في الفخار مطاولاً حتى يُقال بنو الشهاب مبارِ
سبق « البشيرُ » ابوك في سنن العلى فلحقتهُ في اول المضمارِ[1]
فلو انتنبتَ على تربلك جالساً سادى « أبا سعدى » فقلتَ بدارِ
او راكباً او ضارباً او خاطباً او كاتباً او راهباً او قارِ
عجباً لسيفٍ في بنانك كيف لا يخضرُّ من خصبٍ لها بجوارِ
وعجبتُ يحملك الجوادُ وقد جرى خَبَباً وكفُّك حامل الاقطارِ
لم تُبقِ سهماً في الكنانةِ بعد ما وافيتها لشوائب الاكدارِ
لو لم يقل هذا الامينُ مبشّرٌ ظنّتك يوسف مالك الاحرارِ
جادت عليك ببعضها ولو أنّها لك ما بخلت بها على أبنِ مزارِ
وتغايرت حمداً عليك فلو إذن قدرت لضُمّت كلُّها في دارِ
يا مالك العليا ولو لم تأتها لأتتك ماشيةً على الابصارِ
لم يرضها رجلٌ سواك وهل لها كفءٌ نظيرك من بني الأعصارِ
حتى اذا فارقتها لم تستمر كمروس هذبةَ ، مدية القصّارِ

هذا مديحك ، بل لأنت مديحهُ يا كعبة الشعراء والأشعارِ
اني نظمت لك القريض وطالما نفحت بنانُك ناظماً بنثارِ
والشعرُ احسن ما تكلّفهُ الفتى للقاء مثلك في عباد الباري
ما زلتَ خيرَ العالمين وخيرَ ما للعالمين رويّة الافكارِ

« وقال يرثي[2] » (بطرس بك انطون بطرس)

هل تُبالي بن تركتَ يتيما وتُبالي بن تركتَ سقيما
لا وعينيكَ والترابُ عليها بدل الكحل فوقها قد أقيما
لستَ بالراحل الذي يذكرُ الاهلين او يذكرُ الحمى والرسوما
عندنا فجعةٌ عليك وما نحنُ بالٍ ولستَ منا عليما
تكذبُ الريحُ لا تؤدي سلاماً نحوك منا فتبعثُ التسليما
بيننا أبعدُ البعاد وأدنى القرب م لا حبّذاهُ قرباً ذميما
رحلةٌ لا تعودُ منها ولكن عن قريبٍ تجرُّ منّا الخطيما
لو تدومُ الحياةُ قبلاً لحيٍّ لرجونا حياتنا ان تدوما
كلُّ حيٍّ يُميتهُ الدهرُ حتى يوشك الدهر ان يُميتَ النجوما

1) الميدان (في الاصل) .
2) المخطوط ص ٤٧١ .

لم تَدُمْ هذه الحياةُ ولم تبقَ لعيسى ، فحلَّ موسى الكليما
عَلِقَ الناسُ بالزمان حديثًا وتلقّاهُ آخرون قديما
ليس في الدهر علقةٌ لبنانٍ فهو يمضي ويستحثُّ الجسوما
ليلةٌ لا صباحَ فيها وخطبٌ حيلة المرء عندهُ لن تقوما
يُقتلُ المرءُ بيننا ثمَّ لا نطلبُ ثأرًا وقد عرفنا الغريما
جلب الدهرُ اهلهُ فاذا طا لبَ بالأخذ لا يعدُّ ظلوما
واذا ما أدّعى الترابُ علينا انتا منهُ أوجبَ التسليما
يذكرُ الشيخُ والإمامُ فصولًا ليس تنفي المرؤوس والمأموما[1]
علّةُ الموت فوق ذاك ودريا قُها لا ينالُ تلك السموما

أيها الغائبُ الذي غاب في التر ب رويدًا فقد نزلتَ الصميما
لم يغبْ ذلك المحيَّا عن العين ولكنَّهُ اختفى توهيما
انت نصب العيون تخطرُ في النفس فما زلتَ للنفوس نديما
ومن الغائبين أدنى الينا من حضورٍ ترى لهم اقتوما
لم يُمتْ ذكرك الجميلُ ولا ما تتَ سجاياك حين مُتَّ كريما
انت تبلى والصبرُ والانسُ واللذّاتُ قد صار كلهنَّ دميما
ويعيشُ البكاءُ والنوحُ والوحشةُ والشوقُ بعدهنَّ عموما
لك في الحيِّ خطرةٌ بعد أخرى كلما نذكرُ التقى والحُلوما[2]
لو يصحُّ الفداءُ عنك لأقدمتُ وأخرتُ يومك المعلوما
ذلك اليوم كم أذاب قلوبًا نقرضها العيونُ دمًا سجيما
قد اخذتَ النبيَّ قسًا كما اختر تَ وخلّفتَ في القلوب الجحيما
سرت عنا بلا وداعٍ فودّعنا المسرّات والتفينا الهموما
عدم الصبرَ عنك صاحبُ عينٍ تسهلُ الدموعَ دالًا ومبا
ليس في قلبه متى بعد أيا مِ لقاهُ فكيف صار المطيما

أيها اللوذعيُّ « بسترسُ » الشهمُ العصاميُّ والهمامُ الحكيما[3]

١) الشيخ : لقب ابن سينا . والإمام : لقب بقراط . والمرؤوس والمأموم : الذي يشكو رأسهُ وأمَّ رأسهِ (في الاصل) .
٢) من الحِلم بالكسر : الاناة ، وضدّ الطيش ، والعقل . جمع احلام وحُلوم .
٣) ان نصب لفظة « الحكيم » افراء في اصطلاح الشعراء ، وقد يجوز تخريج النصب باضمار لفظة (أنادي او اعني) لا سيما انّ المتام مقام منادى ، والمنادى مفعول به بالمعنى .

لك من جدك السمي بك اسمٌ وصفاتٌ تحكي الجمانَ النظيما
نغمةٌ في فكاهةٍ في احتشامٍ في مضاءٍ في حكمةٍ لن تضيما
وسلوكٌ في طاعة الله لا ينفكُّ يقفو صراطها المستقيما
عشتَ في الناس راحماً يا ابن انطون وقد متَّ بينهم مرحوما
ما بقي حاجةٌ لدى نفس يعقو ب[1] وقد جئت حضن ابراهيما
طالما كنتَ في الفضائل تحتا رُ مسيرًا لدى الاله قويما
خيرَ سعيٍ سعيتَ فاسم تـاريخي جزاءً فقد بلغتَ النعيما
٢٠١ ١٤٢٢ ١٨٤ ١١

سنة ١٨٢٨

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في رسالةٍ بعث بها الى المعلم بطرس كرامه »[2] .

شوقٌ اليك بقلبٍ عنك لم يَغِبِ أليس ذلك في الدنيا من العجبِ
وحبّذا الشوق منسوباً اليك ولو اذاب قلبي فـان الحبَّ بالنَّسَبِ
يشوقني أنكم طيباً فاذكرُهُ فلا تلمني اذا استغرقتُ في الطربِ
وما ذكرتُ لقاءَ الحيِّ عن عبثٍ وما طلبتُ لقـاءَ الحيِّ عن أَرَبِ
قد وحّد الحبُّ حُبّيكَ القديمَ بهِ قلبٌ نكنّيهِ احشائي ابـا لهبِ
اخشى على الحبِّ من نيران صبوتهِ لو لم يكن حبُّكم من خالص الذهبِ

٥

لا واخذَ اللهُ اقلامي بان بدلت رؤيا الوجوه برؤيا الخطِّ في الكُتُبِ
وهكذا الدهرُ يا مولايَ عوّدني كلَّ ابتذالٍ انى في كلِّ مُطّلَبِ
يا طالما صنتُ نفسي عن تعرُّضهِ وظالما جدَّت الايامُ في الطلبِ
اقولُ ما ليس يرضيني توهّمُهُ «وانَّ في العسر معنى ليس في العنبِ»[3]
لا بارك الله في نظم القريض فـا حصلتُ منهُ على شيءٍ سوى التعبِ
وكلّما قلتُ يا مولايَ قافيـةً سمعتُها ، يا حماك اللهُ ، تضحكُ بي

١) مثل من امثال العرب يُضرب في نوال جمع المطلوب (في الاصل) .
٢) المخطوط ص ٤٨٣ . نُشر من هذه القصيدة في ديوان الشيخ ، طبعة ميخائيل رحمه ص (ع) اربعة عشر بيتاً فقط . واما نقلها عن المخطوط المشار اليه ونشرها بكاملها ، وهي في الديوان المطبوع غفلٌ من اسم بطرس كرامه المهداة اليه . وقد عرّض الشيخ ببعض ابيات هذه القصيدة باغراض لا تخفى عن القارئ .
٣) عجز بيت شعر للمتنبي :

وان تكن تغلبُ الظباءُ عنصرَها فان في العسر معنىً ليس في العنبِ

وما القريض وهن معنى يُرادُ بهِ ... إلّا انتراضٌ لهُ من غارة الحقبِ
تطنّهُ يبتغيها المرء منفردًا ... ويتّقيها اذا مرّت على الصُحُبِ
قد كان لي ، والاماني غضّةٌ ، طمعٌ ... في جانب النصر او في جانب الطَلَبِ
حتى نبيْتُ في الاوراقِ ضرب يدي ... كضربةٍ فضحت ورقاءَ[1] في العربِ
يا طالما ظلمتْ عيني بهِ سهرًا ... اجفانُها فجزاها الظلمُ من كثَبِ
وطالما رمَت كفّي البراعَ قلم ... تعرف سواهُ ولم تستغنِ بالقصَبِ
تحبّهُ كلّ يومٍ منهُ يقرأُها ... على الاماني رسولُ المكرِ والكذبِ
سمتُها قبل انشادي فقمتُ لها ... فورًا وأنشدتُ واعتادت فلم أجبِ
من يجمع النار فوق الماء في يدهِ ... يكادُ يفرق بين الفقر والادبِ
مطيّةٌ ربّما اقضت براكبها ... حتى امتطتهُ ، ولا تألُ عن السببِ
لولاكِ واللهِ لم أضربْ لهم وتدًا ... في ربع قيسون لا في ربعِ الخَرِبِ
وكم تكلّفتُ بيتًا كنتُ أضربهُ ... فرحتُ بين عمودِ البيتِ والطُنُبِ
انت ابنُ بجدتهِ الراوي غرائبهُ ... ومن سواك غريبُ الدار والنسَبِ
تجري اليك بهِ الاقلام ساعيةً ... على الرؤوس وذاك السعيُ لم يخبِ
وما يكلّف مثلي نظمهُ وانا ... أهنا نصيبيَ منهُ سورةُ النصَبِ

٥

حسبي اذا قيل اني شاعرٌ صفةٌ ... وليس حسبي كتابُ الشعر في الكتبِ
استغفرُ اللهَ من عصرٍ أضعتُ بهِ ... بعضًا من الجدّ في بعضٍ من اللعبِ
واللؤلؤُ الرطبُ ان لم يزنِ صاحبهُ ... فأين فرقُ الحصى واللؤلؤ الرطبِ
تكلّف السعد اقوامٌ على سببٍ ... فقاصم وأتى قومًا بلا سببِ
وان سهمك لا حظٌّ يلاحظهُ ... ولو رميتَ به البيداء لم تصبِ

٥

ومُرجعٍ في طرفًا لا يقلّبهُ ... إلّا على جهةٍ مأنوسة الريبِ
يا طالما لفظتني عينهُ وانا ... كالكحل يُلفظ من جفنٍ ولم يُعبِ
من دونهِ قابُ قوسٍ حين انظرهُ ... مني ودون رضاهُ سبعةُ الشُهُبِ
يُغضي ويزورُّ إعراضًا فأظلمني ... من شدّة الحلم لا من شدّة الغضبِ
طوى على عثراتي كشحَ مشتهرٍ ... ولبتنا لو تواقفنا على عتَبِ
وما بعينيهِ وَهنٌ حين ابصرني ... لكنّ وجهي من البأساء في نُقَبِ[2]

١) ورقاء : رجلٌ عبسي ، ضرب قاتل ابيهِ بالسيف ولم يسل شيئًا ، فسار مثلًا (في الاصل) .
٢) جمع نقاب .

من لي وإياك اعني بأمن منجبة ... يقول ابن الهنا من موضع الكُثُب[1]
رسالةٌ انت اولى من عرفت بها ... وانت بالامر اولى من اخٍ وابِ
وان نسبةَ قلبٍ بيننا جمعت ... ادنى لنا صلةً من نسبة العصبِ

٥

كرامةٌ منك بين القوم نعرفها ... منقولةٌ عنكَ عن آبائك النُجُبِ
«وقلَّما ابصرت عيناك من رجلٍ ... إلَّا ومعناهُ في اسمٍ لهُ لقبِ»
وانت اسرعُ من لبى واصدقُ من ... وفى وخيرُ امرءٍ للخير مُنتدَبِ
متى اخذتُ عليك العهد واحدةً ... فان ثانيةَ العهدين لم تجبِ

«وله في الشيخ امين الدحداح[2]»

لعينك ما بقلبي من شجونِ ... فيا عجب الحريق من العيونِ
ومنك صبابتي وعليَّ منها ... تحمّلها وليك بالمينِ
عرفتُ هواك منذ عرفتُ نفسي ... فهدي بالجنون من الجنينِ
وأعجبُ انني أقوى وبقوى ... وينمو كلَّما ذبلت غصوني
اليك اليك اشكو غير اني ... أُعيذك من جرا الحقّ المبينِ
وما الشكوى اليك وانت خصمٌ ... وما في العشق يا أُمي أرحميني
ولكني ألذُّ بذكر وجدي ... واشتقُّ الظنون من اليقينِ
وأحجنُ منهُ صافيهُ وان لم ... يكن بين الصفاء الى الحجونِ
يهيجُ مدامعي شوقي فاني ... أصبُّ الغلب او صبُّ الجفونِ
وأصفو كلما كدرت كأني ... امينُ الطبع او طبعُ «الامينِ»
همامٍ فاضلٍ برٍّ أنوفٍ ... إمامٍ كاملٍ حرٍّ رصينِ
تعالى الله ما احلاهُ وِرْدًا ... وأعلقَ راحتيهِ بالفنونِ
تروَّح بالمكارم فهي ثوبٌ ... ولكن لا يرثُّ الى المنونِ
اذا مرَّت بشأوٍ خفاقًا ... تناولها ثمالًا باليمينِ
يعدُّ المطل في الاحسانِ عيبًا ... وقد حسب الحياتِ من الديونِ
وبين بنانهِ قلمٌ قصيرٌ ... لهُ فعلٌ طويلٌ في الشؤونِ
اذا ما خطَّ في القرطاس خطًّا ... أرانا الملكَ فوق الياسمينِ
وفي نظم القريض لهُ قروطٌ ... تُعلَّقُ بالنهى لا بالجبينِ
يكادُ يميلُ من لطفٍ ولكن ... قواعدهُ على الوجهِ المتينِ

(للمقال صلة)

١) الجرَب .
٢) المخطوط ص ٤١٧ .

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

ابتداء دولة المغول وهم التتر

ان وطن التتر الاوّل قبل تبسّطهم في هذه البلاد الخارجية كان وادياً او بقعةً فسيحةً شرقي شمالي المعمور مساحتها مسير ثمانية شهور طولاً وعرضاً. وبقتهم هذه يحدّها شرقاً وطن الكتيّين الصينيين اعني الخطا . وغرباً وطن اليغوريّين الاتراك . وشمالاً ارض تُدعى سلنجاي. وجنوباً الهند . وقبل ظهور جنكزخان اول ملوكهم لم يكن لهم زعيم بل كانوا يؤدون الجزية لملك الكتيّين اعني الصينيّين . وكانوا يلبسون جلود الكلاب والذئاب ويأكلون (٤٠٩) الغيران وسائر الحيوانات الكريهة الميتة . ويشربون حليب الافراس . وعلامة زعيمهم الفارقة أنّ ركاب فرسه يكون من حديد وركاب البقية من خشب .

وفي هذه السنة وهي السنة ١٥١٤ لليونان (١٢٠٣ م) و٥٩٩ للعرب كان أونك خان اعني يوحنا الملك المسيحيّ متولّياً شؤون قبيلة من قبائل الهونيّين البرابرة يقال لها كريت . وكان جنكزخان ناهضاً بخدمته دائماً فلمّا اطلع اونك خان على نباهته وذكائه ونجاحه المتواصل حسده وحاول ان يقبض عليه ويفتك به . فشعر صبيّان من صبيان اونك خان بالدسيسة وأخبرا جنكزخان . وهذا بدوره أخبر أصحابه فتركوا خيامهم ليلاً واختفوا في مكمن . وعند الصباح تفقد اونك خان الخيام فلم يَرَ بها احداً . وانقضّ عليه اذ ذاك اصحاب جنكزخان واصطدم الفريقان بجانب معين يقال له بالشريه . وانتصر فريق جنكزخان وانكسر فريق اونك خان . وتناوش الفريقان غير مرّة حتى هلك فريق اونك خان وقُتل هو كذلك وسُبيت نساؤه وابناؤه وبناته . امّا ذانك الصبيّان فقد شرّفهما جنكزخان ووضع لهما ناموس حريّة باتهما في ايّ معركة حضرا هما وأبناؤهما من بعدهما جيلاً بعد جيل فلا يؤخذ منهم أحد .

ولهم ان يدخلوا دُور الملوك دون استئذان . واذا اقترفوا ذنباً فلا يُعاقبوا. ثم كافأ سائر الذين رافقوه في تلك المعركة وجعلهم زعماء . وكان في جملتهم بعض المغول المشهورين باسم اويرتين وقد أبدوا بطولة اكثر من غيرهم وجاهدوا خير جهاد وبالغ جنكزخان في تشريفهم ووضع شريعة تفرض (٤١٠) على كل ابنا. الملوك المتحدّرين من سلالته ان يتخذوا العرائس من بناتهم . وان يتخذوا هم كذلك العرائسَ لبنيهم من بنـات الملوك . وجرت تلك الشريعة بينهم حتى يومنا هذا .

اما الملك يوحنا الكريتيّ فلم يرذله الله تعالى الّا بعد ان زاغ قلبـه عن محبة المسيح مولاه الذي رفع مقامه. فقد اقترن بامرأة اسمها قراخطا من القبائل الصينية. وهجر دين آبائه وعبد الآلهة الغريبة . ولهذا انتزع الله جلّت احكامه المُلك من يده وأعطاه لمن هو أفضل وأعدل منه .

وظهر آنئذٍ بين التتر رجل يطوف الجبال والتلال عرياناً وسط الشتاء في البرد والزمهرير القاسي في تلك البلاد ويغيب اياماً ثم يأتي ويقول : اني زرتُ الله سبحانه وكلّمني وقال : ان الارض باسرها قد اعطيتها لتموجين واولاده وسمّيته جنكزخان . وكان اسمه القديم تموركين وسمّاه التتر تُبت تنكري.

ابناء جنكزخان

وَلد جنكزخان بنين وبنات كثيرين . اشهرهم واعظمهم اربعة هم الذين ولدتهم الملكة الكبيرة واسمها ياسونشين باجي. اولهم توشي . ثانيهم جغاتاي. ثالثهم اوكتاي . رابعهم تولي . فولّى توشي امر الصيـد والطرد وهو احبّ الامور واكرمها لديهم . وولّى جغاتاي أمر الشرع وهم يدعونه أليامه . وولّى اوكتاي سيـاسة المملكة . وولّى تولي الصغير أمر الجيوش والقواد . وعيّن لكل من الاربعة بلداً خصوصيًا يقيم فيـه . اما اخوه (٤١١) اوتكين تومان فانام مع ابنا. عمه وانسبائه في بلاد الخطا .

الشرائع التي وضعها جنكزخان

لم يكن للمغول كتاب وكتابة فامر جنكزخان العلما. الايغورتين فلقّنوا

ابنا. التتر لغتهم . وصاروا يكتبون اللغة المغولية بحروف ايغورية كما يكتب الاقباط لغتهم بحروف يونانيـة والعجم بحروف عربية . ثم أمر ان تُكتب الشرائع التالية :

الاوّل : اذا ارادوا ان يكتبوا الى الخوارج او يرسلوا اليهم سفيرًا فلا يهدّدونهم بكثرة جيشهم وعددهم بل يكتفوا ان يقولوا لهم : ان اطعتمونا فزتم بالخير والراحة وان خالفتمونا فـلا نعلم نحن بل الله الازليّ يعلم ما يحلّ بكم. وفي ذلك يبدو اتكالهم على الرب وهذا ما جعلهم يغلبون وينتصرون.

الثاني: ان يعتبروا ويحترموا الاعفّا. والأطهار والابرار والاساتذة والحكما. من اية امّة كانوا . وان يعتنوا الاشرار والائمة . وبنا انهم شاهدوا العفاف وتلك المزايا في المسيحيين اكثر من غيرهم فقد احبوهم في بدء دولتهم مدة وجيزة ثم انقلبت محبتهم بغضاً حتى أصبحوا لا يرضون ان يلحظوهم بعيونهم ثم أسلموا قاطبةً ربواتٍ في ربوات من مختلف الامم .

الثالث : ان لا يلقبوا ملوكهم واقطابهم القابا كثيرة حافـلة بالتقريظ والتبجيل على مثال سائر الامم ولاسيما المسلمين . وان يكتفوا لمن يستوي على عرش المملكة بلقب واحد فقط وهو خان او قان . اما اخوة الملك وانسباؤه فيجب ان يسموه باسمه الاول يوم ميلاده .

الرابع : عندما يكونون في طمأنينة من قتال الاعـداء يجب ان يلتهوا بالقنص ويدرّبوا ابنـاءهم في قنص الحيوانات كي يصبحوا محنّكين في الحرب ويحرزوا القوّة والصبر على الضيم . واذا بارزوا اعداءهم وجب ان يبارزوهم مبارزة الوحوش دون هوادة .

الخامس : يجب ان يتولى رئيسٌ واحد على عشرة من المحاربين ممن بلغوا العشرين من سنهم فصاعدًا . ويتولى كذلك رئيس على المائة ورئيس على الالف ورئيس على الربوة

السادس : يلزم كلّ الشعب (٤١٢) المغولي ان يساعـد الملك كل سنة بماله وثروته من خيل وغنم ولبن حتى الصوف .

السابع : يجب ان يظـلّ العسكري في صفة سواء اكان من الالف ام من المائة ام من العشرة ولا ينتقل الى مكان آخر والّا قتل هو والذي يقبله.

الثامن : يجب ان يُفرز من كل ربوتين من الخيل مركوبٌ للسفرا، يقف على ناحية الطريق .

التاسع : لا يؤخذ شيء للملك من تركة من يموت دون عقب . بل يجب ان تبقى تركته وامرأته لمن كان يخدمه .

وللمغول شرائع اخرى كثيرة ضربنا الصفح عنها حذرًا من الاسهاب وقد اوردنا منها بعضاً من عِدّ .

كيف انضمّ المغول الى عبادة الاوثان

لم يكن للمغول في اول الامر كتابٌ ولا دين خصوصيّ لكنهم عرفوا الاهاً واحدًا خالق الكلّ . وكان بعضهم يسمّون السماء الاهاً ويعتقدون هكذا حتى تغلبوا على الاتراك الايغوريين وصادفوا بينهم سَحَرةً يقال لهم قاميون . وسمعنا الكثيرين منهم يشهدون ويقولون : اننا سمعنا اصوات الابالسة تكلمهم من نوافذ الخيام . ذلك بعد ما يتنجّسون من رجالٍ آخرين لان اغلبهم خنافس. وتبلغ قذارتهم الى حدّ انهم اذا راموا عمل شيء من سحرهم اغتصبوا كل من صادفوه واضطرّوه ان يتنجّسهم . فلمّا شاهدهم المغول على تلك الصورة مالوا اليهم بقلبٍ سليم .

وبعد هذا بلغ جنكزخان ان للصينيّين اعني الخُطا اصناماً واحبارًا حكماء فارسل اليهم وفودًا وطلب منهم احبارًا ووعد انه يعاملهم اكرم معاملة . ولما وصلوا اليه امر ان يعقدوا جلسة مع القاميّين للمناظرة والجدال في قضية الدين. فتكلم الاحبار واوردوا شيئًا من كتابهم الذي يسمّونه «نوما» وتغلّبوا على خصومهم وأفحموهم وهم خالون من كل علم . ومن ثم ازداد اعتبار الاحبار لدى المغول فامتثلوا امرهم (٤١٣) واستنبطوا لهم اصناماً وسبكوا لهم تماثيل على شاكلة بلادهم وجعلوا يقرّبون الذبائح والضحايا كعادتهم . وعلى اكرامهم للاحبار لم يحتقروا خصومهم القاميّين وغدا الحزبان ما بينهم يتفرّد كل حزب بعمله لا يحتقر احدهم صاحبه . ذلك خلافاً للامم اصحاب الكتب والانبياء فانهم كلما اجتمعوا ثلبَ احدهم صاحبه وحكم بانه كافر .

وفي كتاب الاحبار المذكور نُبَذٌ من أمثال الوثنيين ممّا اورد بعضه القديس

غريغوريوس اللاهوتي وبينها شرائع حسنة : كالنهي عن الغدر والاذى وعن مقابلة السوء بالسوء وعن قتل الحيوان الصغير كالفصل والبق . وهم يعتقدون عقيدة افلاطون بتناسخ الارواح . وان الابرار والصديقين الصالحين تنتقل بعد موتهم ارواحهم الى اجساد الملوك والزعماء . وتنتقل ارواح الاشرار والاثمة الى اجساد مقترفي الشرور فتعذبها وتنكل بها . وقس عليها اجسام العجماوات والدوابات والطيور . واذا أحضر احدٌ لاولئك الاحبار لحماً ليأكلوا سألوه : هل قتلتَ هذا الحيوان لاجلنا ام اشتريته من السوق ؟ فاذا قال لاجلكم أبوا اكلهُ .

ما الذي دفع المغول ليحاربوا بلاد العجم وغيرها من بلاد الغرب ؟

لم يكن للمغول حضارةٌ فاحتاجوا الى استحضار ألبسة وفرش من سائر المدن . وكتب جنكزخان الى التجار يؤمنهم كي يحضروا الى بلاده وامر حرّاس الطرق اعني القرقوشيين ان لا يتصدّوا لاحد منهم . فأقبل ثلاثة رجال من بخارى في ثياب واقمشة ممتازة وبضائع مختلفة عرفوا ان المغول في حاجة اليها ووصلوا الى المعسكر الكبير . فأمر جنكزخان اصحابه فأشرفوا على تلك البضائع (٤١٤) وسألوا عن قيمتها . فطلب احمد احد اولئك التجّار الثلاثة الفين ومائة درهم فضةً بما قيمته عشرة دنانير . فسخط جنكزخان وقال : هل يظنّ هذا الانسان اننا لم نشاهد بضاعةً البتة ؟ ثم اشار الى القهارمة فأحضروا بضائع مذهبة كثيرة وعرضوها على اولئك التجّار . ثم أمر باعتقال ذلك التاجر وكتابة كلّ ما معه . ثم احضروا التاجرَين الآخرين واطلعوا على بضائعهما وسألوا عن قيمتها فلم يذكراها لهم لكنّهما قالا : انا جئنا بهذه البضائع كهدايا للخان فاذا احبَّ ان يتكرّم علينا بشي فهو يعرف . فأعجب الخانَ كلامهما وأمر ان يدفعوا لهما بدلاً من كل آنية مذهبة سبعمائة مثقال . وبدلاً من كل قطعتي قماش قطن سبعمائة مثقال فضّة . ثم اشفق على التاجر الثالث ودفع له مثلما دفع لرفيقيه .

ثم اصدر السلطان امره الى الملكات والى ابنائه وبناته ليدفعوا ذهباً لعبيدهم ويرسلوهم مع اولئك التجّار الثلاثة ليأتوهم ببضائع . فامتثلوا الامر

واجتمع زها. اربعمائة تاجر وأرسلَ معهم سفيرًا الى محمّد سلطان العجم يقول : قد أوصينا ان يسود الامان دولَ الارض كلّها منذ الآن فصاعدًا . وان يغدو التجّار ويروحوا دون خطر ليعيش الاغنيا. والماكين في السلام ويشكروا الله تعالى . ولمّا ارتحل السفير والتجّار ووصلوا الى مدينة اوترار بالعجم أرسل ايناشاوق الوالي فاخبر السلطان فطمع السلطان بما معهم وأمره ان يقضي عليهم كافةً خفيةً . فنهض الوالي بأمر وأفلت واحدٌ منهم باشارة الهية وعاد فاخبر جنكزخان بما جرى . فاستشاط غضباً وقصد وحده قمّة الجبل وكشف رأسه ولصق وجهه بالتراب واقام هناك ثلاثة ايّام طاوياً (٤١٥) يحدّق في السما. ويقول : ايّها الربّ الخالق الاكوان انت تعلم ان غايتي انّما هي للخير . وهذا عدوّي هو الذي بدأ يريد الشرّ . فأتوسّل اليك ان تجازيه حسب اعماله . ومذ ذاك جعل جنكزخان يوجّه الجنود الى بلاد العجم ليحاربوها بفم السيف كما سنذكر ذلك .

انتزاع الفرنج قسطنطينية من اليونان.

في نيسان السنة ٩٠٠ للعرب و ١٥١٥ لليونان (١٢٠٤م) انتزع الفرنج قسطنطينية من اليونان وألغوا دولتهم منها . وكان ملك اليونان قد اقترن باخت الملك فرنسيس وولدت له ابناً . وكان لملك اليونان اخٌ خرج عليه وقفأ عينيه وأماته في السجن . فانهزم ابن القتيل يريد خاله الملك فرنسيس فحملته النخوة وجنّد الجنود واقبل الى قسطنطينية وحاصرها . وكان الاهالي حاقدين على الطاغية قاتل اخيه فاضرموا المدينة بالنار والتهى المحاربون على الاسوار فتسلّق الفرنج وهبطوا المدينة وهزموا الطاغية . وقلّدوا ذلك الفتى عرش المملكة بالاسم والصورة وتولّوا هم الامر . وجعلوا يضايقون الاهالي بالضرائب الباهظة. وابتزّوا امتعة الكنائس والصلبان وصفائح الاناجيل وما على الصُوَر من ذهب وفضّة .

ولمّا شاهد الاهالي تلك القساوة وذلك النهب وثبوا الى الفتى ابن المليك وفتكوا به واخرجوا الفرنج من المدينة واغلقوا الابواب في وجوههم . وظلّ الفرنج يترسلون في الحرب خارجاً حتى كلّ الاهالي وخارت قواهم وأرسلوا

يستغيثون بالسلطان ركن الدين صاحب قونية ولكنه لم يتمكن من مساعدتهم وعند ذلك ثار التجار الفرنج القاطنون المدينة وهم (٤١٦) زهاء ثلاثين الفاً لم يدر احد بعددهم هذا الغير نظراً الى اتساع العاصمة واضرموا النيران في المدينة ثانية حتى التهمت ربعها تقريباً . ثم فتحوا الابواب للفرنج فدخلوا وامتشقوا السيوف وقتلوا من اليونان جماهير غفيرة . ولاذ الكثيرون منهم بكنيسة اجيا صوفيا فسار اليهم الفرنج وخرج اليهم البطريرك والاساقفة والقسان حاملين الصلبان والاناجيل وخرّوا امامهم صارخين مبتهلين في شأن البقية التي في الكنيسة فلم يكترث لهم الفرنج بل اجهزوا عليهم وعلى الكهنة وانتهبوا الكنيسة .

وكان يتولى قيادة الفرنج ثلاثة زعماء : اولهم دوقس البنادقة وهو شيخ ضرير وفي سفنه ومراكبه ركبوا . ثانيهم المركيس مقدّم الافرنسيس وثالثهم غوندفلند . واقترعوا على مَن يملك قسطنطينية فخرجت القرعة للثالث . وتولى البنادقة جزيرتي اقريطش ورودس وغيرهما من الجزائر . وتولى المركيس البلاد التي هي شرقي الخليج الذي يمرّ في البنطس كاللاذقية ونيقيّة وفيلدلفية وغيرها . ولكنّها لم تَدُم له لان لشكري البطريق اليوناني تغلّب عليها وانتزعها منه .

وكان نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وابن عمه قطب الدين محمّد ابن زنكي صاحب سنجار على ولاء تامّ . لكنّ الملك العادل القى بينهما الخلاف . ومن ثم زحف نور الدين الى نصيبين وهي لابن عمه وحاربها وكاد يحتلها لو لم يأته الخبر من الموصل بان مظفّر الدين كوكبري ابن زين الدين علي كوجك صاحب اربيل زحف الى نينوى وسباها واحرق غلاتها . بناء عليه ترك نور الدين (٤١٧) نصيبين وسار الى مدينة بَلَد فسمع ان مظفّر الدين عاد الى اربيل فسار هو الى تلّ عفر واخذها عنوةً . وكان الملك الاشرف بن العادل في حرّان يومئذٍ فأقبل الى راس العين واتفق مع مظفّر الدين صاحب اربيل ومع صاحب آمد وحصن كيفا ومع صاحب الجزيرة وصاحب دارا ليمنعوا صاحب الموصل عن اخذ شيء من صاحب سنجار . واحتشدوا جميعاً في نصيبين ثم ساروا الى باعربايا . وسار نور الدين الى كفر زمار ومنها الى بوشذه وحلّ هناك هو وعسكره ليستجمعوا قواهم . فركب الاشرف ومن معه ونازلوا نور الدين فانكسر جيش نور الدين اقبح انكسار وأفلت مع اربعة من رجاله

فقط الى الموصل . وزحف خصومه الى ضواحيها وسبوا واحرقوا وعاثوا خصوصا في مدينة بَلَد .

قيل ان امرأة كانت تطبخ طعاماً سمعت ما جرى من السبي فاخرجت دملجين من معصميها وطمرتهما في النار وانهزمت . فاقبل احد الفرسان الى بيتها يبحث عن شيء يأكله فلم يظفر الّا ببيضة واحدة فاخذها وقعد النار ليشويها وفيما كان يقلب النار عثر على ذينك الدملجين . تلك مصادفة غريبة .

واقام خصوم نور الدين أياماً كثيرة يعيثون في الضواحي والرسل يغدون ويروحون حتى استرجعوا تل عفر واعطوها لابن عمه وعقدوا الصلح وتفرّقت العساكر .

وبعد ما احتلّ الفرنج قسطنطينية استجمعوا قواهم واقبلوا الى فونيقية وسبوا حتى الاردن واجهزوا على كثير من العرب ووصلوا الى حماة فخرج اليهم ناصر الدين بن تقيّ الدين بن شاهنشاه بن ايوب فانكسر اقبح انكسار وانقلب الى حماة . وخرج الحمويون لمبارزة الفرنج فهلكوا قاطبة . فارسل الملك العادل وأعطى الفرنج الناصرة وسائر البلاد التي كانت غلّاتها تُقسم بين الفرنج والعرب وعُقدت (٤١٨) الهدنة .

وما عتم ان خرج اقوام آخرون من الفرنج واقبلوا الى مصر وغنموا غنيمة وافرة وعادوا .

وفي تلك السنة انتزع السلطان ركن الدين صاحب قلطية وقونية مدينة انقرة من اخيه بعد ما حاصرها اعواماً لانها كانت حصينة جداً . وأخرج منها اخاه وابنَيه واعطاهم قلعةً في الحدود الخارجيّة . وفيما كانوا ذاهبين وتجه اليهم اخاه ركن الدين واصحابه بشكل لصوص وفتكوا بهم . ولم يمضِ على قتلهم خمسة ايام حتى أُصيب بداء المفاصل ومات حالاً . وخلفه ابنه قلج ارسلان وهو في سنّ الفتوة . وكان ركن الدين داهيةً منتظماً في اعماله ميّالاً الى رأي الفلاسفة الخوارج لا يتظاهر بذلك .

وفي تلك السنة حدثت زلزلة مريعة قوّضت سور صور وابنية كثيرة في مصر وفلسطين وما بين النهرين والموصل وقبرس وصقلية .

وفي السنة ٦٠١ للعرب (١٢٠٤) نشأ خلاف بين الزعماء في بلاد الروم .

وارسل اميرٌ من امراء اوج ببلاد التركمان الملاصقة لبلاد اليونان فطلب غياث الدين كيكسرو الذي كان قد هرب ولاذ باليونان . وحشد جيوشاً جرّارة زحف بها الى قونية . فخرج عساكرها وكسروا المهاجمين وهزموهم . اما غياث الدين فحار في ما يصنع والى اين يذهب فلاذ بمدينة صغيرة مجاورة لقونية تدعى ابجرام . ولمّا شعر اهالي أقسرا اشفقوا عليه وطردوا حاكمهم ونادوا باسم غياث الدين وضارعهم اهالي قونية فاجتمعوا بزعمائهم ونادوا باسمه وبعثوا فاستحضروه اليهم . فالقى القبض على قلج ارسلان الفتى ابن اخيه وسجنه هو واصحابه وما عتم ان خضع له (٤١٩) اهالي البلاد اجمع . وجاء اليه اخوه قيصرشاه من الرها وكان قد هرب من وجه اخيه ركن الدين عندما انتزع منه ملطية فاعطاه ذهباً وافراً واعاده الى الرها ولم يرضَ ان يبقى لديه .

وسار السلطان غياث الدين الى قيسارية وزاره الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط ونظام الدين صاحب حصن زياد وأبديا له الخضوع فعظم امره جدًا .

وفي تلك السنة سار ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان صاحب آمد يريد الاشرف بن العادل وسأله ان يتوجه معه ويعيد اليه حصن زياد مثلما وعده . فحشد الاشرف جنود سورية والموصل وسنجار والجزيرة وزحف الى تلك المدينة واحتلها وجعل الفريقان يحاربان في القلعة . واذ ذاك توجه صاحب حصن زياد الى السلطان غياث الدين ليستنجده فسيّر اليه ستة آلاف فارس بقيادة الملك الافضل صاحب سميساط . وبيلوغهم الى ملطية سمع الاشرف وصاحب آمد فانحرفا نحو خرت برت (حصن زياد) وسارا الى بحيرة سمانين وفيها قلعتان احداهما لصاحب آمد والثانية لصاحب حصن زياد وصوّبوا القتال نحو قلعة حصن زياد وامتلكاها واقاما فيها حرّاساً . ولما وصل السلطان الى خرت برت ارتحل صاحب آمد الى بلده ورجع جيش السلطان الى بلاد الروم .

وفي السنة ٦١٥ لليونان (١٢٠٥ م) زحف الكرج الى اذربيجان وقتلوا خلقاً كثيرًا وغنموا غنائم وافرة . ثم توجهوا الى خلاط وارضروم . فتوجه صاحب خلاط يزيد ابن قلج ارسلان صاحب ارضروم واخذ من عنده جيشاً وعاد فبارز الكرج وقُتل في الحرب زكي الصغير القائد الكرجي وانهزم

الكرجيون الى بلادهم .

وفي تلك السنة ولدت امرأة ولداً ذا (٤٢٠) رأسين واربع ارجل واربع أيدٍ ومات في يومه . ودخل اعميان عربيان ليلاً احد مساجد بغداد وقتلا أعمى آخر يظنان انهما يجدان معه دراهم . ولما كان الصباح خافا وخرجا ليفرّا الى الموصل ولقيهما جنديّ ذاهبٌ في امر من الامور فقال على سبيل المزاح ان هذين الاعميين قد قتلا ذلك الاعمى . لانه لا يقتل الاعمى غير الاعمى . ولما سمعا كلمة الجنديّ جلس احد الاعميين على الارض وقال : اقسم بالله لست انا الذي قتله بل هذا . فقال الثاني : كلّا بل انت قتلته . فقبض عليهما معاً وسيقا الى المحاكم فأقرّا ان الواحد أمسكه والثاني خنقه بالحبل فامر الحاكم ان يُقتلا.

وفي السنة ٦٠٢ للعرب (١٢٠٥ م) ظهر جنسٌ من الاكراد التيرهانيّة انحدروا من جبال حاداي واحدثوا خراباً عظيماً في تلك الانحاء . فزحف اليهم جيش العجم وقتل بعدد غفير منهم . على ان هولاء الاكراد لم يدينوا بدين الاسلام بل استمرّوا في عبادتهم الوثنية المجوسيّة القديمة . وكانوا اذا وقع بين يديهم مسلمٌ نكّلوا به اشدّ التنكيل وقتلوه . ومن عاداتهم انه اذا وُلدت لاحدهم ابنةٌ وقف على باب بيته وصاح قائلاً : مَنْ يخطب هذه البنت ؟ فاذا قرر احدٌ خطبتها تركها حية والّا قتلها . ولهذا السبب نساؤهم قلائل وقد تكون المرأة لجميع رجال البيت الواحد . واذا غشيها الواحد منهم ترك حذاءه على الباب لئلا يدخل احدٌ غيره ريثما يخرج هو فيدخل الثاني . اما الولد الذي يتّلد فيكون الكبير فيهم أباه .

وفي السنة ٦٠٣ للعرب (١٢٠٦ م) زحف الكرج ثانيةً الى بلد خلاط وسبوا واحرقوا وقتلوا وانقلبوا . واحتلّ غياث الدين كيكسرو في شهر شعبان انطاكية وهي على ساحل البحر . وكان قد وجه اليها الجيوش في السنة الماضية وبعث اهاليها اليونان الى قبرص القريبة منهم يستنجدون الفرنج (٤٢١) . اما السلطان فاستدعى جيوشه من المدينة واقامهم كمناً في الجبال فكانوا كلما خرج منها احد قبضوا عليه . وظلوا متقلّبين في الضيق حتى ارسلوا الى السلطان وسلّموه المدينة . واتفق الاتراك واليونان وحاربوا الفرنج وانتزع السلطان قلعتها واستأسر من فيها من الفرنج واحتلّ كوتلس كذلك .

وفي هذه السنة استقبل امر محمد بن بكتمر سلطان خلاط فقتك بعصره هزار ديناري قاتل ابيه وقد تقلّب في عيش بذخ منذ نعومة اظفاره فابغضه الخلاطيون . وانتقض عليه بلبان احد عبيد شاه ارمن في منازكرد وارسل بعض الخلاطيين الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازي بن ألبي بن تيمورطاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين يقولون : ان هذا ابن خال ابيك ليس له رأس ليعيش فهلمّ تسلك المدينة . فزحف صاحب ماردين في جيوش اتراك ومعدّيين وهم جياع وتهيّأوا للحرب . غير ان بلبان ارسل الى صاحب ماردين يقول : ان الخلاطيين ينفرون من المعدّيين الذين معك فالأولى ان تترك خلاط وانا ادبّر امرك . غير انه لم يرضَ فارسل اليه بلبان يتهدّده إلم يرجع الى بلده . واخيرًا لما رأى ان جيوشه قليلة خاف وعاد وشاهد بلده قد غزاه الملك الاشرف . وقد اقام الاشرف في دُنيسر وجمع منها اموالًا كثيرة وتركها وعاد الى حرّان .

اما بلبان فحشد الجنود وزحف الى خلاط ولم يتيسر له احتلالها حربًا . وجعل يعد الخلاطيين وعودًا طيبة وأقنعهم لهم ايمانًا مغلّظة بانه لن يؤذي احدًا البتة فسلّموه . ولما دخل المدينة اوثق ابن بكتمر وسجنه في احد الحصون وقوي أمره . وفي تلك الغضون سار الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل واحتل قلعة (٤٢٢) موش ومدينتها وتوجه الى خلاط . فاغلق بلبان الثغور وفتك بكثيرين من اصحابه وافلت نجم الدين مع قليل من المصابين بالضربات ووصل الى ميافرقين بلده .

وفي تلك السنة احتلّ الكرج مدينة القَرص بولاية خلاط بعدما حاصروها اعوامًا كثيرة وقطعوا عنها الذخيرة . وفي هذه السنة ٦٠٤ للعرب (١٢٠٧ م) ارسل الملك الاوحد الى ابيه الملك العادل يستنجده ليزحف الى خلاط . فسيّر اليه الملك الاشرف في جيش كثيف وحطوا الرحال قرب المدينة فبرز اليهم بلبان ولكنه عجز عن مناهضتهم وانهزم من امامهم وعاد الى خلاط وارسل سفيرًا الى مغيث الدين بن قلج ارسلان صاحب ارضروم يستنجده . فاقبل هو بذاته وخرج بلبان الى لقائه ونازلا كلاهما الملك الاوحد واخاه وحطمطخاهما وهزماهما . وواصلا الزحف الى موش وكادا يحتلانها لو لم يغدر ابن قلج ارسلان

ببلبان ويقتله ليتولى هو خلاط . لكنه لما توجه اليها سدّ الاهالي الابواب في وجهه فانقلب الى منازكرد فقاومه اهاليها كذلك فعاد الى بلده مأيوسا . ثم ارسل الخلاطيون فاستدعوا الملك الاوحد وولوه المدينة .

غير ان الولاة العرب المجاورين لم يُرُقهم ابن العادل اذ كانوا يتخوّفون من ابيه . فجعلوا يغزون الخلاطيين ولاسيما الكرج . ثم انتقض بعض الامراء الخلاطيين على الاوحد واحتلوا قلعة وان وهي من احصن القلاع في تلك الانحاء . واحتلوا معها ارغيش . ولم يتمكن الاوحد من استرجاع وان الا بعد مضايق كثيرة وتوسّط الاشرف اخيه . وقد استاء الخلاطيون بتسليم المدينة الى اصحاب العادل . ولهذا لمّا خرج الاوحد الى منازكرد لينظّمها (٤٢٣) كما يجب وثب الخلاطيون زعماء الصفوف اعني المنجداكير بلسانهم الى احزاب الاوحد وطردوهم من المدينة وحاصروا القلعة . فسمع الاوحد وزحف الى خلاط في جيوش ما بين النهرين . ووقع اذ ذاك خلاف بين الاهالي فاحتلّ الاوحد المدينة وفتك بجماهير غفيرة من الخلاطيين واعتقل الكثيرين ورحّلهم الى ميافرقين . هكذا خمدت فورة الشبان زعماء الصفوف الذين كانوا ينصبون ويعزلون من شاؤوا .

وفي تلك السنة مات غياث الدين كيكسرو وخلفه ابنه عزّ الدين كيكاوس . فقبض على اخيه علاء الدين كيقباد واعتقله في قلعة مسارا التي باسفل دير مار اهرون بالجبل المبارك قرب ملاطية .

وفي السنة عينها زحف الفرنج من طرابلس الى حمص وعاثوا في ضواحيها وتعذّر على صاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه الكبير ان يدخرهم . ولستولى القبرصيون كذلك على سفن حربية شتى واعتقلوا اصحابها . فسمع العادل وغادر مصر في جيوشه فكفّ الفرنج .

وفي تلك السنة مات كذلك علاء الدين بن قرا سنقور صاحب حراغة وخلفه ابنه الصغير وما عتم ان مات هو كذلك . فاقبل نصرة الدين ابو بكر ابن البهلوان صاحب تبريز واحتلّ المدينة وحصّنها سوى قلعة راوند فقد قاومه فيها الحاجب مربي الفتى المتوفى .

وفي السنة ٦٠٥ للعرب (١٢٠٨ م) زحف جيش ضخم من الكرج الى

ضواحي خلاط ودخلوا مدينة ارغيش واحتلوها وانتهبوها وفتكوا بشيوخها وشبانها واعتقلوا النساء والبنين والبنات وقوّضوها وتركوها قاعاً صفصفاً . وكان نجم الدين الاوحد في خلاط ولم يتمكن من مبارزتهم لكثرة عددهم فضلاً عن انه لم يكن واثقاً بالاهالي وقد سبق ففتك بالجاهير منهم . واعتقد انه ان غادر المدينة تمرّد اهلها وسلموها الى الكرج .

وحدث في تلك السنة زلزال قويّ (٤٢٤) في نيسابور اضطرّ الاهالي بسببه ان يغادروها قاطبةً الى البرّية ومكثوا هناك اياماً كثيرة حتى انتهى الزلزال فعادوا . وحدث زلزال كذلك في خراسان الا انه لم يكن قوياً كزلزال نيسابور .

وفي السنة ٦٠٦ للعرب (١٢٠٩ م) عُقد الصلح بين الملك العادل ونور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل . وزفّ نور الدين ابنته الى احد ابناء العادل . ثم اتفقا على ان ينتزعا سنجار من صاحبها قطب الدين ويتولاها العادل . ثم يحتلان جزيرة قردو من ابن سنجر شاه صاحبها ويتولاها نور الدين . وتأهب العادل واقبل فاحتلّ الخابور ونصيبين وكانتا لصاحب سنجار . فسمع نور الدين وندم وأسى كل الاسى من سكرته وافتكر انه اذا احتل سنجار والجزيرة فلا بدّ ان ينتزعها منه وينتزع الموصل كذلك من يده . ولمّا شاور المفكّرين لاموه جميعاً لانه لم يُبح لهم بما عقده مع العادل سرّاً . ثم قالوا له : لا مندوحة لك الّا بانجاز ما وعدتهُ به . والّا فيقيم عليك الحجّة ويأتي اليك كن يأتي الى من نقض الأيمان . واذ كان يتخبّط بتلك الهواجس ويتظاهر بانه يهيّئ جيشاً ليرسله الى نجدة العادل وافاه سفيرٌ ليلاً من قبل مظفّر الدين كوكبري صاحب اربيل يعده بان يحشد جيوشه ويوافي اليه ويتّفقان معاً على كفّ يد العادل من تلك البلاد . فابتهج نور الدين كل الابتهاج وحلف على ذلك وعاد السفير في الليلة عينها واخبر مظفّر الدين . فحشد جنوده وسارع حالاً وحلّ خارج الموصل . ثم ارسل سفيرًا الى الخليفة ليكتب الى العادل ويمنّعه بسبب طمعه . وسيّر سفيرًا ثانياً الى الملك الطاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى السلطان عزّ الدين كيكاوس فوعده الجميع بالمساعدة . زد عليه ان اصحاب العادل انفسهم لم يحاربوا سنجار حرباً قويّة ولا سيما أسد الدين صاحب حمص فقد

كان يرسل علائيةً الى المدينة قحا(٤٢٥)وعنا . وكان صاحب سنجار مستعدًا ان يسلّم البلدة ويأخذ عوضها ولكنه تشجّع وتثبت . ثم وصل سفير الخليفة الناصر ووبّخ العادل فلم يرَ الّا ان يعقد الصلح ويكتفي بالخابور ونصيبين ويعود الى سوريّة .

ولمّا كان مظفّر الدين صاحب أربيل يومئذٍ في الموصل زفّ ابنتَيه الى عزّ الدين مسعود وعماد الدين زنكي ابنَي نور الدين وكان مظفر الدين فيما سبق يعضد اصحاب العادل لكنّه لمّا ارسل صاحب سنجار ابنه متوسّلًا اليه ليراجع العادل كي يتركه في مركزه كتب اليه في ذلك واثقًا بانه لو طلب نصف بلاده لَما رفض طلبه . لكنّ العادل أغمض عن توسّله فارتاب مظفّر الدين وانضمّ الى نور الدين على رغم ما كان بينهما من المشادّة قبل ذلك .

في هذه السنة مات فخر الدين الرازيّ بالغًا ثلاثًا وستين سنةً قمريّةً وكان من افاضل فقهاء زمانه وقد استنار العرب وما برحوا يستنيرون بتصانيفه الكثيرة. ضارع اوريجانيس الذي بعدما استفاد علماء الكنيسة بتآليفه عادوا فاعتبروه هرطوقيًا وكذلك الرازيّ فقد اعتبره العرب كافرًا مجاريًا اريسطو في آرائه .

وفي السنة ٦٠٧ للعرب (١٢١٠ م) مات محمّد بن حسن إمام الاسمعيليين . وقد ضاهى أباه في علم الفلسفة وأفرغ كلّ الجهود في تقويض اركان الدين الاسلاميّ . وفتك على يد اصحابه بجماهير من الولاة الذين لم يؤدّوا له جزية فكان يرسل أعوانه ليصارعوا اولئك الولاة فتجري بين الطرفين ملاحم فظيعة. وقد طالما ضحّى الاسمعيليّون بحياتهم انجازًا لرغبة مولاهم الاثيم الطاغية (٤٢٦) واستغرقت إمامتهُ العاتية ستًا واربعين سنة حتى هلك وخلفه ابنه جلال الدين حُسَين . وتظاهر في اوّل امره انه موافق للدين الاسلاميّ يصوم ويصلّي. وكتب الى خليفة بغداد والى السلطان محمّد خوارزمشاه والى سائر ولاة العرب بانه انصرف عن عادات ابيه السيّئة وجعل يسير في الطريقة الاسلاميّة . فوثقوا به وابتهجوا واجزلوا له العطايا والهدايا الفاخرة .

وفي تلك السنة مات نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ابن اقسنقور صاحب الموصل . وكان عادلًا قويًا يهابه ابناء رعيّته وملوك عصره. ولمّا دنا أجله استحلف زعماءه بشأن الملك القاهر عزّ الدين مسعود ابنه الكبير.

وولّى عماد الدين زنكي ابنه الصغير قلعتي العقر وشوش مع اعمالهما . واقام وصيًا لها مملوكه بدر الدين لؤلؤ وكان رجلًا مهيبًا حكيمًا يستحق ذلك المنصب . على انه لمّا ثقل المرض على نور الدين اشار الاطبّاء ان يسبح في عين دير القديس زينا بسواحل دجلة فسار مع بدر الدين وسبح ولكنه لم يستفد لان داءه كان داء الموت . وما كاد يُركبه بدر الدين سفينة ليعيده الى الموصل حتى عاجلته المنون . ولم يكن معهما سوى مملوكين فقط . فحمله الثلاثة ليلًا الى داره دون ان يشعر احد وظلّ بدر الدين طول النهار منصرفًا الى تنظيم الشؤون الضرورية حتى الساعة التاسعة فأعلن خبر موته وشيّعوه ليلًا ولحدوه في قبر سبق فأعدّه لدفنه تجاه داره . وخلفه ابنه الملك القاهر واصبحت سياسة الولاية بيد بدر الدين .

وفي السنتين ٦٠٨ و٦٠٩ للعرب (١٢١٢—١٢١٣ م) لم نعثر على خبر يستحق الذكر .

وفي السنة ٦١٠ للعرب (١٢١٤ م) مات المهذّب المعروف بابن هبل الطبيب البغدادي في الموصل . وكان وحيد عصره . درس على ابي البركات الطبيب اليهودي البغدادي . انتقل من بغداد الى الموصل ومنها الى اذربيجان ومنها الى خلاط واقام بخدمة شاه ارمن وربح اموالًا طائلة . ولمّا مرض الملك اخذ الطبيب تفسرته ليفحصها كالعادة فقال له احد العبيد : ذُقها ايها الطبيب . فسكت الطبيب وتثنّى ثم استدعاه في خلوة وقال له : هل تتنبّك احد ان تقول لي ما قلتَ ؟ هل أمرك الملك او احد أهاليه بذلك ام قلته من عندك ؟ قال العبد كلّا . لكني سمعتُ يقولون ان شرط اختبار التفسرة ذوقها . كما ان لسائر الاشياء لونها ورائحتها وقوامها . فقال الطبيب الامر كذلك ولكن لا في كلّ الامراض . واعلم انك اسأتَ اليّ كثيرًا بكلمتك هذه لان الملك اذا سمع هذا ظنّ اني قد أخللتُ بشرط واجب من شروط خدمته . ثم انه عمل على الخروج من خلاط خوفًا من العاقبة واعطى ذلك العبد مبلغًا من الدراهم راغبًا اليه ان لا يتفوّه بعبارة مثل هذه . وما عتم ان استعفى من الخدمة وابتأذن في العودة الى الموصل واقام بها حتى وفاته . وعدم بصره في آخر ايامه وكان الكثيرون يتردّدون ويقرأون الطب عليه ويتقنونه . وعاش خمسًا وتسعين

سنة. وصنف كتابا حسناً في الطب سماه المختار في اربعة مجلدات تتداوله ايدي الكثيرين حتى يومنا .

وفي السنة ٦١٠ للعرب عينها صمم جنكزخان ان يذهب بذاته الى بلاد العجم . ولما وصل الى نواحي تركستان سار في خدمته جميع الامراء هناك في عساكرهم . منهم ايدي قوب من بيش باليغ وعساكره . والامير سقناق(٤٢٨) تكين من الماليغ مع فرسانه وغيرهما . واذ ذاك وجه جنكزخان ابنه توشي الكبير في خمس ربوات الى ناحية خجند. وارسل ابنيه الآخرين جغاتاي واوكتاي الى مدينة اوتراد وتوجه هو نحو بخارى وأوصى الذين ساروا الى اوترار ليشددوا القتال عليها وقد ظلت خمسة أشهر تناوشهم . لان السلطان محمداً لم يكن يترك فيها اكثر من خمسين الف فارس وعلى رأسهم غاير خان وعشرة آلاف غيرهم وعلى رأسهم قراجا الحاجب الخاصّ . ولما رأى قراجا المذكور ان عساكره لا توازي عساكر التتر خرج في جمهور منهم من باب صوفي يريد المغول فعوّقوه الى الصبح ثم مضوا به الى ابني جنكزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنه احوال المدينة وعساكرها وقالا له : اذا كنتَ انتَ ما ابقيت على مولاك فلن تبقي علينا كذلك ونحن في غنًى عنك . ثم أمرا بقتله وقتل كل من معه . وفي اليوم عينه احتلّ التتر المدينة وأخرجوا جميع اهاليها رجالًا ونساء الى ظاهرها واغاروا على ما فيها . وبقي غاير خان في عشرين الفاً من خيرة رجاله متفرّقين في سطوح البيوت العالية وفي ابراج السور لم يتمكن منهم المغول . وجعلوا يخرجون خمسين خمسين راجلين يقاتلون التتر ويُقتلون حتى بقي منهم نفران لا غير مع غاير خان على سطح البلاط . واحتشد عليهم اغلب التتر حتى فتكوا بذينك الاثنين بعد عناء جسيم . وبقي وحده وقد نفدت سهامه يقاتل بالآجر واللبن الذي كانت الفتيات الجواري يناولنه من الجدار . وكان قد برز مرسوم الخان ان لا يُقتل في الحرب بل يُقبض عليه حيًّا . فامتثل التتر أمره وقبضوا عليه بعد تعب جسيم ومضوا به اليه (٤٢٩) فأمر بقتله في كوك سراي اعني الدار الخضراء .

وفي السنة ٦١١ للعرب (١٢١٤ م) استولى السلطان عزّ الدين كيكاوس على سينوف بساحل بحر البنطس وقتل قير ألكس صاحبها . وفي السنة التالية

احتل انطاليا من الروم للمرة الثانية .

وفي السنة ٦١٣ للعرب (١٢١٦م) مات الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب حلب واوصى بالولاية لابنه الصغير الملك عزيز محمد وكان عمره يومئذ سنتين وبضعة اشهر . وكان له ابن ثانٍ اكبر ولكنه فضّل الصغير لان امه كانت بنت الملك العادل معتقدًا ان يعامله بالحسنى . واقام الظاهر للابن الصغير وصيًا يقال له شهاب الدين طغرل الموصوف بعدالته وعطفه. وقد رتع الحلبيون في عهده في بحابح الخير والسلام بسبب سياسته الرشيدة. وورد الاسلاب التي استلبها الملك الظاهر في حياته الى اربابها بعد موته .

وفي السنة ١٥٢٨ لليونان (١٢١٧ م) وهي السنة ٦١٤ للعرب ارسل بابا رومية الى جميع ملوك الفرنج امرًا قاطعًا ليحشدوا جنودهم ويزحفوا الى اورشليم المدينة المقدسة وينتزعوها من يد العرب . فاجتمع امم كثيرة واقبلوا الى عكة . ولما سمع العادل زحف حالًا من مصر الى اورشليم . وبرز الفرنج من عكة وحلوا عند الماء في مغارة اللصوص . وكان العادل يجتهد ان يسبقهم اليها فتعذّر عليه ذلك وحلّ في باسان . وزحف الفرنج ليبارزوه لكنه بسبب وفرة عدد الفرنج ارتحل الى جواز دمشق ينتظر اجتماع الجيوش. فسار الفرنج وغنموا كل ما وجدوه من حدود باسان حتى بانياس وقتلوا مَن قتلوا واعتقلوا مَن اعتقلوا وعادوا الى مرج عكة (٤٣٠) في غنائمهم . قيل ان العادلَ لما غادر باسان لقي رجلًا حاملًا حملًا يسير ساعةً ويستريح ساعة . فدنا منه وحده وقال له : ما بالك تقتل نفسك يا ايها الشيخ ؟ لا تستعجل . فقال الشيخ : اذهب قل للسلطان ان لا يستعجل . لانه لو لم يستعجل هو لما استعجلتُ قطعًا ولما غادرتُ بيتي اصلًا . فخجل العادل وتركه وانصرف .

وفي تلك الغضون مات البرنس بوهيمند وخلّف ابنًا اسمه روفين ولدته له ابنة روفين ملك الارمن . وكانت المملكة تحقّ له لكنّ عمه اقتحم فانتزعها منه واحتلّها . عند ذلك سخط لاون ملك الارمن شقيق روفين الارمنيّ ونهض يدافع عن روفين الفرنجي ابن بنت اخيه فسار الى انطاكية واستحلف اهاليها بحضوره . لكنّ روفين الاحمق بعد ما ملك تجبّر وتكبّر وحاول ان يقبض على لاون وليّ نعمته ويستولي على قيليقية ايضًا . وما ان اطّلع الاخوة الفرير على

مضمرات قلبه حتى اخبروا لاون فأفلتَ دون أذًى .

وفي السنة ٦١٥ للعرب (١٢١٨ م) أبحر الفرنج الى دمياط وساروا في ارض جتره واصبح النيل بينهم وبين دمياط . وابتنى العرب برجاً كبيرًا وسط النيل يقيم فيه محاربوهم ليصدّوا الفرنج عن دخول المدينة . وظلّ الفرنج يحاربون العرب نحو اربعة اشهر حتى احتلّوا البرج واجهزوا على مَن به وحطموا السلاسل التي على النيل . وكان الملك الكامل ابن الملك العادل في جهة دمياط الثانية ولمّا شاهد تلك السلاسل قد تحطّمت ربط مكانها جسرًا ضخماً فحطمه الفرنج كذلك . فأحضر سفناً كبيرة نقبها واغرقها في ذلك المكان لئلا تسير فيه سفن الفرنج . غير ان الفرنج حفروا في الجهة الاخرى خندقاً كبيرًا عميقاً وشقّوا ترعة اجازوا فيها غديرًا عظيماً من النيل (٤٣١) وسيّروا فيها سفنهم حتى دنوا من سور المدينة وجعلوا يحاربون وهم في الماء . امّا الدمياطيّون فلم يكترثوا للفرنج اذ كانوا يعلّلون انفسهم بقرب وصول الكامل وجيوشه وكانت تأتيهم حاجاتهم كلها من البرّ . واتفق باذن الله تعالى ان وصل الخبر الى الكامل بموت ابيه العادل في دمشق وتأهب الامير ابن مشطوب وسائر الامراء الاكراد الهكّاريّة ليولّوا اخاه الملك الفائز على مصر . فاضطرّ الكامل ان يرحل الى مصر ويترك دمياط . فنشط الفرنج وخرجوا الى البرّ واحتووا على ما بقي من الاثقال في معسكر العرب وحاصروا المدينة من البحر ومن البرّ معاً . امّا الدمياطيّون فظلّوا يحاربون مؤملين وصول نجدة اليهم من العرب . وظلّ الفرنج يحاصرونهم تسعة شهور . وقطع الدمياطيون رجاءهم من المساعدة ولاسيما لان الكامل لا يتيسّر له ان يغادر مصر خيفة الخيانة والغدر . بناء عليه غُلبوا على أمرهم وسلّموا المدينة بالامان . ولمّا احتلّها الفرنج نادوا باطلاق سبيل مَن شاء من العرب ان يغادرها في بؤونته وابقاء مَن شاء البقاء فيها . والكثيرون ظلّوا فيها .

ولمّا شاهد الكامل شجاعة الفرنج خافهم خوفاً شديدًا وارسل فعوّض اسوار اورشليم لئلا يتخذها الفرنج معقلًا اذا امتلكوها .

وفي تلك الحصون تضايق زوفين الفرنجي صاحب انطاكية من البرنس الاعور عمه صاحب طرابلس . وكان لاون الارمنيّ قد تقاضى عنه لانه حاول

ان يقابله بالسوء بدلاً من معروفه . لذلك ترك روفين انطاكية وتوجه الى دمياط عند هنري جوان ملك الفرنج واقام عنده حتى مات (١٣٢) لاون .

وقد استحوذ الرعب في هذه السنة على العرب لا لخروج الفرنج عليهم من المغرب فحسب بل لتدفق المغول كذلك عليهم وزحفهم من المشرق . فقد وصلوا الى همذان واذربيجان وارزون وافتعلوا الاهوال والفظائع في كلّ بلاد العجم .

وفي ٢٧ ربيع الاوّل من تلك السنة مات الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن نور الدين صاحب الموصل واستغرق ملكه سبع سنين وتسعة شهور . وكان طول حياته يخاف الموت ويتقلّب في بحابح المعيشة لكن يحاول ان يخطف شهواته من يد الموت . وخلف نور الدين ارسلان شاه ابنه الكبير بالغاً العشرين من سنه ودُعي باسم جدّه . وقبل وفاة الملك القاهر اقام بدر الدين لؤلؤ وصيًّا لابنه كما كان وصيًّا له . وقد أحسن الوصاية وارسل الى الخليفة الناصر وحصّل له الفرمان بالملك . وراسل سائر الملوك كذلك ووطّد الصلح معهم . وساس مملكة الموصل سياسةً راسخةً مع ان الكثيرين نظير عماد الدين عمّ صاحب العقر واعمام ابيه كانوا يحاولون قتل الشاب ليملكوا مكانه . غير ان بدر الدين منعهم عن ذلك بسياسته . ثم جاد بسخاء على الزعماء وعلى وجهاء المدينة وضواحيها فأحبّوه جميعاً .

وبعد هذا كتب عماد الدين صاحب العقر عمّ الشاب الى مظفّر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربيل يقول : ان بدر الدين يحاول الغدر ببيتنا وانتزاع المملكة منّا . فزحف مظفر الدين الى قلعة العمادية وحشد بدر الدين جنوده وسار اليها كذلك ليدافع عنها ويقبض على عماد الدين . غير ان الشتاء وتراكم الثلج في تلك الجبال اضطرّه ان يعود الى الموصل . عند ذلك استجمع عماد الدين قواه واحتل سائر قلاع الهكارية والزوزانيّة .

وفي تلك السنة رام السلطان عزّ الدين (١٣٣) كيكاوس صاحب بلاد الروم ان يحتل حلب ولاسيما لان صاحبها طفل رضيع بعدُ . واشار زعماؤه انه من السهل اخذها ان استصحب معه الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط وتظاهر بانه يقاتل في سبيله ليردّ له مملكة ابيه صلاح الدين لكونه ابنه الاكبر . فكتب اليه السلطان واستحضره من سميساط وجاد عليه بذهب

والبسة وخيل كثير وسلاح وهيأه ليرافقه الى سورية بشرط ان تبقى حلب وتوابعها للملك الافضل ويتولى عز الدين كل ما ينتزعه من الملك الاشرف من مدن ما بين النهرين هكذا حشدا الجنود وزحفا اولاً الى عينتاب واحتلاها وتسلمها الملك الافضل واستأنفا الزحف الى تل باشر واحتلاها كذلك وتسلمها السلطان عز الدين ولم يعطها للافضل . فامتعض الافضل وندم الذين سلموها . ومن ثم حقد الافضل على السلطان وجعل يؤجل عز الدين عن القدوم الى حلب وقال : الاحرى ان يحتل اولاً منبج وغيرها كي يتمكن من احتلال حلب عندما تبقى كحمامة نُتف جناحاها . ولما زحفوا الى منبج ارسل شهاب الدين الحاجب الى الملك الاشرف يتوسل اليه ليذهب يساعد الفتى الصغير ابن اخته . فتحمس الاشرف وسار الى منبج وقاتل عساكر السلطان عز الدين وكسرهم في اول وهلة فلم ير السلطان الا ان يترك كل شيء وينقلب الى بلده . اما الاشرف فانتقل الى عينتاب واحتلها واحتل تل باشر كذلك واعطاهما ثانية لصاحب حلب . اما الذين سلّموا تل باشر الى الاشرف فلما رجعوا الى بلادهم قبض عليهم السلطان عز الدين واحرقهم في احد البيوت دون شفقة .

وفي تلك السنة كان الفرنج كما قلنا محتلين دمياط . وفي ٧ جمادى الآخرة مات الملك العادل (٦٣٤) بالغاً الخامسة والسبعين ونُقل عن علقين الى دمشق ودُفن في المقبرة التي اعدّها لذاته . وكان داهيةً حقوداً صبوراً ينتقم بعد زمان . وخلّف هؤلاء البنين وهم : الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي صاحب مصر . والملك المعظم مظفر الدين عيسى صاحب دمشق واورشليم . والملك الاشرف شرف الدين موسى صاحب الرها وحرّان وخلاط . والملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافرقين . والملك الحافظ صاحب قلعة جعبر . والملك العزيز عثمان صاحب بانياس . والملك الصالح اسمعيل صاحب بُصار . والملك الفائز يعقوب . والملك الامجد عباس . والملك الافضل قطب الدين . والملك القاهر تاج الدين اسحق .

وفي تلك السنة لما رأى بدر الدين ان مظفر الدين صاحب اربيل اتفق مع عماد الدين زنكي صاحب العقر لينازلا بلد الموصل ويحتلا القلاع وان التذلل

لا يفيده ويتعذر عليه محاربتها وحده استغاث بالملك الاشرف صاحب ما بين النهرين وخلاط ووعده ان يكون منقاداً له كأحد زعمائه . فسُر الاشرف ووجه الجنود الى نصيبين ليعضدوا بدر الدين متى استدعاهم .

وفي السنة ٦١٦ للعرب (١٢١٩ م) انحدر عماد الدين زنكي من قلعة العادية الى قلعة العقر ليحتلّ بلاد السهل بعد احتلاله بلاد الجبل . فسمع بدر الدين وارسل الجيوش ليحرسوا البلد . واتفق الزعماء والقوّاد معاً ليذهبوا الى جانب العقر ويحاصروا عماد الدين زنكي دون علم بدر الدين . فساروا الليل كلّه ولمّا اصبح نهار الاحد سلخ محرّم التحم القتال تحت قلعة العقر فانكسر (٤٣٥) زنكي اقبح انكسار وانهزم الى اربيل عند مظفّر الدين وعاد المواصلة الى موضعهم . واقبل اذ ذاك وفود الخليفة الناصر والملك الاشرف وصالحوا الفريقين وهادنوهما .

وما كادت تُعقد الهدنة حتى مات الفتى نور الدين ابن الملك القاهر صاحب الموصل وكان طول حياته عليلاً لا يركب ولا يظهر الّا مرة في كل عشرة ايام. فنهض بدر الدين وولى مكانه اخاه ناصر الدين محمودًا وهو في الثالثة من سنيّه. واستحلف الزعماء نجياته واركبه ليشاهده الشعب . وقد ابتهجت قلوبهم كل الابتهاج لانهم شاهدوا ملكاً من عترة اتابك التي كانوا يحبونها حبًّا جمًّا .

وعلى اثر موت نور الدين وخلافة اخيه الصغير تحرّش كذلك مظفّر الدين وزنكي بالمواصلة ونشبوا يغزون الضواحي . امّا بدر الدين فكان قد وجّه اغلب العساكر الموصلية الى حلب ليساعدوا الملك الاشرف في غزو بلاد الفرنج. فارسل من ثم الى ايبك قائد جيش الاشرف وهو في نصيبين وأحضره اليه . ولمّا رأى ان عسكره قليل خالجه الريب وتردّد متحيرًا ولا سيما لان الجيش الذي ارسله الى الاشرف كان اوفر عددًا . غير ان ايبك جعل يتغطرس واضطرّ بدر الدين ان يعبر دجلة في عسكره ويذهبوا ليغزوا بلد اربيل . وما ان سمع مظفّر الدين حتى حشد عساكره وعبر الزاب . وسار بدر الدين وايبك وحلّ الجانبان احدهما مقابل الآخر . وعند انتصاف الليل نهض ايبك ليذهب فيقابل عساكر اربيل . فنهاه بدر الدين ليصبر حتى الصباح فأبى. وركب هو وأركب اصحابه ورأى بدر الدين ان يتبعه كذلك . والتقيا هما والخصم وانهزم

ايبك الى ميسرة صاحب اربيل وحملت ميمنة اربيل على ميسرة بدر الدين (٣٣٦) فبقي في القلب مع قليلين ولم يمكنه الوقوف تجاه قلب عسكر صاحب اربيل فانهزم اسرع ما يكون وعبر دجلة الى الموصل ولم يقف بل استأنف الذهاب الى مدينة بلدَ ليجمع عساكر جديدة . وتبعه مظفر الدين واقام وراءه تلّ حصن نينوى ثلاثة ايام . ولمّا علم ان بدر الدين مستعدّ لمهاجمته ليلاً انقلب الى اربيل . ولم يؤذِ احداً حين مروره بنينوى لكنّ بعض الشهرزوريين الذين معه خطفوا فتاةً وهي عروس جديدة من قرية بيت سحرايا فغار اهلها وانقذوها وقتلوا ببعض الاكراد. فسمع المظفّر وتفاقم غضبه اذ قيل له : ان الفلّاحين شتموه وهتفوا بحياة بدر الدين صولجان الذهب . ووجّه جيشاً الى تلك القرية ودخل بعضهم الى الكنيسة حيث كان اغلبهم متحصّنين وقتلوا بثلاثمائة رجل تقريباً وذهبوا . ومرّوا ببرطلّي وبتروا بالسيف يد احد الشبّان. وبعد هذا كلّه تبادل الفريقان بالوفود وعقدا الهدنة. .

وفي السنة عينها رأى المتحصّنون في قلعة كواشي ان عماد الدين زنكي احتلّ جميع القلاع فارسلوا وسلّموه اياها وطردوا منها اصحاب بدر الدين. ولمّا عرف بدر الدين ان مظفّر الدين لا يثبت في عهوده ولا يكفّ عن اثارة زنكي ليتحرّش به ارسل الى الملك الأشرف يسأله ان يأتي هو عينه لمساعدته ويردع صاحب اربيل. غير انّ خصوم الأشرف يومئذٍ كانوا كثيرين منهم السلطان كيكاوس وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب ماردين والامير ابن مشطوب والأمير عزّ الدين الحميديّ . فلذلك لم يتمكّن من القدوم الّا بعد زمان.

وفي ذي القعدة ٦١٦ (٤٣٧) وهي السنة ١٥٣١ لليونان (١٢٢٠ م) في كانون الثاني مات السلطان عزّ الدين كيكاوس بن كيسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم. وكان قد حشد الجنود ليزحف ثانية وينازل الاشرف في ما بين النهرين. وما ان وصل الى ملطية حتى اشتدّ عليه داء السلّ. فرجع ومات. وبعث الاقطاب وأطلقوا علاء الدين كيقباد من حبسه في قلعة مسارا بالجبل المبارك ونادوا به ملكاً . وذكر بعضهم ان السلطان عزّ الدين قبل موته ارسل فأطلقه واستحلف الزعماء ليملّكوه اذ لم يخلّف ابناً يستحقّ المُلك . على انه لما رأى في اوّل عهده أن خصومه كثيرون كاليونان والارمن جيرانه وعمّه

صاحب ارضروم صادق الملك الاشرف وسأله ان يزفّ اليه اخته . وقد اجاب الى طلبه بعد ثلاث سنوات.

وفي هذه السنة وهي السنة ٦٦٨ للارمن مات لاون ملك قيليقية وكان محنّكاً في الحروب وبطلاً مغواراً في المعارك ولم يخلّف الا بنتاً واحدة اسمها ايزابيل وتولّى سيرادان بالي صاحب قلاع ساحل البحر العناية بها والاشراف على المملكة نحو سنتين ثم فتك به الاسحيليّون.

وفي محرّم السنة ٦١٧ للعرب (١٢٢٠ م) نزل جنكزخان على مدينة بخارى وهي كعبة الدين الاسلاميّ في البلاد الواقعة بعد نهر جيحون . واناخ على باب القلعة . واقبل معه جيوش كثيفة من المغول يفوق عددهم عدد الجراد والنمل وحلّوا افواجاً افواجاً حول تلك المدينة التاعسة . وكان فيها نحو عشرين الف فارس مقدّمهم سونج خان وكشلي خان. فلما رأى هذان (٤٣٨) ضخامة جيوش التتر قطعا الأمل وخرجا عند غروب الشمس وانهزما . ولمّا وصلا الى سواحل جيحون وثب اليهما حرّاس الطرق المغول واجهزا عليهما وعلى كلّ من معهما . امّا اهل المدينة فلمّا لم يبقَ من يدافع عنهم فتحوا الابواب وخرجوا الى خدمة جنكزخان فأشفق عليهم ولم يقتل احدًا منهم . ولمّا دخل المدينة ليشاهدها ووصل الى باب المسجد الكبير قال : هل هذا دار السلطان ؟ قال الكتبة العرب: كلّا بل بيت الله . فنزل عن حصانه ودخل فجلس قدام المحراب وصعد تولي ابنه الصغير درجات المنبر. وقال جنكزخان : ان الصحراء خالية من العلف فانتم اشبعوا الخيل الجائعة . فذهب الزعماء. وفتحوا الانبار وآبار الحنطة والشعير وجعلوا ينقلون على اكتافهم العلف للخيل ويجلسون ينتظرون. واحضروا الخمور وسقوا التتر واستدعوا المطربين والمطربات والرقاصات يرقصن وقلوبهن مملوءة حسرات وأسفاً.

ثم استدعى جنكزخان الزعماء. وقال لهم : ان الأموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعلامها وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي في قلب الارض وتعطونا اياها فتحيوا. فقبلوا بالسمع والطاعة وساروا فحفروا واخرجوا واحضروا كمّيّة لا تُعدّ. ولأنّ جماعة من عسكر السلطان كانوا مختفين بالمدينة أمر فرموا بها النار فاحترقت كلها مع كلّ ما كان مخفيًا بها . وتفرّق الاهالي في مختلف

البلاد . وقد سأل الخراسانيون بخارياً وصل اليهم عمّا جرى فقال : ما لكم تتعبوني ؟ قد وصل التتر فقتلوا وحفروا واحرقوا وسبوا وذهبوا . من له اذنان سامعتان فليسمع.

وفي هذه السنة سار ابن مشطوب الذي ذكرنا انتقاضه على الاشرف متوجهاً الى نصيبين يريد السفر الى مظفّر الدين في اربيل (٤٣٩) فبرز اليه متولي المدينة وكسره وشتّت من معه . وانهزم ابن مشطوب مع القليلين الى بلد سنجار . فسمع فروخ شاه بن زنكي بن مودود بن زنكي وارسل جيشاً قبض عليه واحضره اليه معتقلاً . وكان فروخ محالفاً الاشرف غير ان ابن مشطوب أفسد بينها واقسم انه يواصل القتال حتى ينتزع الموصل من يد بدرالدين ويتسلّمها . ذلك ما حمل صاحب سنجار على إطلاق ابن مشطوب وجهّزه بعساكر خيّالة ووجّهه الى باعربايا ليغزوها . فسمع بدر الدين ووجّه جنوداً تغلّبوا على ابن مشطوب فانهزم الى قلعة تل عفر وهي لصاحب سنجار . فعرف بدر الدين وزحف اليها بشخصه حتى دوّخها واعتقل ابن مشطوب وبعثه الى الملك الاشرف فسجنه في حرّان وفيها مات .

ثم ان الملك الاشرف تخلّى لصاحب آمد عن حاني وجبل جور ووعده بان يحتل دارا ويوليه اياها . وبعدما فصله عن صاحب ماردين تقوّى واقبل الى دنيسر واحتل ضواحي ماردين باسرها وحصر صاحبها في القلعة ومنع عنه الذخيرة. فسار صاحب آمد وتوسّط بين الاشرف وبين صاحب ماردين وصالحها وانتزع الاشرف منه راس العين وثلاثين الف دينار وضمّت موزر بارض شبكتان الى صاحب آمد . وزحف الاشرف الى نصيبين فخافه صاحب سنجار ووجّه اليه سفيراً وسلّمه بلدته وهو في الطريق واخذ بدلاً منها الرقة وسار اليها في اخوته واهله وجميع امواله . وبعدما احتلّ الاشرف سنجار جعل يرسل جنوده الى الموصل قاصداً الذهاب الى اربيل وتبعته شراذم من الفرسان سيّرها أمامه وأقبل بعدها الى الموصل يوم الثلاثاء ١٩ جمادى الاولى من تلك السنة . وجاء اليه السفراء من قبل الخليفة ووعدوا (٤٤٠) باسترجاع كلّ الحصون التي انتزعها زنكي وتسليمها الى بدر الدين ليجري الصلح ما بينهم. لكن الاشرف رفض وارتحل من الموصل وعبر دجلة وتوجّه الى قرية سلامية قرب نهر الزاب.

وكان مظفر الدين نازلاً في جانب الزاب الآخر . اما ناصر الدين صاحب العقر وحليف الاشرف فكان مرتبطاً بصداقة خفية مع مظفر الدين ولذا اشار الى الاشرف ان يعقد الصلح ويعود معززاً مكرماً . وقال له : اذا انتصرتَ أسخطت الخليفة وذلك العرب جميعاً . واذا انكسرتَ خلفتَ لك ولاصحابك اسماً سيئاً . فاقتنع الاشرف ووافق على الصلح واخذ معه عماد الدين زنكي صاحب العقر بمثابة رهينة ريثما يردّ الحصون التي أخذها ثم عاد الى سنجار . ثم سار بعضهم لينتزعوا الحصون ويسلموها الى اصحاب بدر الدين لكنهم لم يتسلموا الا حصناً واحداً من بلاد الهكارية اما البقية فقد قاوم اصحابها ولم يريدوا ان يسلموها . واستغاث مظفر الدين زنكي بشهاب الدين غازي اخي الاشرف وهذا توسط بينه وبين الاشرف فترك له تلك الحصون . وقد ارتاب في ذلك بدر الدين لكنه لم يقدر ان يناقض ارادة الاشرف .

واطلع يومئذ بدر الدين سراً على ان الاشرف يحاول ان ينتزع منه قرية تلّ عفر لانها كانت فيما سبق تابعة لسنجار فارسل وسلمه اياها . اما زنكي فبعد ما تولى حصون الهكارية والزوزانية جميعها حقق بعضَ اصحابها ويخاطبهم بالطلب . فندم الذين عاهدوه وحاولوا ان يتفقوا مع بدر الدين ولكنهم تخوّفوا مما اظهروه له من المعاكسة سابقاً . اما بدر الدين فارسل يؤمنهم بالاقسام والعهود ويؤكد لهم انه لن يضرهم (٤٤١) بل يحسن اليهم ويحسب ذنبهم نعمةً بخروجهم على الاشرف . واتفق اصحاب حصن العمادية اولاً ان يسلموه . غير ان بدر الدين لم يستطع ان يأخذ شيئاً دون امر الاشرف واذنه فارسل اليه يستشيره . فأبى الاشرف ولم يأذن له في ذلك الا بعد ما تخلى له عن حصن الحدث المجاور لنصيبين وعن مكان ما بين دجلة والفرات . وبعد هذا تولى بدر الدين العمادية وجاد على الذين سلّموها بعطايا أوفر مما وعدهم بها . وبلغ ذلك سائر اصحاب الحصون فسلموها له . ومما يدعو الى الاستغراب ان الجيوش الوافرة العدد التي احتشدت من سورية وما بين النهرين وارمينية وسائر البلاد لم يتيسر لها ان تحتلّ تلك الحصون وقد احتلها بدر الدين بحنكته دون معارضة . وصحّ في ذلك قول الكتاب : « الاعتصام بالربّ خيرٌ من الاتكال على العظماء » (مز ١١٧ : ٩) .

وفي تلك السنة مات الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماة بالمًا الحسين من سنه . وأوصى ان يخلفه ابنه الملك المظفّر تقيّ الدين وكان يومئذٍ عند خاله الملك الكامل في مصر . غير ان الزعماء ارسلوا فاستحضروا من دمشق ابنه الثاني الملك الناصر قلجٌ ارسلان وسلموه المدينة .

وفي السنة ٦١٨ للعرب (١٢٢١ م) سار الملك المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف وصاحب ماردين والجيش الحلبيّ والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص لينجدوا الملك الكامل . وزحفوا جميعاً الى دمياط وحصروها وقطعوا الطرق عن الفرنج . فتخوّفوا واتفقوا ان يسلموا المدينة مع جميع الاسرى العرب الذين في عكة بشرط ان يدعهم العرب يرحلون الى بلادهم بالامان . واخذ منهم الكامل رهائن ريثما يسلمون المدينة والاسرى . وأيّد الصلح (٤٤٠) القاصد الرسولي نائب البابا الروماني وكان متولياً قيادة الجيش الفرنجيّ لثانية اعوام واتفق معه في ذلك جوان صاحب عكة[1] هكذا استرجع العرب دمياط وأمسى عمل الفرنج دون جدوى . على ان الملك الكامل قبل وصول النجدة اليه ألحّ على الفرنج في عقد الصلح مقرّرًا ان يتخلى لهم عن اورشليم وعن عسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية ويكتفي بدمياط كي تنجو منهم مصر واصقاعها لكنهم رفضوا طلبه واستزادوا قلعة الكرك وثلاثمائة الف دينار بدلًا مما اخربه الكامل من اسوار اورشليم . ذلك ما حمل الكامل على الاستنجاد باخوته وابنا دينه فاقبلوا واسترجعوا دمياط مجّانًا . وخسر الاخوة الدواوية كذلك نصف ما كانوا يستغلون من حمص وخسر الاسبتاريون ما كانوا يقبضونه جزيةً من بارين . وقد بقيت دمياط هذه المدّة مع الفرنج سنةً واحدةً وعشرة شهور واربعة وعشرين يوماً .

وفي تلك الغضون وثب الاسمعيليون الى سيرادان مدبّر مملكة الارمن وحصروه في مضيق فجاء كنيستنا في سيس المبنيّة باسم مار برصوما وفتكوا به . وخلفه بالي بارون قسطنطين بن بارون باسيل خال الملك لاون . ولمّا بلغ روفين خبرُ وفاة الملك لاون ومقتل سيرادان أخذ امّه ابنة الملك روفين الكبير

١) هو يوحنا دي برين ملك اورشليم .

وانحرا حتى وصلا الى ميناً حصن فوريفس يريد ان يتوفى قيليقية . اما صاحب الحصن المذكور اعني البارون بهرام صاحب شاكد فسد دونه الطريق وهدده بان يتزوج بامه والا فيقبض عليه ويهلكه . فتضايق روفين وتوسل (٤٤٣) الى امه في ذلك. فانزعجت كل الانزعاج وجعلت تولول وتقذف بهرام بالسبات والشتائم. غير ان السادة والسيدات اقنعوها حبًا لمصلحة ابنها بما كلفها الامر. فاضطرت ان تجيب الى اخاهم وهي تتمرح بان زواجاً كهذا تحسبه زنىً قسرًا لا زواجاً شرعياً. وبعدما اقترن بها بهرام بالغ في اكرامها وسار في خدمتها وخدمة ابنها الى طرسوس واحتلها. ومن هناك توجه الى آطنة واحتلها كذلك. ثم زحف الى المصيصة فحشد بالي بارون قسطنطين جيوشه وثار الى بهرام وناوشه فانهزم بهرام وامراته وابنها وتتبعهم بالي بارون الى طرسوس وقبض على ثلاثتهم وفتك بهم . وجعل يؤمل من الزعماء الارمن ان يشيروا عليه ليتزوج احد ابنائه الخمسة بابنة الملك لاون ويتولى المملكة . غير انهم لم يقولوا له شيئاً في هذا الصدد فارتاب منهم وبدل سياسته معهم.

اما الزعماء فارسلوا واستدعوا فيليب ابن البرنس الاعور وزفوا اليه ايزابيل بنت الملك لاون وولوه قيليقية ونهض بسياستهم سياسة خرقاء مدة سنتين واكثر. فقد خطر له ان يهلكهم جميعاً ويقيم الفرنج مقامهم وجعل يستحقرهم ويستخف الجنود فلاحين ولا يرخص لهم ان يتناولوا الطعام على مائدته. وكانوا اذا طلبوا ان يزوروه لا يأذن لهم في ذلك الا بعد ان يقصدوه عشر مرات او اكثر. هكذا ازداد بغض الارمن له ولم يسعهم بعد ان يحتملوا عتوه فاحتشدوا عند بالي بارون قسطنطين وتوسلوا اليه ليجد لهم طريقة للتخلص منه معربين له عن تندمهم بسبب اقامتهم اياه ملكاً عليهم. فاقسم لهم بالي في ذلك وأعد الجنود والابطال ووثب الى فيليب ليلاً وهو راقد في فراشه وخطفه من حضن الملكة (٤٤٤) فجعلت تبكي وتحدش وجهها وتضج وتولول وتقول : بير بير ! لانها كانت كلفة به جداً. اما الجنود فلم يكترثوا لها ولم يعبأوا باصواتها بل اوثقوا فيليب واستاقوه من موضعه في تل حمدون الى سيس وحبسوه هناك سنتين. اما البرنس ابوه فعلى عزة نفسه لم يرَ ان يغيظ الارمن خيفة ان يهلكوا ابنه فارسل اليهم الوفود طالباً ان يطلقوا سبيله وهو يتخلى لهم عن الملك . وظل

يبعث الوفود حتى كلّ وملّ فرأى ان يذهب بذاته الى تلّ حمدون ويسألهم ان يعطوه ابنه . فأذعنوا له ومضوا بابنه الى حصن العامود وكتبوا اليه ليبعث ويأخذ ابنه . ولما عوّل على أخذه قيل له ان ابنك لن يعيش اكثر من عشرة ايام لان الارمن قد سقوه سمًّا وقد تحقق ذلك . على ان البرنس بعدما توعدهم وتهدّدهم تركهم وانصرف وما عتم ان بلغه خبر موت ابنه ولم يعرف احد اين دفنوه .

ولما نُعي الى الملكة وقطعت الرجاء منه سارت الى قلعة سلوقية على ساحل البحر واستعانت بالاخوة الفرير فبالغوا في اكرامها . ثم قدمت اليها امها من قبرس وهي فرنجية ابنة ملك تلك الجزيرة ولما زفوا ابنته الى فيليب ارادوا ان يزفّوها كذلك الى السير غوفري صاحب سروند وهو ابن البارون سنباط اخي البارون قسطنطين بالي . غير انها رفضت الزواج فطردوها من بلدها وسارت الى قبرس . وفي هذا الزمان رجعت الى ابنتها واقامتا كلتاهما في سلوقية حتى رحلتها بالي على كره منها .

احتلال التتر سمرقند

وفي هذه السنة ٦١٨ للعرب (١٢٢١ م) بعدما احتلّ التتر بخارى ساروا الى سمرقند وهي مدينة عظيمة (٤٤٥) حافلة بقرى كثيرة مكتظة بحدائق شهيرة. وقد رتّب فيها السلطان محمد مائة وعشرة آلاف فارس يقومون بحراستها. ولما سمع جنكزخان نزل عليها بشخصه واحدق بها المغول واحصوا ابراجها واشتعلت الحرب بينهم وبين اهاليها على السور . وخرج في الغد جنود المدينة راجلين الى التتر وحاربوهم حربًا عنيفة واجبروا على الكثيرين منهم وقبضوا على غيرهم واستاقوهم الى المدينة وفتكوا بهم واماتوهم شرّ ميتة . ولما شاهد الاهالي ذلك خافوا جدًا وقال احدهم لصاحبه اذا اغمضنا وتغاضينا فسيتقم العدوّ لقتلاه . ثم تشاوروا معًا وارسلوا رسلًا الى جنكزخان خفيةً ووعدوه ان يفتحوا الابواب ليلًا ويسلموه المدينة . فابتهج لذلك وقرّر لهم الامان . وعند المساء اتفق القاضي وشيخ الاسلام وجمهور الاهالي وفتحوا الابواب فدخل المغول وانهزم المحاربون الى القلعة ولاذوا بها . ونشم التتر في السبي والنهب .

وصاروا يخرجون من الزجاج والنساء مائة مائة بالعدد الى الصحراء واجلسوهم افواجاً افواجا سوى حسين الفا احتموا بالقاضي وشيخ الاسلام ولم يخرجوا . ولما كان الليل خرج التتر واجهزوا على كلّ الذين خرجوا خارجا ولم يتركوا من البنين والبنات الاّ من كان دون العشرين من العمر . على ان واحداً من زعماء القلعة أبدى بسالة فائقة فاخذ نحو الف رجل وشقّ صفوف التتر وجاز بينهم دون أذىً ولاذ بالفرار الى خراسان يريد السلطان محمدا .

احتلال التتر خوارزم

ولما استراح جنكزخان من محاربة سمرقند بعث ولديه جيغاتاي واوكتاي الى خوارزم . وخوارزم اسم لاقليم عاصمته (٤٤٦) جرجانية . فلما سبق بعض التتر سائرَ الجيوش كألوف عادتهم ووصلوا الى باب المدينة ظنّ الاهالي ان اعداءهم هم هؤلاء القليلون فقط فخرج جمهور غفير منهم راكبين وراجلين ليبارزوهم . وعند بلوغهم الى كم كورام وهو على مسافة علوة انقضّ عليهم جيش المغول وفتك بهم فاطبة . وكان عددهم نحو مائة الف . وبعد هذا زحف التتر بكل قواهم واحتاطوا المدينة دون صعوبة واخربوها وفتكوا بسائر اهاليها .

اما السلطان محمد فكان قد غادر خوارزم الى خراسان وظلّ يشاور الزعماء في ما يصنع وكيف يتيسر له التخلص من أيدي هذا العدوّ القويّ ؟ فقالوا له : لقد قطعنا الامل من البلاد التي ما وراء جيحون فبقي علينا ان نحصن خراسان ونهيئ العساكر لينازلوا الاعداء متى قدموا . فقال السلطان : لم يبقَ لنا قلب لمبارزتهم واذا اقبلوا الينا فليس لنا الا الفرار الى الهند من وجههم . غير ان ابنه جلال الدين خوارزمشاه لم يوافق على الهزيمة بل رأى ان يواصلوا الحرب حتى النهاية . فانتهره ابوه وجعل كمن سيعاجله الموت ياكل ويشرب ويتلذّذ في رغد العيش ويشبع اهواءه . وهو لكذلك اذا بالتتر قد عبروا مياه جيحون فلاذ بالفرار نحو همذان وزوّج نساءه واولاده الصغار الى قلعة بالان . ولما وصل التتر الى همذان انهزم السلطان في الجبال يريد مازندران . فتتبّعه التتر فانهزم بحرًا الى احدى جزائر هرقانية واقام هناك حتى ورده الخبر بان التتر احتاطوا تلك القلعة واعتقلوا نساءه وابناءه وبناته (٤٤٧) وفتكوا

بالذكور وأرسلوا الاناث الى فراقورم . فاستحوذ عليه من الكمد ما استحوذ وقاسى ما قاسى من المرض حتى ادركه المنون في تلك الجزيرة ودفنوه هناك ثم نقلوه بعد زمان الى قلعة اردهان .

ولما نعي السلطان محمد الى ابنه جلال الدين قطع اربعين غلوة في ليلة واحدة حتى بلغ بلاد العجم التي بحدود الهند . واجتمع اليه تسعون الفاً من خيرة الفرسان . ولما علم جنكزخان ذلك توجه اليه جيشاً جرّاراً من المغول فسمع جلال الدين وخرج ليبارزهم وقال لاصحابه ان يتزجلوا جميعاً ويقبض كل منهم على حصانه بيده مستهيناً بالموت . وقد فتكوا يومئذٍ بعدد غفير من المغول وبطحوهم على الارض . وبات الصفان تلك الليلة كلٌّ في مكانه . وفي الغد لما رأى التتر شجاعة الخوارزميين حاولوا الفرار وتتبعهم الخوارزميون وفتكوا بخمسمائة بطل منهم . وما ان سمع جنكزخان حتى وصل كالبرق في جيوش كثيفة لا تُحصى فشاهده جلال الدين واستيقن انه عاجز عن مقاومته وانتوى ان يعبر نهر جيحون الى المشرق وأوصى باعداد السفن . فسمع جنكزخان وسيّر جيشاً ضخماً سدّ الطريق دونه . فلم يبقَ له الا ان يقاتل حتى النسمة الاخيرة . فاصطفّ الفريقان والتحم القتال وانكسرت ميمنة الخوارزميين ثم ميسرتهم وبقي جلال الدين في الوسط مع سبعمائة فارس لا غير وجعل يطوف كالذئب من ناحية الى ناحية ويحمل على التتر وهم يزدادون عدداً ويثبون اليه من كل جهة . عند ذلك أسرع ابن خاله الامير الخوارزميّ وتشبّث بضفائر حصانه وردّه (٤٤٨) الى ورائه . فانحدر جلال الدين مأيوساً وقبّل اهله واولاده وهو يبكي بكاء مرًّا ثم تركهم وركب حصانه وقال للفرسان اصحابه : من أحبني فليتبعني في الحياة والممات . ثم ضرب حصانه وشقّ صف التتر واقتحم الماء راكباً .

ولما شاهد ذلك جنكزخان هرول الى شاطئ النهر وجعل يتفرّس في جلال الدين متعجباً غاية العجب . واراد بعض المغول ان يقتحم الماء ويدركه ولكن جنكزخان نهاهم ووضع يده على فمه متعجبا وقال لولديه : من ابٍ مثل هذا ينبغي ان يولد ابنٌ كهذا ! وقال للزعماء : مثل هذا يجب ان يُدعَى رجلاً . فهذا لما افلتَ هذه المرة بدت اعماله الوافرة العجيبة للعيان ولا يمكن

ان يتلد منه رجل مثل !

ثم ان جلال الدين لحا بسيف وترس ومزراق من الماء والنار والحرب في ستة فوارس فقط عبروا معه . واقام هناك على سواحل جيحون نحو يومين حتى اجتمع اليه زهاء خمسين فارسا وتوجه الى نواحي الهند . وتبعه بعد ذلك من اصحابه نحو مائة فارس وارسلوا امامهم جاسوسا جس الارض وعاد فاخبرهم ان في المكان الفلاني الفين من العساكر الهندية . فسار الخوارزميون وقبضوا عليهم وقتلوهم جميعا واحتلوا خيلهم . وازدادوا حتى بلغوا خمسمائة فارس . ثم اجتمع خمسة آلاف من الهنود واتوا وبارزوهم فانكسروا . وما ان بلغت الاخبار سائر الخوارزميين المتبزمين والمختفين في مختلف الامكنة حتى اقبلوا اليه واصبحوا نحو ثلاثة آلاف . ولما رأى ملوك الهند انهم عاجزون عن مقاتلة الخوارزميين عقدوا الصلح مع خوارزمشاه وارسلوا اليه تحفاً وافرة . غير ان الخوارزميين لم يستطيعوا الاقامة هناك وقد دب فيهم المرض (٤٤٩) وبلغهم ان التتر تركوا خوارزم فعبر جلال الدين نهر جيحون نحو المشرق وخرج برجاله من الهند ووصل الى شيراز . فارسل اليه اتابك سعد صاحبها اموالاً كثيرة وعبيداً وجواري . ومن هناك اقبل الى اصفهان .

وفي السنة ٦٢٠ للعرب (١٢٢٣ م) احتل السلطان علاء الدين قلعة حصينة في ساحل بحر ادرياتيك وسماها باسمه علائيه .

مقتل امين الدولة توما في بغداد

وليلة الخميس ٢٨ جمادى الاولى ٦٢٠ للعرب (١٢٢٣ م) قتل الطبيب المشهور بالفضائل امين الدولة ابو الكرم صاعد بن توما البغدادي من جماعتنا اليعقوبية . كان متضلعا من الطب اميناً في سيرته حكيما سخيا ووسيطاً صالحاً في سد حاجات البائسين وتلبية مطالبهم واكمال اعمالهم . وقد احبه وكرمه الخليفة الناصر ورفع منزلته وولاه تدبير مملكته وبنيه وبناته ونسائه . وكان الخليفة في آخر ايامه قد ضعف بصره وتعذر عليه ان يكتب اسراره لوزيره . فاستحضر امرأة بغدادية تعرف بست نسيم وكانت تكتب خطاً قريباً من خطه وجعلها بين يديه وكشف لها اسراره . وكان كلما شاء ان يكتب شيئاً استكتبها اياه .

واذا وصلت الكتابة الى الوزير مؤيد الدين ابن قسيمي اعتقد انها خط يد الخليفة اذ كان يجهل هو كذلك ضعف بصره . واستمرت الجارية كذلك برهةً حتى شاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق وصارا يكتبان ما ارادا الى الوزير عن فم الخليفة فيقوم الوزير بما يكتبان .

وكتب الوزير ذات يوم الى الخليفة في شأن من الشؤون وجاءه جواب فيه إخلال بيّن . فتوقف وانكر . ثم استدعى الحكيم امين الدولة المجيد (٥٥٠) واستفسره عن ذلك سرًّا فعرّفه ما هو عليه الخليفة من عدم البصر وان امرأة تكتب خطًّا كخطه وان الخادم رشيق متفق معها فيكتبان ما ارادا دون علم الخليفة . ومن ثم توقّف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة اليه . وشعرت المرأة والخادم بان امين الدولة فضح سرّهما لانه هو وحده كان يزور الوزير ويحادثه . بناء عليه بانّا اخوين يُعرفان بولدَي قمر الدين فرصدا الحكيم في بعض الليالي وهو خارج من دار الخليفة عائد الى بيته ووثبا عليه بسكينيهما . فحدّق بهما وصاح قائلًا : اقبضوا عليهما فهما فلان وفلان . فعاد اليه ذانك الاثنان وأجهزا عليه تماما وضربا بالسكين كذلك حامل فانوسه . فارتجت المدينة عندئذٍ وقلقت دار الخليفة كذلك وحُمل الطبيب ونُقل الى بيته ودُفن فيه وبعد تسعة شهور شيّعوه الى كنيسة مار توما ودفنوه مع آبائه .

وليلة مقتل الطبيب المجيد قُبض على قاتليه الملعونين وشقّ بطناهما وصُلبا في الموضع الذي قتلا المرحوم . وقد خلّف رحمه الله تعالى ثلاثة بنين كرام وهم : شمس الدولة وفخر الدولة وتاج الدولة كبيرهم .

وفي السنة ٦١٨ للهجرة (١٢٢١ م) مات جلال الدين حسن إمام الاسمعيليين وخلف ابنه علاء الدين محمد وهو في التاسعة من سنه . وقد نشأ مع الفتيان الصغار زملائه منصرفا الى اللعب وتربية الخراف والطوفان مع الجمال واناط تدبير ولايته بالنساء . وبعد خمس سنوات لولايته فصّده طبيب من اطبائهم مع انه لم يكن مفتقرًا الى الفصد وتدفّق منه دم غزير كان سببا لتفاقم المرارة السوداوية عليه وجعل يتخيل تخيلات شنيعة . حتى ظن انه الاه . وكان اتباعه بسبب تسكعهم في الضلال يصدّقون كل ما يقول لا يخالفونه . بل كانوا يفتكون فتكًا ذريعاً بكل من يعترض عليه او يعانده . ذلك ما حمل بعض الحكماء

المرتبطين بخدمته ان يعظموه كالاله خوفا منه . وكان من ذات طبعه يكره الزينة ويكتفي لكسوته بثوب من صوف او من قطن ازرق ويساكن الغنم دائما.

حُكي انه لما كان ذات يوم جالسا بجانب احد الجبال وحوله وفود اقبلوا اليه من قبل الملوك المجاورين اشار بجبينه فقط الى خمسين من رجاله الواقفين امامه فألقوا بنفوسهم من علو الجبل وهلكوا . هكذا اخذ ملوك الارض جميعا يهابونه ويبعثون اليه بجزية يردفونها بخيرات اراضيهم .

وفي السنة ٦٢١ للعرب (١٢٢٤ م) مات في سميساط صاحبها الملك الافضل ابن صلاح الدين بن ايوب . وكان متضلعا من العلوم والبلاغة والشعر لكنه كان ضعيفا في سياسته قليل الخبرة الضرورية للملوك . ذلك ما حرمه مملكة ابيه واضطر ان يرضى ببلدة صغيرة عوضا عن ملك ابيه الواسع الارجاء .

وفي السنة ٦٢٢ للعرب (١٢٢٥ م) مات الخليفة الناصر ابو العباس احمد في السن السبعين . وتم ذلك ليلة عيد فصح العرب . وكان متيقظا جدًا مجتهدًا بغير زيه دائما ويخرج فيطوف شوارع بغداد يحاول الوقوف على كل كبيرة او صغيرة . وكان يتزيا تارة بزيّ الاتراك وطورًا بزيّ العجم واونةً بزيّ التجار ولهذا (٤٥٢) قضى على الكثيرين اذ كان كلما شعر باحدٍ عرفه ارسل فقتله دون شفقة . وكان يطوف كذلك مع رجال مشاهير من خواصه فكان اذا مرّ في طريق انهزم الناس منه . وكان الرجل اذا سار مع امرأته ليلًا خاف ان يحدثها حديثا كيفما كان اذ كانا يخافان ان يكون الخليفة معها في البيت او في النافذة او على السطح . وقد رأوه غير مرّة يتعرش بجدران البيوت الى السطوح ليسمع اخبار ما يحدث لا في ولايته فحسب بل في كل الممالك .

حكي ان الخاتون ابنة السلطان قايج ارسلان الخلاطية شخصت الى بغداد في حجها مكة . فاخبروا الخليفة عن جمالها فارسل اليها عجائز البلاط لكي يخطبها فاحتجت بان لها زوجا ولا يمكن ان تتزوجه فتركته وانطلقت الى مكة وافتكرت ان تعود في طريق سورية الى وطنها خوفا منه . وافتكر الخليفة كذلك انها ستصنع كذلك فارسل فرقة من الجنود يصحبونها متظاهرين بانهم يريدون الحجّ نظيرها . ولما عوّلت على الرجوع في طريق اخرى ثبطوها وردّوها على كره منها الى بغداد . وما ان وصلت حتى بلغ الخبر بموت زوجها .

والله يعلم كيف مات ! ثم ارسل الخليفة وادخلها البلاط وتزوجها . وكلف بها غاية الكلف حتى انها لما عرضت عليه ان يبتني لها دارًا كدارها في خلاط ويضم اليها حديقة وسألها عن هندستها أرسل يستدعي الوزير ليلًا واعطاه تصميم الدار والحديقة فخرج من عنده وهيأ مائتي بنّاء. والنّي فاعل واعدّ ما يلزم من القرميد والجصّ وجعل كل منهم يشتغل في جهة وانتزعوا من ابواب البلاط مصاريع حاضرة وجعلوها على مقياس أبواب الدار الجديدة (٤٥٥) . واقتلعوا كذلك الاشجار من اصولها وغرسوها في الحديقة الجديدة . ولما صار الماء كان العمل كله منتهيا كاملًا . ثم مُدّت الحُصُر والسجف وتهيأت كل الحاجات وسارت اليها الخلاطيّة . وما مرّت سنوات حتى ماتت . ولبس الخليفة الحداد كمدًا عليها . ثم أمر ان تقوّض تلك الدار وتلك الحديقة وتُترك خرابا وابتنى لها هناك ضريحًا ممتازًا لا يزال القراء المسلمون حتى يومنا يقيمون فيه الصلوات وتتوزّع عليهم الصدقات .

بعد الناصر الظاهر ابنه

تولى تسعة شهور وكان ابوه قد بايعه بالخلافة ثم خافه وألغى المبايعة وسجنه وبايع بدلًا منه الامير عليًا ابنه الصغير . ومات الامير عليّ في حياة ابيه وخلّف بنين صغارًا وحزن عليه ابوه حزنا شديدًا لا يوصف حتى انه بعث الى كل الملوك يستغربون كيف انهم لم يرسلوا اليه سفيرًا او رسالة تعزية . ومكث وحده في بيت مُظلم اياما كثيرة . وحزن معه جميع اهالي بغداد خاصتهم وعامتهم وكانت فرق النساء يجلسن في كل حي من احياء بغداد وينتدبنه . وكانت فرق اخرى يطفنّ الشوارع لابسات المسوح مسودات الوجوه ينتدبنّ وينحن اياما كثيرة حتى صدر الامر بان كلّ امرأة شاءت ان تبكي لزمها ان تبكي في بيتها دون ان تخرج خارجا .

ولما مات الخليفة الناصر اخرج ارباب الدولة ابنه الظاهر من سجنه وبايعوه بالخلافة اذ كانوا يحبونه لفضله وحلفوا له وأجلسوه على عرش ابيه . ولما اجلسوه قال : كيف يليق ان يفتح الانسان دكانا بعد الساعة التاسعة ؟ فقد بقيت على الحسين سنة وهنذا اتقلّد الخلافة ؟ ثم أظهر من العدل والكرم ما اظهر وردّ اموالًا

جزيلة الى اصحابها كان ابوه قد انتزعها منهم لانه كان طمّاعا . وارتفع عن الناس ما كانوا ألفوه من الخوف وكفّ المفسدون عن السعايات. وعقد لبغداد جسرًا ثانياً على دجلة فصار فيها جسران ولم يكن لها منذ مائتي سنة الّا جسر واحد فقط .

وفي هذه السنة خرج الملك المعظّم صاحب دمشق وغزا ضواحي حماة . فسمع اخوه للملك الاشرف وارسل يلومه . فارتاب منه وارسل اليه شهاب الدين غازي اخاه الثاني الذي كان سابقا في خلاط وميافرقين وحرّضه لينتقض على الاشرف. فخرج الاشرف الى خلاط وانتزعها من اخيه وقبض عليه ولكنه لم يقتله بل وجهه الى ميافرقين ليتولاها .

وفي تلك الاثناء، وجّه بارون قسطنطين بالي الى السيد اغناطيوس بطريركنا (١٢٢٢—١٢٥٢) والى قسطنطين جاثليق الارمن ليقصدا ابنة الملك لاون ويأتيا بها من سلوقية ليصطلحا ويتفقا معا في ما يؤول الى فائدة المسيحيين عموما . على ان السلطان علاء الدين صاحب بلاد الروم انتهز فرصة الخلاف بينهما فاحتل كثيرًا من حصون قيليقية . بناء على ما تقدم سار المغبوطان وألحّا عليها ونصحا لها فلم تقتنع بل زادت على ذلك انها لامتهما وادّعت انهما حالفا القاتل سافك الدم الزكيّ . ولم يتيسر لهما ان يعترضا فتركاها وعادا دون جدوى .

بعد هذا سار بالي ذاتهُ اليها وسأل الاخوة الفرير ان يسلموه اياها قسرًا . فقالوا له : ان بيوتنا وقلاعنا انما هي ملاذ للمسيحيين وليس في امكاننا ان نسلّم امرأةً ملكةً استجارت بنا . فاحتال بالي واشترى منهم القلعة مع كل ما فيها وأخرجهم منها وصار الامر والنهي بيده . وأمسك بكتف الملكة وسحبها ونقلها جبرًا الى طرسوس وجمع البطاركة والاساقفة والكهنة وكلّفهم مع ابنهِ هيتوم وناداوا بهيتوم ملكا على قيليقية يوم احد العنصرة ١٤ حزيران ١٥٣٧ لليونان (١٢٢٦ م) . وظلّت الملكة ايزابيل عشرة اعوام لا تسوغ للملك (٤٥٥) هيتوم ان يعرفها . وبعد ذلك اتفقت معه وولدت له بنين وبنات .

وفي ١٤ رجب السنة ٦٢٣ للعرب (١٢٢٦ م) مات الخليفة الظاهر .

بعد الظاهر المستنصر ابنهُ

تولى سبع عشرة سنة . واخذ يركب ركوباً ظاهرًا يغدو ويروح لا يختفي

في ركبه عن الناس . واهدى من الصدقة اضعاف ما ابداه والده . ووزع صدقات عائلة وجدد ابنية كثيرة. وتقدم بالنشا. مدرسته المعروفة بالمستنصرية التي لم يعمّر في الدنيا مثلها. ورتب فيها اربعة مدرّسين لكل مذهب من المذاهب الاربعة مدرّس واضاف اليهم ثلاثمائة فقيه لكل فقيه معاشا يكفيه يوما فيوما . وشاد لهم حمّاما خاصًا لا يدخله غيرهم . واقام لهم طبيبا خاصًا يعالج مرضاهم.

موت جنكزخان

في السنة ٦٢٤ للعرب (١٢٢٦م) قفل جنكزخان من بلاد خراسان عائدًا الى المشرق . واعتزم الرحيل الى بلاد تنكرت بحدود الهند وهنالك عرض له داء دوي بسبب عفونة الهواء. ولما قطع الامل من معالجة الاطباء استدعى اولاده جغاتاي واوكتاي وتولي وكلكان وجورختاي واوردجار وقال لهم : اني مزمع ان اموت ولا بدّ من شخص كفوء ينهض بحفظ مملكتي دون تضعضع . وهذه هي ارادتي مثلما اعلمتكم غير مرة أن ابني اوكتاي يخلفني في كرسي مملكتي لاني واثق بذكائه ومتين رأيه . فما قولكم في هذا يا ابنائي ؟ فجثوا جميعا على ركبهم وقالوا : انت ابونا وسيدنا ومليكنا ونحن عبيدك السامعون المطيعون لكلّ ما تأمر وترشد . وبعد هذا اشتدّ داؤه وتوفي في الرابع من رمضان شهر صوم العرب (٢٤ آب ١٢٢٧ م) .

وبعد هذا ارسل الابناء الحاضرون (٤٥٦) وفودا استدعوا سائر البنين والانسباء . فوصل من طرف القفجاق توشي الابن الكبير وهردو وباتو وسيبقان وتنكوت وبراكه وبركجار وبغاتيمور واقناس وجغاتاي. واستدعوا من الجنوب اوكتاي الذي أُحيلت اليه المملكة . ومن المشرق استدعوا عمهم اوكتين وبلكتاي نوين واجتاي نوين وتوتي . اما سائر الاخوة الصغار فكانوا في معسكر جنكزخان وقد انتظروا نحو سنتين حتى اكتمل جميعهم . واجلسوا اوكتاي على تخت المملكة .

وفي هذه السنة مات الملك المعظّم بن العادل صاحب دمشق واورشليم وكان رهيبا مخيفا يهوى امتلاك جميع البلدان . واقام المعدّيين يغزون سائر البلاد ولاسيما حمص وحماة . وخلفه الملك الناصر صلاح الدين داود وحمل عمّاه

الملك العزيز والملك الصالح وكاب السرج امامه .

وفي السنة ٦٢٥ للعرب (١٢٢٧ م) عاد مصر الملك الكامل ليأتي الى دمشق وينتزعها من ابن اخيه . ويوصوله الى السامرة برز الامبراطور[1] الالماني الى يافا فأحجم الملك الكامل عن مسئلة دمشق وقدم اليه اخوه الاشرف والملك المجاهد صاحب حمص وساروا معا الى تل العجول وبعثوا وفودا الى الامبراطور واطلعوا على سبب قدومه . فقد صرح لهم بانه انما اقبل غيرة على بيت الرب في اورشليم . فتنزل العرب للفرنج عن المدينة فقط لا عن ضواحيها وعُقد الصلح .

في هذه السنة مات حسنون الطبيب الرهاوي . دخل (٤٥٧) بلاد الروم وخدم سيف الدين امير آخور واختيار الدين حسن . ثم خرج الى ديار بكر وخدم ابناء شاه ارمن وهزار دينار الذي خلفهم وابناء العادل الذين ملكوا هناك واخيرا عاد الى الرها . ولما سمع ابن طفرل الخادم صديقه القديم منذ عهد خدمته لاختيار الدين قد اصبح ابا ومشيرا في مملكة حلب توجه اليه . لكن طفرل القليل الخبرة لم يستقبله بالاكرام كما كان يجب عليه . ولما عُوتب على ذلك قال : انا مقصر بحقه لاجل نصرانيته . واقام حسنون الطبيب في حلب كثيباً متعباً . ولما عزم العودة الى الرها ادركته حمى شديدة لحقها اسهال سحجي في الامعاء ومات في حلب ودُفن في بيعة القديسة بربارة . وكان شيخا جليلاً بدينا خبيرا بالطب ملمًا بالفلسفة . وكان يطالع كتاب البركي دائما . وكان طيب المحادثة حافظا للكثير من اخبار الملوك والحكماء الاقدمين والمعاصرين . واشتهر في زمانه كذلك جبرائيل الطبيب الفاضل في الرها وصنف في السريانية كتبا طبية وفلسفية جمة .

وفي السنة ٦٢٦ للعرب (١٢٢٨ م) اتفق الملك الكامل والاشرف اخوه وهما في تل العجول على انتزاع دمشق وضواحيها من اخيهما الملك الناصر داود ابن المعظم . وان تكون المدينة حتى تل فيق للاشرف ومن فيق الى غزة للكامل . وان يعطي الاشرف للناصر بعض الاماكن في المشرق بدلا من دمشق . ووافقهما الناصر في ذلك وسار الى دمشق لينقل امتعته واهله ويخرج

١) فردريك الثاني ملك النمسا .

لكنه ندم اخيرا ورفض ان يسلمها . عند ذلك سار الاشرف في جنوده وجنود الكامل الى دمشق (٤٥٨) وحاصرها. فامتنعت عليه . فارسل يستدعي الكامل اخاه فأقبل وحاصر المدينة حصارا شديدا واحتلها في اول شعبان وسلمها الى الاشرف . واعطى الاشرف لكامل اخيه بدلاً منها الرها وحران والرقة وسروج وراس العين وموزر وجملين . وترك للناصر قلعة الكرك والبلقاء وضواحي اورشليم والسامرة . ثم ارسل الكامل الجيوش مع الملك المظفر تقي الدين الى حماة لينتزعها من اخيه الملك الناصر قلج ارسلان . غير ان الناصر انحدر من القلعة وقصد الكامل ووعده بالذهب وسأله ان يبقيه في حماة. فرفض الكامل طلبه فقال له الناصر : ان كان لا بدّ لك من اخذ حماة فاحلف لي بانك لن تعطيها لاخي تقي الدين . فحلف الكامل وبعث رجاله ليحتلوا المدينة . غير ان اهالي المدينة والقلعة جاهروا قائلين : اننا لن نرضى الا مليكنا وجعلوا يحاربون بشدة . فارسل اليهم الكامل يقول : هوذا ملككم تقيّ الدين عندكم فسلموه . ففرحوا جداً وسلّموه وسار الى القلعة وبعد ايام انطلق الى حران وكان الكامل يومئذٍ فيها يشرف على البلاد التي وهبت له . فرحب به ووفّاه اليه ابنته وودّعه ومن معه بالحلل وأعاده الى حماة ولاسيما لان بعض المتطرفين كانوا يقولون له ان تقي الدين لن ينجدر من قلعتها الى الابد ولن يقع نظرك عليه . لكنه لما سار اليه دون تكلف أعزه واكرمه . وفي تلك السنة احتلّ السلطان علاء الدين مدينتي ارزنجان وقاماخ.

جلوس الخان على تخت دولة المغول بعد ابيه جنكزخان

في السنة ٦٢٦ للعرب (١٢٢٨ م) اكتمل اجتماع ابناء جنكزخان وارباب المغول واكلوا وشربوا ثلاثة ايام ثم قالوا لاوكتاي : لقد صدر امر جنكزخان (٤٥٩) بان تخلفه في المملكة . فقال لهم قول حكيم : ان أمر والدنا مهما كان فان لنا اخا اكبر مني واعماما أولى مني بالمملكة ثم ان تولي اخانا الصغير متولّ المعسكر الكبير وكان ملازماً لابينا في الخدمة دائماً وقد اختبر نواميس المملكة وسياستها اكثر منا فاذا شئتم فليجلس هو . فصرخوا باجمعهم وقالوا: لا بدّ من امتثال مرسوم ابينا المبارك مهما كلفنا الامر . ثم كشفوا رؤوسهم

ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذه جماعتي بيده اليمنى واوتكين بيده اليسرى واجلساه على سرير ذي اربعة مساند اشارة الى اربعة اقطار الدنيا ولقّباه الخان. وتقدم تولي الاخ الصغير الذي ذكر اوكتاي ان الدولة تحق له وسقاه كاس شراب وجثا على ركبتيه وانحنى مبدياً له الخضوع التام. وصنع مثله جميع الاخوة الحاضرين والاقطاب الذين خارج الخيمة فجثوا له على ركبتيهم تسع مرات ثم برزوا الى خارج وجثوا للشمس ثلاث مرات كعادتهم. ولما استقرّ الخان على التخت فتح كنوز ابيه وخزائنه ووزّع على اخوته واعمامه وعلى سائر الاقطاب كل واحد حسب مقامه. وانتخب الاقطاب من بناتهم اربعين عذراء ذوات جمال رائع وزيّنوهن بافخر الحلي والحلل والقلائد المنظومة بالاحجار الكريمة وقدّموهن للخان. وفرحوا جميعاً فرحاً عظيماً جداً. وبعد هذا حتم الخان بان تحفظ جميع نواميس جنكزخان ومراسيمه وصرّح بان من يخالفها يُقتل قتلاً.

وكان جلال الدين خوارزمشاه يظفر يومئذ كالآيل في بلاد خراسان فوجّه الخان جورماغون نوين في ثلاثة آلاف من خيرة (٤٦٠) رجاله الى تلك الاطراف وسيّر سنتاي المجاهد في جيش جرار الى ناحية قبدوقية وبلغارية وبعث غيرهم الى انحاء الهند وسار هو مع الاخوة والانسباء الى الصين.

وفي السنة ٦٢٧ (١٢٢٩م) انتزع الملك الاشرف مدينة بعلبك من صاحبها الملك الامجد ونقل كلّ ما كان في خزائنها وحمله الى دمشق واستقرّ بها.

وفي اول تلك السنة نزل خوارزمشاه جلال الدين منجبرناني بن خوارزمشاه محمد على خلاط وحاصرها اشدّ حصار. وكان فيها تقيّ الدين عباس ومجيرالدين يعقوب أخوا الاشرف. وانتوى جلال الدين منذ خمس سنوات ان يحتل ارض سنعار وسار الى دقوقة وبيت وازيق واخرب واحرق وقتل بحدّ السيف ثم زحف الى مروج شهرزور وارسل اليه مظفّر الدين صاحب اربيل هدايا كثيرة وعقد معه صلحاً. وفي هذه السنة زحف الى خلاط ونصب عليها عشرين منجنيقاً من ناحية البحيرة وتضايق الخلاطيون بسبب الحرب والجوع حتى اكلوا لحوم الكلاب والجحاش. وبيع الرطل السوري من الخبز اعني ستة ارطال بغدادية بدينار مصري.

وعند ذلك حشد السلطان علاء الدين كيقباد عشرين الفاً وسار الى ملطية ووجّه عشرة آلاف الى ارزنجان وأبقى العشرة لديه وكتب الى الاشرف

يشجعه ويصرّح له بانه متوجّه بنفسه الى خلاط ليبارز خوارزمشاه واذا شاء الرب فسيسقي خيله من مياه جيحون بالعجم . ثم ارسل سفيرًا الى خوارزمشاه يقول : انك سلطان ابن سلطان فلا تصنع ما يخالف الشرع . واعلم ان اباك بسبب ظلمه اثار عليه الله تعالى جيوشَ التتر من المشرق . وهذا بيت (٤٦١) ايوب بيت كبير مبارك يركب اخوته وابناء اخيه وابناء عمه وابناؤهم في الفي فارس . ولا تظنّ اني عدوّهم لكني صديقهم ومحاربٌ لاجلهم لان ما بيننا مصاهرةٌ وعمي كذلك هو صهرهم . فيجب ان تحسن معاملتهم حتى تصبح نحن وهم اعداء لاعدائك .

اما خوارزمشاه فاتقح واجابه بانه يتعذر عليه ان يترك خلاط . ثم بالغ في محاربتها . فسخط بعض اهالي وان وسلّموا المدينة الى الخوارزميّين فامتلكوها وانهزم اخوه الاشرف وحسام الدين القيسريّ صهر الاشرف زوج اخته من الامّ وتبعهم عزّ الدين ابيك حاكم خلاط وتحصنوا في القلعة . وما عتم ان طلبوا الامان وسلّموها كذلك . وبعدما احتلّ خوارزمشاه المدينة لم يعتقل اخوة الاشرف بل جعلهم في خدمته يركبون معه ويلعبون امامه كل يوم في الميدان . فخاف الاشرف وسارع في القدوم الى ابلستين واجتمع اليه جنوده . وبرز كذلك السلطان علاء الدين في جنوده واحتشدوا جميعًا في آق شهر . وخرج خوارزمشاه في عساكره للقائهم ومعه اربعون الفًا . وشاهدوا نحو اربعة آلاف فارس من فرسان علاء الدين مشتين فتكوا بهم قاطبةً . ثم اقتتل الفريقان قتالًا شديدًا يوم الجمعة وكانت الغلبة للملك الاشرف . وباتوا ليلة السبت يقتلون ويُقتلون وعند الصباح التحم القتال وانكسر الخوارزميون كسرةً عظيمة وقُتل منهم خلق لا يُحصى عددهم واستؤسر بعض الامراء والجبابرة المشاهير وانهزم الكثيرون منهم الى طرابزون وبلاد الكرج . وسقط نحو الف (٤٦٢) وخمسمائة فارس من كهف عالٍ ليلًا وماتوا . وتم ذلك في آب ١٥٤١ لليونان (١٢٣٠ م) .

(يتبع)

صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام

بقلم حبيب زيات *

٩ ــ الرقوق

جمع رَقّ ويستدل من لفظها انها كانت جلوداً رقاقا قيل لورّاق ما تشتهي ؟ قال : قلماً مشّاقاً وحبراً برّاقاً وجلوداً رقاقاً[١] . وكان منها نوع في غاية الرقة والنعومة لا يكاد يفرق من الورق بشيء وصفه المسعودي بقوله : رأيت بمدينة اصطخر من ارض فارس في سنة ٣٠٣ (٩١٥ م) عند بعض اهل البيوتات المشرّفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم واخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم ... مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان ... وكان تاريخ هذا الكتاب انه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١١ (٧٣١ م) ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية الى العربية . . . والورق فرفيري اللون عجيب الصنع فلا ادري أورق هو ام رق لحسنه واتقان صنعته[٢] وان لم يكن من ورق الصين العالي فلا محالة انه كان من الرق لان الورق السمرقندي لم يكن صُنع بعد في سنة ١١٣ للهجرة .

وفي الشعر القديم ذكر مستفيض للكتابة على الرق كقول طرفة :

كسطور الرق رقّشه بالضحى مرقش يَشيمُه[٣]

ولحسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الرق النشيب[٤]

ولحاتم الطائي :

أتعرف آثار الديار توهماً كخطك في رق كتاباً منمنما[٥]

---

١) ادب الكتاب للصولي ٥٥

٢) التنبيه والاشراف ١٠٦-١٠٧

٣) العقد الثمين ٢٢

٤) ديوانه طبعة ليدن ١٨

٥) الاغاني طبعة الدار ٨ : ٢٠٤

وللحارث بن خالد المخزومي :

هل تعرف الدار اضحت آيها عجما كالرق اجرى عليه حاذق قلما(١

ومما كانت تختار كتابته خصوصاً في الرقوق كتب الامان والعُوَذ التي كانت تعلق في اعناق الاحداث لصبرها على الدعك واللمس . قال ابن همام السلولي من قصيدة يخاطب ابن زياد :

فقد خُطَّ لي الرق فيه الامـا نُ اليك مخافة أبانـك (٢

وفي الاغاني : ان ام ذي الرمة جاءت الى الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي وهو يقرئ الاعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم فقـالت له : يا ابا الخليل ان ابني هذا يُروَّع بالليل فاكتب لي معاذة اعلقها على عنقه فقال لها : ايتيني برق اكتب فيه فقالت : فـان لم يكن فهل يستقيم في غير رق ان يكتب له . قال : فجيئني بجلد وأتته بقطعة جلد غليظـة فكتب له معاذة فيه(٣ .

وكانوا يؤثرون كتابة القرآن في الرقوق(٤ اجلالاً له ويختارون للغـاية نفسها تدوين الحديث في الرق وبالحبر دون الورق والمداد . وفي تاريخ بغداد : ان المعتز بعث الى القاضي احمد بن بديل الكوفي واراد ان يسمع منه احديث قال فاخذ الكاتب القرطاس والمداد فقلت له : أتكتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرطاس بغداد قال : فبمَ تكتب قلت : في رق بحبر فجاؤوا برق وحبر(٥ . واستثنى البطليوسي بعض انواع الحبر فقال : يختار ان لا يكتب في الجلود والرق بالحبر المثلث فانه قليل اللبث فيهـا سريع الزوال عنها وان يكتب فيها بالحبر المطبوخ وفي الرق بما احب(٦ .

وروى البشاري المقدسي ان اهل المغرب كل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة

١) الاغاني ٣ : ٢٢٨
٢) انساب الاشراف للبلاذري ٦ : ٨
٣) الاغاني طبعة بولاق ١٦ : ١١
٤) صبح الاعشى ٣ : ٤٧٦
٥) تاريخ بغداد للخطيب خزانة باريس ٣١٢٨ ص ٩٠
٦) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ٦٧–٦٨

في رقوق[1] وذلك لما تبين للاخشيد امير مصر خطأه بقبول المسير الى بغداد بين يدي المتقي لله وخدمته اياه واراد استدراك هذا الخطأ قال احمد بن عبدالله الفرغاني: فدعوت رجلاً من المغاربة له اخ بالمغرب فقلت له: خذ رقًا واكتب فيه كتاباً من اخيك وقل فيه: « لما اتصل بامير المؤمنين القائم بامر الله (الفاطمي) مسير الاخشيد الى المتقي جهز العساكر في البر والبحر الى مصر واغتنم خلوها ». واذا كتبت الكتاب فمزّقه وادعكهُ حتى يصير كانه قديم ... ثم حمله (الاخشيد) الى المتقي وقرأه عليه ... فقال له: سِر ولا تتأخر[2].

وغلب على الدواوين السلطانية في الاندلس الكتابة في جياد الرقوق بأجل الاقلام. ومن فعل الوزير ابي حفص بن برد الاكبر من رقعة كتبها عن المظفر بن عامر: « ان ورد لاحد من الخدَمة بعد وصول ذلك العبد اليه كتاب اعتراض او تعلل في رق ردي او بواد دني او خط خفي فيه لحن ... ليطلنّ سعي كاتبه في ما يكتب وليعاجلنّ بعقوبة العزل ». وكتب ايضاً: « ان قوماً من خدمة الخُبرة قد عادوا الى ما نهوا عنه فكتبوا الخط الدقيق في دني الرقيق دقة من همتهم ودناءة في اختيارهم »[3].

وربما أعوزهم الرق النقي فيعمدون الى القديم منه او المكتوب فيقشرون وجهه ويسمونه « مبشوراً » ويعتذرون عن الكتابة فيه. ولما ولي المستظهر بالله ابو المظفر عبد الرحمن بن هشام الناصري سنة ٤١٤ (١٠٢٣ م) رفع اليه شاعر ممن هنأه بالخلافة يوم بيعته شعرًا له كتبه في رق مبشور واعتذر عن ذلك بهذين البيتين:

الرق مبشور وفيه بشارة ببقا الامام الفاضل المستظهر
ملك اعاد العيش غضًّا شخصه وكذا يكون به طوال الادهر

فاجزل المستظهر بالله صلته ووقع له على ظهر رقعته بابيات منها:

قبلنا العذر في بشر الكتاب لما احكمت من فصل الخطاب
وجدنا بالجزاء بما ندينا على قدر الوجود بلا حساب[4]

---

١) احسن التقاسيم ٢٣٩
٢) المُغرب في حلى المَغرب لابن سعيد ٤ : ٤١
٣) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام ١ : ٨٧
٤) الذخيرة لابن بسام ١ : ٤٤

ولكن هذا التفاؤل بالبشر والبشارة لم يعصم المستظهر من القتل والموت في السنة نفسها .

وكان في قرطبة رَبَض يدعى « ربض الرقاقين » تباع فيه الرقوق بالقرب من باب العطارين وعرفت اشبيلية بصناعة الرقوق وفي كتاب الحسبة لابن عبدون « يجب ان لا تبسط الاقذار على اقبتها مثل جلود الدباغين والرقاقين » وان لا يعمل الرق الا مبشوراً ولا يصنع الا من الضان المهزول »[1] يريد بالبشر ان تقشر البشرة التي ينبت عليها الشعر .

ولما احرق ابن عباد كتب ابن حزم قال ابن حزم يصف ما أحرق له من رق وقرطاس وكاغد :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... نضنّه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل ان انزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغد ... وقولوا بملء في يرى الناس من يدري
والا فوعوها في المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون فُّ من سَتر [2]

ومن اغرب الحيل التي لجأ اليها احياناً بعض الخطباء في المشرق والمغرب كتابة خطبهم في رق بخط جليل وإلصاقه في الحائط بحيث يستعينون بقراءته قريباً منهم لئلا تخونهم الذاكرة فينقطعوا ويفتضحوا وهو ما حكاه احد موالي بني امية وكان ذا علم باخبارهم القديمة والحديثة واخبار بلاد الاندلس . حدّث عنه حرملة صاحب الشافعي قال :

« كنت قد نظرت يوماً في بعض جوامع براديهم الى خطب مكتوبة بخط غليظ في رق ملصق في الحائط بجذاء المنبر الذي يخطب عليه فكان اذا قعد للخطبة نظر اليها فلم يدخل عليه سقط ولا تلعثم فتكلمت معه في ذلك وعبت عليهم وقلت لهم : انتم اهل المشرق المنسوب اليهم البلاغة والخطب على البديهة وتفتقرون الى مثل هذا ؟ ما رأيت مثل هذا في نواحي المغرب وهم اضعف الناس في البلاغة فما تقولون ؟ فقال لي : قد كان الطف من هذا عندكم وفي بيضة بلدكم وموضع سلطانكم . كان يخبرني ابي عن جدي انه كان عندكم

١) كتاب الحسبة لابن عبدون Journal Asiatique 1934 p. 217 et 250
٢) ادب الكتاب للصولي ٦٥

بقرطبة قاض في الزمان يسمى عنترة من قلاح وكان تقيا ورعا استسقى يوما بالناس فاحسن في دعائه وقيامه بالخطبة فقام اليه رجل من عامة الناس فقال: ايها القاضي الواعظ قد حسنت ظاهرك فحسن الله باطنك فقال له: آمين لنا اجمعين فهل اخبرت شيئاً يا ابن اخي فقال له: نعم بتفريغ اهرائك يكمل استسقاؤك فقال القاضي: اللهم اني أشهدك ان جميع ما حواه ملكي من المأكول صدقة لوجهك ثم تأنى ان لا يريم مقامه حتى يقصد داره ويفرق جميع ما ادخر قال فأغيثوا من يومهم غيثاً عاماً. قال لي وكان هذا القاضي عنترة يقول: متى لحظت الناس لم اجد كلاماً فكان اذا خطب سدل على وجهه من ثوبه فكان يذكر عنه ان معناه غير ذلك وان خطبته كانت مكتوبة في صحيفة مشبكة في الثوب المسدول على وجهه فهذا من نحو ما رأيت عندنا وهذه الخطب لها آلات واستجاع[1].

وللرقوق اذا تداولتها الايدي قعقعة كان يضرب بها المثل قال البشاري المقدسي في كلامه على اصحاب الكيف: على كل رجل منهم جبة. وكساء اغبر يتقعقع كما يتقعقع الرق[2]. وهذه القعقعة هي التي كانت سبباً لسقوط زينب اخت الحجاج بن يوسف ومقتلها وكان لما خرج ابن الاشعث وجه بها مع حرمه الى الشام خوفاً عليهن «فلما قتل ابن الاشعث كتب الى عبد الملك بن مروان بالفتح وكتب مع الرسول كتاباً الى زينب يخبرها الخبر فاعطاها الكتاب وهي راكبة على بغلة في هودج فنشرته تقرأه وسمعت البغلة قعقعة الكتاب فنفرت وسقطت زينب فدق عنقها وتهرّى جوفها فماتت»[3].

وفي دار الكتب في القاهرة امثلة نفيسة من الجلود والرقوق المكتوبة. وفي الخزانة الظاهرية بدمشق صحف من الرق منتزعة من كتب عربية قديمة جُلدت بها اجزاء في الحديث وبعض العلوم.

١٠ ــ الطروس

قال ابن سيدة: الطرس الكتاب الذي مُحي ثم كُتب والجمع اطراس

١) كتاب القضاة بقرطبة لابي عبدالله محمد بن الحارث الخشني طبعة مدريد ص ٣٥-٣٦
٢) احسن التقاسيم ١٥٣
٣) الاغاني ٦ : ٣٦

وطروس . وقال الليث : الطرس الكتاب الممحو الذي يستطاع ان تعاد عليه الكتابة . وفي اللسان ايضاً : الطرس الصحيفة ويقال هي التي محيت ثم كتبت وكذلك الطلس[1] palimpseste .

وقد سبق انه لما كانت فتنة الامين نهبت الدواوين واخذ ما فيها من الجلود المكتوبة فمحيت او غسلت وكتب الناس فيها عدة سنين وفي كتب التراجم والتاريخ عدة اشارات الى من غسل كتبه اما تورعاً قبل موته واما في حياته لغرض من الاغراض واشتهر من الاولين سفيان الثوري يقال انه لما حضرته الوفاة غسل كتبه كلها خوفاً كما قال ابو العلاء :

والخوف ازم سفيا ن ان يفرّق كتبه[2]

وجاء في ترجمة المبارك بن ابي طالب الكوفي المتوفى سنة ١١٨٩/٥٨٥ انه كان «أوحد زمانه في حسن الخط وكان ضنيناً بخطه جداً فلذلك قل وجوده كان اذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستاً ويغسله»[3] . وروي عن ابي الحسن علي بن عيسى النحوي الربعي ومات في بغداد سنة ١٠٢٩/٤٢٠ «ان احد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مغضباً واخذ شرح سيبويه (من تصنيفه) وجلجله في إجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم به الحيطان ويقول : لا اجعل اولاد البقالين نحاة»[4] .

ومما يجدر ذكره ان ابن الدهان الوجيه وكانت وفاته ببغداد سنة ١٢١٥/٦١٢ «حضر بدار الكتب التي برباط المأمونية وخازنها يومئذ ابو المعالي احمد بن هبة الله فجرى حديث المعري فذمّه الجازن وقال : كان عندي في الخزانة كتاب من تصنيفه غسلته فقال له الوجيه : واي شيء هذا الكتاب قال : كان كتاب نقض القرآن فقال له : اخطأت في غسله»[5] .

واذا صح ان الكتاب كان حقًا لابي العلاء ولا نعلم ان احداً نسبه اليه كانت هذه الحكاية من اولى الشواهد على ان نكبات العلم وضياع بعض ذخائره

١) لسان العرب ٧ : ٤٣٧–٤٣٨ وتاج العروس ٤ : ١٧٧

٢) اللزومات طبعة الهند ٤٤

٣) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ٢٨٤

٤) ارشاد الاريب ٦ : ٤٣٥

ونوادره لم تكن من جناية الدهر فقط وكساد الوراقة واهمال النساخ بل احياناً من تفريط الخُزّان المؤتمنين على حراسته وصيانة ودائعه وتركاته وربّ حارس مُحترَس منه .

ومن روايات ياقوت ايضاً : قال الشميم الحلي : عملت مقامات مرتين فلم ترضني فعملتها وما اعلم ان الله خلقني الا لأظهر فضل الحريري[1] .

١١ ــ البردي والبرديات

في مفردات ابن البيطار ان البردي كان يقال له الحلفا[2] ودعاه ايضاً الغافير بغائين وهو تعريب papyrus وكثيراً ما تعاقب الغاء الباء.[3] ونقل عن ابي العباس النباتي انه « موجود بصقلية معروف بها واهل البلاد يسمونه يبير ببائين معجمتين في المنطق بنقطة واحدة من اسفلها بعدهما ياء باثنتين من اسفل ثم راء »[4] . ومن هذا الضبط يتضح غلط النساخ في طبعة ابن حوقل حيث ورد لفظ « البربير » بزيادة راء بين البائين بدلاً من البير قال في كلامه على مدينة بلرم في صقلية : « في خلال اراضي بلرم بقاع قد غلب عليها البربير المعمول منه الطوامير ولم اعلم لما بحصر من هذا البربير نظيراً بوجه الارض الا ما بصقلية منه واكثره يفتل حبالاً للمراكب واقله يعمل منه للسلطان طوامير لا تزيد على قدر كفايته »[5] .

وقد فات ابن حوقل ان البردي كان ينبت ايضاً في فارس وفي افريقية وبطائح السودان والحبشة قال الشيخ داود الانطاكي : « وينبت ايضاً بغوطة الشام وعندنا مما يلي السويدية[6] . وكان معروفاً ايضا في ديار العرب شبهوا المرأة المتصفة بالشطاط وحسن القامة بأبادة البردي اي قصبته فقال احد الشعراء :

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١٣٢

٢) في الاصل المطبوع غلطاً « الحفا » بايقاط اللام .

٣) وقد تصحف في الاصل المطبوع الغافر بالقاف بالذين بدلاً من الغاء .

٤) الكتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية، لضياء الدين عبدالله بن احمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار طبعة القاهرة ١ : ٣٥ و٨٦

٥) المسالك والممالك طبعة ليدن ٨٥ – ٨٦

٦) تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب ١ : ٦٥

وحقة مسك من نساء لسنها شبابي وكأس باكرتني شمولها
جديدة سربال الشباب كأنما أبادة بردي سفنها غيولها [1]

وكان المصريون يعملون من البردي في ما عدا القراطيس اي صحف الكتابة حبالاً للمراكب وينسجون منه الحصر الغليظة المعروفة بالاكياب[2] ولم ترد هذه اللفظة في مكانها من المعجمات واحسن وصف رأيناه للبردي والقرطاس المعمول منه ما رواه ابي البيطار عن ابي العباس النباتي قال: «هو نبات ينبت في الماء له ورق كخوص النخل وسوقه طوال مستديرة خضر في غلظ عصا الرمح القصير نحو القامة واكثر وهي خوّارة مفرّقة تتشظى اذا رُضّت الى شظايا دقيقة وربما صلحت ان تصلح منها الارشية وفيها قوة وعلى اطرافها رؤوس مستديرة ضخمة كأنها رؤوس الثوم الكرّاثي الا انها اضخم عليها هدب ذهبي اللون مليح المنظر.

«وصفة عمل القرطاس عند المصريين في الزمان الاول كانوا يعمدون الى سوق النوع فيشقونها نصفين من اولها الى آخرها ويقطعونها قطعاً قطعاً وتوضع كل قطعة منها الى لصق صاحبتها على لوح من خشب املس ويأخذون ثم البشنين[3] ويزجونه بالماء ويضمون تلك الازوجة على القطع ويتركونها حتى تجف جداً ويضربونها ضرباً لطيفاً بقطعة خشب شبه الارزبة فتصير في قوام الكاغد الصرف المتين»[4].

وقد اشار ابن الحشاء من رباط الفتح في كلامه على القرطاس المحرق الموصوف في الادوية الى صناعة البردي فقال: «كان يتخذ قديماً بديار مصر من صنف من البردي يُسمّى بها الغفير مع رطوبة نبات ينبت في الماء يسمى البشنين يتخذ الواحا على غلظ الكف وتجفف وتستعمل في الطب. وقد ترك اليوم عمله مع وجود النباتين حتى لا يعرفه الا القليل سماعا لا مشاهدة»[5].

وكان معوّل الدواوين السلطانية قبل ظهور الورق السمرقندي على الصحائف

---

١) الكامل للمبرد طبعة ليبسيك ٤١٤

٢) تذكرة اولي الألباب والجامع للعجب العجاب ١: ٦٥

٣) البشنين نبات يقوم على ساق ولا ورق له ويسميه المصريون عرائس النيل (nymphea lotus)

٤) مفردات ابن البيطار ١: ٨٦-٨٧

٥) مفيد العلوم ومبيد الهموم طبعة سنة ١٩٤١ ص ١١٧

البرديات ومنها دفائن كثيرة في صعيد مصر واول ما اكتشف جانب منها سنة ١٨٢٤ في ضواحي مدينة منف القديمة بالقرب من هرم سقارة ودير مار ارميا عُثر منها على صحيفتين في باطن جرّة مختوم عليها وكانت عادة القوم في تلك الازمنة حفظ ما يشاؤون صيانته واستقاءه من البرديات والكتب في قوارير من زجاج او جباب من فخار رفقاً بها لسرعة تكسرها وتهرّئها بتداول الايدي لها . وفي تاريخ ٩ يونيو — حزيران سنة ١٩٤٩ روت الجرائد ان بعض الفلاحين لقوا في مغارة بالقرب من نجع حمادة على بعد ٥٠ كيلومترًا شمالي الاقصر خابية كبيرة أُودع فيها اثنا عشر مجلدًا بالقبطية لم يبرح جلدها سليماً وفيها عهود دينية عديدة من القرن الثالث بعد الميلاد .

وبقيت عادة حفظ البرديات في الجرار متبعة الى القرن الثالث للهجرة كما يستفاد من رواية ابن خلكان في ترجمة يحيى بن معين بن عبد الرحمن المري البغدادي المتوفى سنة ٢٣٣ / ٨٤٧ قال : « خلف من الكتب مائة قطر واربع جباب شرابية تملوءة كتبا . »[1] وفي تاريخ بغداد للخطيب انه خلف ثلاثين قطرًا وعشرين جبًّا[2] . وكان من شاء سلامة كتبه من الفساد يصونها في الفخار ويظهر ان محمد بن اسحق فعل كذلك بنسخة له من كتاب السيرة صنفه لسلمة ابن الفضل قال ابو الهيثم صنف محمد بن اسحق كتاب السيرة في القراطيس فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس »[3] .

وبعد نحو نصف قرن من الاكتشاف الاول عقبه اكتشافات اخرى في الفيوم والاشمونين واهناس وبهنسا واخميم واشقاو وادفو بلغت الآلاف من الصحف والرقاع والرسائل والشروط والعقود والحجج والبراءات والصكوك الديوانية والكتابات الخاصة والعامة وفيها من الاخبار والفوائد واوصاف الحياة والمجتمع منذ الفتح ما تتجلى فيه مرآة تلك العصور ويعد اصدق شاهد بما كان يجري فيها من سياسة وولاية وتدبير وجباية ورسوم وظلامات وصناعة وتجارة وتصرف بالسفن والمراكب وتعريف اثمان الرباع والعقارات واجور المزارع

١) وفيات الاعيان ٦ : ٢١٩
٢) تاريخ بغداد ١٤ : ١٨٣
٣) تاريخ بغداد ١ : ٢٢

وتقلب اسعار الارض والاغذية والمآكل واختلاف قيم النقود من ذهب وفضة وعلم جرا من الاحوال والشؤون العمرانية التي تدرجت اليها الحضارة العربية بعد اختلاطها بالروم والقبط .

ومثل هذه الذخائر والكنوز يستطيع المؤرخ اليوم ان يستدرك ما فات المتقدمين علمه من حقيقة الحوادث والاخبار السالفة او ما لم يتهيأ لهم وصفه على وجهه الصحيح من تاريخ العصور الاولى. واقدم اثر من هذه الآثار الصادقة مدوَّن في سنة ٢٢ للهجرة اي سنة ٦٤٢ — ٦٤٣ للميلاد وفيها ما هو متأخر يرجع الى ختام القرن الثامن وهي محفوظة اليوم في الخزائن الاوربية وقسم منها في دار الكتب المصرية وما كادت تشتهر مزيتها حتى اقبل العلماء على دراستها وفك ما اعتاص منها وانفتح لهم في مطالعتها ابواب جديدة للنقد والاستدراك والتصحيح لم تكن في الحسبان وتولد منها علم جديد دعوه علم البرديات papyrologie وبعض هذه البرديات مكتوب باللغتين العربية والرومية وبعضها بالقبطية وبلغ ما اقتناه الارشيدوق رينياي (Régnier) من مكتشفات الفيوم ١٢٫٥٠٠ رقعة بين صحائف واوراق منها عشرة آلاف بالعربية وخمس مئة بالقبطية .

ووجد في ادفو بين الجزازات والدشت كتاب واحد مخروم قليلاً مجلد برق ملفوف في خرقة من الكتان عنوانه « الجامع في الحديث » لابي محمد عبد الله ابن وهب بن مسلم القرشي المصري (ولد سنة ١٢٥ للهجرة (٧٤٢ — ٧٤٣ م) وتوفي سنة ١٩٧ (٨١٢ — ٨١٣ م) وعدد صفحاته ٨٧ . طبعه وعلق عليه المستشرق Y. David Weil في مجموع منشورات المعهد الاثري في القاهرة .

ويتضح من النظر في البرديات المكتشفة انها كان منها اجناس مختلفة تتباين في الرقة والصفاقة والجودة والقطع واللون ومنها ما هو خشن يصلح للحصر وما هو غليظ صلب كالورق المقوى وما هو احمر ولكن البياض هو الغالب وبه اشتهرت القراطيس المصرية ولذلك صح لاحد الشعراء قوله في الهجاء :

ثياب طباخه اذا اتسخت انقى بياضاً من القراطيس(١

١) النهاية في التعريض والكتابة للثعالبي ٢٩

ولابي نواس في تشبيه الناقة :

واحتازها لون جرى في جلدها يفق كقرطاس الوليد هجان(١

١٢ ــ القرطاس

اضطرب كلام القوم في تفسير لفظ القرطاس الذي كان يطلق على صحف البردي وهو من الرومية (Χάρτης) تكلموا به قديماً وجاء في القرآن (ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس) فقال اللسان : القرطاس الكاغد يتخذ من بردي يكون بمصر . ثم اطلقه على الصحيفة من اي شيء كانت[٢] ونقل القلقشندي ان القرطاس والصحيفة بمعنى واحد وهو الكاغد وان كل كاغد قرطاس[٣] وهو تفسير مولّد تتوسى فيه الاصل لان الكاغد من القنب والكتان . والقرطاس من قصب البردي ولذلك قال ابن البيطار : متى قيل في الطب « قرطاس محرق » فيراد به القرطاس الذي يكون من البردي[٤]. ومن ثم لا بد للناظر في كتابات المتقدمين من التمييز بين معاني القرطاس في عصوره المختلفة فكل ما جاء منه قبل الهجرة وبعد الخلافة الاموية الى شطر من الخلافة العباسية في القرن الثالث انما يُقصد به صحف البردي وبه يجب ان يفسر قول طرفة في معلقته يصف ناقته :

وخدٍ كقرطاس الشامي ومشفر كسبت اليماني قدّه لم يحرّد

ثم لما ظهر الورق السمرقندي وعم استعماله وانقطع بسببه عمل الورق البردي تحول لفظ القرطاس الى معنى الكاغد والتبست الكلمتان .

وربما قيل : قرطس بحذف الالف كما في بيت للبحتري العقيلي في وصف رسوم دار شبيها بخط الزبور فقال :

كأن بجيث استودع الدار اهلها بخطّ زبور من دواة وقرطس(٥

ويجمع على قراطيس كما في قول احدهم :

---

١) ادب الكتاب للصولي ١٠٦

٢) لسان العرب ٨ : ٥٤ــ٥٥ والتاج ٤ : ٣١٥

٣) صبح الاعشى ٣ : ٤٧٤

٤) الكتاب الجامع لمفردات الادوية ١ : ٨٦

٥) تاج العروس ٤ : ٣١٥

حملت اليك عروس الثناء على هودج ما به من بعير
على هودج من قراطيس مصر يبين على الطي بين الحرير(١

واشتهر الرهبان بالكتابة على القراطيس فقال جرير :

كأن ديار الحي من قدم البلى قراطيس رهبان احالت سطورها(٢

وكان القرطاس يعمل في عدة مواضع قديمة من مصر لم يعرف منها الا الفار وافراجون — بالجيم وضبطها ياقوت بالحاء المهملة — والفسطاط وبورة التي ينسب اليها السمك البوري ووسيمة(٣ . في كتاب الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة لابن ظهير : « دقهلة وكورتها يعمل بها القرطاس الطومار الذي يحمل منه الى اقاصي بلاد الاسلام والكفر »(٤ ويؤخذ من بعض الروايات انه كان يعمل قديماً في الاسكندرية ايضاً(٥ .

وقد سبق من كلام ابن حوقل ان القراطيس البردية لم يكن يعمل منها بصقلية الا المقدار الذي كان يحتاج اليه السلطان فكانت مصر معدنها الوحيد في الشرق ومنه كان يستمد اهل الغرب مؤونتهم الى اوائل القرن الثاني عشر الميلاد . ولما ابتدأ المعتصم بالله ببناء سامرا سنة ٢٢١/٨٣٧ « حمل اليها الناس من كل بلد وامرهم ان يعمروا عمارة بلدهم وحمل قوما من ارض مصر يعملون القراطيس فعملوها ولم تأتِ في تلك الجودة(٦ وزاد ابن الفقيه انه « حمل صناع القراطيس الى سر من رأى مع تربتها وماشها وامرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه الا الخشن الذي يتكسر »(٧ وهذا القول يعني ان المعتصم ادرك فائدة استنبات البردي في ارض سامرا لعمل القراطيس فامر بجلب ترابه وماشه وصناعه من مصر ولما صحت تجربته ونجحت سوقه اوعز الى صناعه الاقباط بتقطيعها والحاقها على الشكل الذي اعتادوه في مصر فلم تأتِ القراطيس

١) نقائض جرير والفرزدق ١ : ٥٢٧
٢) كتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي ١٢٦–١٢٧
٣) خزانة باريس ١٧٦٧ ص ٢٣
٤) *Dictionnaire Encyclopédique Quillet* p. 3406
٥) تاريخ اليعقوبي طبعة ليدن ٥٧٧ و٢٦٤
٦) كتاب البلدان طبعة ليدن ٢٥٣

منها في اللين الكافي وغلبت عليها الخشونة اما لجفاف هواء سامرا وقلة الرطوبة والبردي يجيء في مصر على ضفاف النيل واما لاسباب اخرى خافية . ويظهر ان الزراع لم ينقطعوا عن استنباته على علاته ولعلهم اتخذوا منه بدلًا من صحف الكتابة قراطيس للصرّ وهو ما يستفاد من النِسَب الى القراطيس وصناعتها في بغداد . قال السمعاني : القراطيسي نسبة الى عمل القراطيس وبيعها . والمشهور بها ابو عمرو وقيل ابو عثمان سعيد بن بحر القراطيسي والقاضي المحاملي مات في رمضان سنة ٣٤٣. وابو ذرّ القاسم بن داود بن سليمان البغدادي القراطيسي. . . وابو بكر محمد بن بشر بن مروان القراطيسي اصله من انطاكية سكن بغداد[1] ومن الشعراء الذين عرفوا بهذه النسبة اسحيل بن معمر القراطيسي . كان بيته مألفاً للشعراء كابي نواس وابي العتاهية ومسلم وطبقتهم .

وكان بالكرخ درب القراطيس ذكره الطبري والجاحظ وعمرو بن متى وماري بن سليمان وغيرهم قال الجنيد : «مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني[2] . وفي ربيع الاول سنة ٣٧١/٩٨١ وقع حريق بالكرخ من حد درب القراطيس الى بعض البزازين من الجانبين »[3] .

وفي الاساطير الاسلامية ان يوسف اول من عمل القراطيس واتخذها وكتب فيها[4] ولما جاء شابوليون المشهور الى مصر وجد بين اوراق البردي حسابات يرتقي تاريخها الى سنة ١٧٠٠ قبل المسيح[5] واول ذكر للقراطيس بعد الفتح كان في ايام عمرو بن العاص . قيل امر عمر بن الخطاب زيد بن ثابت «ان يكتب الناس على منازلهم وامره ان يكتب لهم صكاكاً من قراطيس ثم يختم اسافلها فكان اول من صكّ وختم اسفل الصكاك »[6] .

ولا يعلم متى بدأت زراعة البردي بالتناقص بمصر وتبعتها صناعة القراطيس بالاضمحلال بعد رواج الكاغد . ويظهر انه بقيت بقية من زراعته الى سنة

١) كتاب الانساب ٤٤٥
٢) وفيات الاعيان ١ : ١٤٧
٣) تاريخ الاسلام للذهبي خزانة بريتش موزيوم Add. 48 f° 15
٤) الاعلاق النفيسة لابن رسته ١٩٣
٥) *Dictionnaire Quillet* p. 3406
٦) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٧

١٤٠٠ للميلاد في بركة قارون في الفيوم وفي اعلى الصعيد . وكان لا يزال يعمل في دمياط سنة ١٧٩٦ حبال وصدر من قصب البردي . ويُظن ان صناعة القرطاس بدأت بالسقوط والتلاشي منذ سنة ٩٣٦/٣٢٥ على اثر انتشار الورق السمرقندي في خراسان والعراق والشام والمغرب واسبانية وايطالية وفرنسة . ومع ذلك لم ينقطع استعمال القرطاس في الشرق والغرب حتى النصف الاول من القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للميلاد وظلت دواوين البابوات تكتب فيه الى سنة ١٠٥٧ .

وقد سبق قول ابن البيطار ان القرطاس كان يحرق ويستعمل في الطب ومن فوائد رماده ايضاً ما ذكره ابو حاتم السجستاني قال : اذا اردت ان تضمّن كتاباً سرًّا فخذ لبناً حلياً فاكتب به في قرطاس فيذرّ المكتوب اليه رمادًا سخناً من رماد القرطاس فيظهر المكتوب وان كتبت به باء الزاج الابيض فاذا ذرّ المكتوب اليه عليه شيئاً من العفص ظهرت الكتابة وكذلك بالعكس[1] .

وقد اغفل ابن البيطار في وصفه عمل القرطاس ذكرَ صقاله وباي طريق واداة كان يتم . ويظهر انهم بلغوا فيه حد الاتقان والجودة كما يستفاد من قول جعفر بن حمدان المصري الكاتب وقد استوفى فيه وصف حسن لونه وطيبه وصقاله :

في يديه من القراطيس كالز ... نة جادت بواكف مدرار
كالملاء الرخيص كالثوب يغزال ... هند كالبيض كالمياه الجواري
كالسراب الرقراق في عنفوان ال ... صيف نصف النهار في ايار
ما تباني أجلتَ عينك فيه ... حين يُطوى ام في خصور العذاري
يسبح الخط فيه عومًا فما يك ... بو بوعث فيه ولا بجبار[2]

ومن اغرب ما صنع من القرطاس قميص للقاضي عمران بن عبد الله سنة ٧٠٨/٨٩ وكان هجا عبدالله بن عبد الملك عامل مصر بابيات ثلاثة لمزله اياه

١) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢٠٧ والوافي بالوفيات للصفدي خزانة باريس ٢٠٦٥ ص ١١٣

٢) ادب الكتاب ١٠٦-١٠٧

« فامر عبدالله ان يقطع له قميص من قراطيس ويكتب فيه عيوبه ويوقف للناس . فصُرف عبدالله قبل ان يوقف »[1].

طراز القراطيس (filigrane)

كانت صناعة القراطيس بمصر محصورة في ايدي العمال النصارى ككثير من الصناعات في الدولة الاموية وكانت عادتهم في ايام الروم البيزنطيين ان يرسموا في رؤوس الطوامير بسملة الصليب في الطراز وظلوا كذلك بعد الفتح الى شطر من خلافة عبد الملك بن مروان وهو اول من نبّه لها وانكرها واستبدل بها الآية القرآنية كما حكاه البلاذري في كلامه على الدنانير قال :

« كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العرب من قِبَل الروم الدنانير فكان عبدالملك اول من احدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من « قل هو الله احد » وغيرها من ذكر الله فكتب اليه ملك الروم : انكم احدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه فان تركتموه والا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه قال فكبر ذلك في صدر عبدالملك فكره ان يدع سنّة حسنة سنّها فارسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له : يا أبا هاشم احدى بنات طبق واخبره الخبر فقال : افرخ روعك يا امير المؤمنين واجرِ دنانيرهم فلا يُتعامل بها واضرب للناس سككاً ولا تُعفِ هولاء الكفرة مما كرهوا في الدنانير فقال عبد الملك : فرّجتها عني فرج الله عنك وضرب الدنانير . »

قال عوانة بن الحكم : وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه الى الربوبية — تعالى الله علوّاً كبيراً — وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره.

وقال المدائني قال مسلمة بن محارب : اشار خالد بن يزيد على عبد الملك بتحريم دنانيرهم ومنع من التعامل بها وان يدخل بلاد الروم شيء من القراطيس فمكث حيناً لا يُحمل اليهم[2] .

واسند البيهقي شرح القصة الى الخليفة هرون الرشيد وفيه بعض الخلاف

---

١) تاريخ مصر وولاتها للكندي ٣٢٨-٣٢٩

٢) فتوح البلدان طبعة ليدن ٣٤٠

لرواية البلاذري . واهم ما هناك ان صناع الطراز كانوا من الروم ولذلك كانت القراطيس تطرز بالرومية وكان طرازها « ابا وابنا وروحا قديشا » ولا ينفى ان هذا القول هو ترجمة الاصل الرومي الى السريانية نقله الرشيد احد البطارقة في بغداد قال :« ولم يزل الطراز كذلك صدر الاسلام كله يمضي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه عليه وكان فطناً فبينا هو ذات يوم اذ مرّ به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك وقال : ما اغلظ هذا في الدين والاسلام ان يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الاواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك ما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله واهله تخرج منه هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد وقد طُرزت بشرك شبّ عليها. فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بابطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وان يأخذ صناع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد « وشهد الله انه لا إله الا هو » وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعاً بابطال ما في اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيئاً منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل »[1] .

وظلت آية التوحيد ترسم على القراطيس البردية وتحمل على هذه الصورة الى بلاد الروم والاقطار النصرانية قبل انتشار صناعة الورق في أسبانية وايطالية وفرنسة . ولو درى عبد الملك ان آية القرآن سيُحَطّ فوقها من بعده باقلام البابوات ورجال الدين اعظم عقائد النصرانية واخبارها مدة تربي عشرة اضعاف على الحقبة المروانية التي كتبت فيها اقوال الخلفاء واوامرهم فوق طراز التصليب لمات قرير العين وقد ادرك ثأره مما عدّه غلطاً في الاسلام .

وفي الخزائن الاوربية اليوم بعض بقايا من القراطيس البردية المطرزة بآية التوحيد منها منشور البابا يوحنا الثامن كتب سنة ٨٧٦ محفوظ في دار الكتب بباريس علق عليه العالم بالمخطوطات شامبوليون فيجاك سنة ١٨٣٥ درساً بعنوان :

Charte Latine sur papyus d'Egypte

١) المحاسن والمساوئ طبعة القاهرة ٢ : ١٢٦–١٢٩

وفي طرار هذا المنشور اسم المشرف : سعيد بن عبد الرحمن (وكان حيا سنة ٨٣٨) .

وفي خزانة بريتيش موزيوم في لندرة مخطوط رقم Ar. 5001 يُرى في ورقته الاولى صليب في الطرار[1].

وما خلا آية التوحيد كان يطرز ايضاً على مدارج القرطاس اسم عامل مصر والمشرف على صناعة البردي وتاريخ عمله ومحله واحياناً اسم خليفة الوقت وولي عهده ووزيره وما اشبه ذلك من القيود الديوانيـــة باللغتين العربية والرومية ثم اقتصر فيما على القلم العربي وحده واختلفت ايضاً صور الكتابة بحسب اختلاف العمال والولايات ومنها في البرديات المكتشفة ضروب وانواع يطول تعدادها .

اقيسة القرطاس

لم نقف في كل ما طالعناه على نص صريح يذكر مقادير القرطاس واقيسته وقطعه قديماً خلا ان السيوطي في كلامه على خصائص مصر روى ان القرطاس «كان يعمل طوله ثلاثون ذراعاً واكثر في عرض شبر»[2] ويتبين من معاينة الصحائف القديمة ان اقيستها كانت تتباين بحسب الشظايا التي تتألف منها وربما بلغ طول الشظية الواحدة ٧٥ سنتيمتراً وعرضها ١/٢ ٤٤ يُلصق بعضها ببعض الصاقاً محكماً يكاد لا يبين وتؤخذ العشرون منها تقريباً في قياس ٣٠ ذراعاً او ١/٢ ١٤ متراً وتلف في مدارج مختومة كان يقال للسدس منها في الرومية (τομάριον) اي طومار وهو اقل ما كان يُطلب ويباع منها .

وبين البرديات المحفوظة في مجموعة الارشيدوق رينياي رقاع كتب فيها بعد البسملة : « ادفع الى رسولي من القراطيس النقية كذا طوماراً » وبذيلها هذا التوقيع « الحسن بن سعيد يؤمن بالله ورسوله » بتاريخ اول المحرم سنة ١٩٦ (= ٢٣ سبتمبر ٨١١) .

وفي كتب اللغة ان الطومار هو الصحيفة . وأُريد به في الاصطلاح مجرد

---

(١) *Bulletin Officiel de la Chambre Syndicale du Commerce des papiers de France* n° 210 Avril 1938 p. 6300

(٢) حسن المحاضرة ٢ : ١٩٤

الورق ولكن حيثما ورد في الكتابات التي سبقت ظهور الورق السمرقندي لا يُعنى به الا قطع السدس من قرطاس البردي وهو المعروف بالدرج والفرخة . وكان يكتب فيه بقلم خاص يقال له « قلم الطومار وهو قلم جليل قدر الكتاب مساحة عرضه باربع وعشرين شعرة من شعر البرذون وبه كانت الخلفاء تكتب علاماتهم في الزمن المقدّم في ايام بني امية فمن بعدهم »[1] وله قلم آخر يسمى قلم مختصر الطومار .

قيل ان الوليد بن عبد الملك « هو اول من كتب في الطوامير وامر بان تعظم كتبه ويجوّل الخط الذي يكاتب به وكان يقول تكون كتبي والكتب اليّ خلاف الناس بعضهم الى بعض »[2] « فهو اول من جوّد القراطيس وجلّل الخطوط وفخّم المكاتبات وكتب لمروان بن محمد آخر الامويين عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور فاطال الكتب واطنب فيها حتى يقال انه كتب كتاباً عن الخليفة جاء وقر جمل واستمر ذلك في ما بعده »[3] .

ولا ندري عمن نقل القلقشندي هذا الخبر العجيب ومن الخوارق ان يبلغ كتاب خليفة حمل جمل ولا ريب انه كان مكتوباً بخط جليل موسّع فيه بين السطور حتى بلغ حجم الكتاب هذا المقدار الهائل الذي يغلب على سامعه الشك في صحته . وابن هذا الاسراف في التبذير من تقتير عمر بن عبد العزيز وقد ذُكر في مناقبه « انه أُتي بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين »[4] قال عمرو بن ميمون : ما زلت الطف انا وعمر في امر الامة حتى قلت له : يا امير المؤمنين : ما شأن هذه الطوامير التي يكتب فيها بالقلم الجليل يُمدّ فيها وهي من بيت مال المسلمين؟ فكتب في الآفاق ان لا يُكتبنّ في طومار بقلم جليل ولا يُمدنّ فيه . قال فكانت كتبه انما هي شبراً ونحوه »[5] .

---

١) صبح الاعشى ٣ : ٥٢
٢) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٥٣
٣) صبح الاعشى ٦ : ٣٩١
٤) « « ٣ : ٥٢
٥) طبقات ابن سعد طبعة اوربة ٤ : ٣٦٥-٣٦٦

وكان الطومار يُجزأ الى اجزاء. اعظمها الثلثان واقلها السدس . ولكل منها اختصاص بحسب منزلة المكتوب اليه وفي كتاب القلم والدواة لمحمد بن عمر المدائني « ان الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن ابي سفيان وذلك انه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار . والى الامراء من نصف . والى العمال والكتاب من ثلث . والى التجار واشباههم من ربع . والى الخطاب والمساح من سدس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم وهي الثلثان والنصف. والثلث والربع والسدس »[1] ومنها اتخذت فيما بعد مقادير الورق البغدادي الكامل .

وذكر الصولي مقادير القراطيس التي يكتب فيها فقال : « يكتب الامام في الثلثين من الطومار الى ملك الملوك وعماله ويكتب عماله اليه في مثل ذلك ويكاتبه وزيره في النصف في امور العامة الديوانية فاما الخاص الذي يكتبه بخطه او يكتب بين يديه ففي خمسين ويكاتبونه في مثل ذلك في الخاص والعام الا من كان منهم في ادنى الطبقات فانه لا يكاتب الا في النصف في الحالتين جميعاً وتتكاتب الاكفاء في الاثلاث والارباع وتتحيل المودة بينهم كل شيء احتملته من التسمح في ذلك . والاسداس للتوقيعات وقال بعض الكتاب :

انت لما ابتدأت تكتب في الأنصا فرخفنا من قلة الإنصاف
وعلمنا ان شأنك لا يجمع بين الإنصاف والأنصاف[2]

وكانت اجزاء الطومار توصل ويلصق السابق منها باللاحق في الرسائل الطويلة والكتابات الديوانية وربما بلغ طولها ستين ذراعاً وفي تاريخ الصابي « احضره صاحب القرطاس ثلث قرطاس ووصل القول بما ملأ به الثلث واستدعى ابو علي (ابن مقلة) ثلثاً آخر واستتم الامر فيه وفي ما اراد خطابه به في معانيه فكان ذرع الثلثين اللذين كتب فيهما نحو ستين ذراعا »[3] .

ويظهر ان إلصاق الوُصل كان يوكل عادة الى الخدام والغلمان وكان لا بد

١) صبح الاعشى ٦ : ١٨٩ وديوان الانشاء خزانة باريس ٣٦٥٩ ص ١٧٧
٢) ادب الكتاب ١٦٨–١٦٩
٣) تاريخ الوزراء ٢٣٩

من بعض الحذق والدربة به لئلا يستبين وعُدَّ ذلك من فضائل بشر غلام كشاجم الشاعر المشهور ولما مات بشر قال في رثائه :

يطوي الطوامير بلا كلفة واللصق بالالصاق لا يستبين[1]

ظهور القراطيس

قال الصولي : كره الناس الظهور (اى الكتابة في ظهور القراطيس) وأمر بترك استعمالها في النُسَخ وانشائها فكيف في المكاتبة وقيل هي تذيع الاسرار بما في باطنها .. وتنقض من سمو الدولة واعتذر آخر من كتابته في الظهر فقال:

ان كتابي لك في الظهر يخبر اني ظاهر الفقر[2]

وقال صفي الدين الحلي يعتذر عن الكتابة في ظهر قرطاس :

كتبت على ظهر اليك لانني رأيتك ظهري في جميع النوائب[3]

وفي كتاب بواقيت المواقيت للثعالبي :

انما يكتب في ظهر اذا اعوز بطن[4]

ولا يخفى ما في هذا البيت من التورية القذرة .

ومن مجون ابن المعتز وسقطات شعره جوابه على حبيب له في ظهر كتابه قال فيه :

وأجبتُ في ظهر الكتاب إذا انى ليلوط خطي في الكتاب بخطه[5]

ولهذا السبب الذي نقلناه كانت النسخ المحفوظة في الدواوين السلطانية كثيرة البياض خالية الظهور وتقدم قول الشافعي :« كنت اجيء الى الدواوين فاستوهب منها الظهور فاكتب فيها » وفي كتاب الاغاني « قال بخارق كانت الحال بين ابي العتاهية وبين ابرهيم الموصلي لطيفة فكان يبعثني اليه في الايام اتعرف خبره فاذا دخلت وجدت بين يديه ظهرًا ودواة فيكتب اليّ ما يريد

١) ديوانه طبعة بيروت ١٨١
٢) ادب الكتاب ١٦٨–١٦٩
٣) ديوانه ٤١٦
٤) خزانة الاسكوريال رقم ٥٣١ : ٤٦
٥) ديوانه ١ : ٨٧

واكلمه»[1] ولما مات ابو الفرج الاصبهاني أخرجت مسودة كتابه الاغاني الى سوق الوارقين لتباع « فبيعت في النداء باربعة آلاف درهم وان إكثرها في ظهور وبخط التعليق »[2] وكان ابن سينا « يجمع بين يديه ظهورًا من القراطيس وكل حجة ينظر فيها يثبت مقدماتها القياسية ويكتبها في تلك الظهور »[3] . وفي كتاب الامتاع والمؤانسة ان ابا جعفر ملك سجستان خاطب ابا سعيد السيرافي في مئات من المسائل واجاب عليها ابو سعيد . قال لعلها تقع في الف وخمسمائة ورقة لان اكثرها في الظهور»[4] .

ومن اغرب ما كانت تصلح له الظهور وضع الناطف فيها لنقائها وبياضها « قال ابو العباس بن الفرات : كنت منذ دهر مجتازًا في بعض الطرقات فرأيت في دكان نطّاف ظهورًا مطّقة ليُجعل فيها ما يبيعه من الناطف على الناس »[5] وهو ما يدل على ان الظهور كانت متوفرة جدًّا تتخذ في ما عدا الكتابة والتسويد للتغليف والصرّ في الحوانيت والاسواق .

ومن اجل ذلك كانت القراطيس احياناً تباع عند البقال . قال عمر بن ابي ربيعة لصاحبه وقد اراد ان يكتب لجارية عجبة الحسن رآها تتهادى بين جواريها « اجنح بنا نأخذ قرطاساً . قال فمال الى بقال فاخذ منه قرطاساً وكتب اليها »[6] .

غلاء القراطيس واثمانها

كانت مصر كما سبق القول هي المنبت الوحيد للبردي ومعدن صناعته وتجارته الى كل صقع وتطر فظل القرطاس المصري فذًّا منقطع القرين تتنازعه اسواق الشرق والغرب دهرًا طويلًا الى حين ظهور الورق . فلا غرو اذا كان عزيز المنهل ممتنعاً على من يروم كفايته منه او التوسع في الانتفاع به

١) الاغاني ٣ : ١٤٠
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ٦٤
٣) تتمة صوان الحكمة ٤٠
٤) ارشاد الاريب ٣ : ١٠٠
٥) نشوار المحاضرة للتنوخي مجلة المجمع العربي بدمشق ١٧ : ٤٦٠-٤٦١
٦) تاريخ ابن عساكر في الظاهرية ١٣ : ٢-١٢٣

وبقيت لذلك اثمانه مرتفعة في الغالب ولعلها لم تسقط قط الى ما دون القيراط لكل طومار اي ١/٢٤ من الدينار ولاسيما ما كان معروفاً منه بالجودة والاتقان وبلغت احياناً في اوائل القرن التاسع للميلاد ديناراً ونصف دينار لكل مدرج وانحطت قليلاً الى دينار وربع دينار . ومثل هذه الاسعار يجب ان تعدّ من الغلاء لانها كانت تعادل وقتئذ اجرة فدان او حانوت بمصر ولهذا السبب ولاشتداد الطلب على القرطاس والحاجة اليه ولاسيما في الدواوين السلطانية كانت الخلفاء تكثر الوصية بالقصد والاقلال في استعماله وكان عمر بن عبد العزيز اكثرهم توفيراً له فكان يناقش الكتّاب والعمال في عدد القراطيس ويأمرهم بجمع الخطط كراهة الاسراف فيها وروي عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم « ان اباه كتب الى عمر بن عبد العزيز يسأله قراطيس فكتب اليه عمر : ان رقّق القلم وأوجز الكتاب فانه اسرع للفهم . وكتب الى عامل آخر كتب اليه يطلب منه قراطيس ويشكو قلتها عنده : ان رقّق قلمك وأقلل كلامك تكتفِ بما عندك من القراطيس »[1] وفي رواية ابن عبد الحكم ان ابا بكر بن محمد بن حزم والي المدينة كتب الى سليمان بن عبد الملك يستمد منه جانباً من القراطيس وكانت في عهد بني امية توزّع بمقادير محدودة على العمال والولاة فكان من اعوزه جانب منها يكتب الى الخليفة باستطلاقه من بيت القراطيس. وكان لها بدمشق بيت خاص وفيه وُضعَ الوليد بن عبد الملك حين ضُرب في حادثة مقتل عمرو بن سعيد الاشدق « وذلك ان ابرهيم بن عدي احتمله فادخله بيت القراطيس »[2] واتفق ان توفي سليمان بن عبد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز فارسل يقول الى ابن حزم « اما بعد فقد قرأت كتابك الى سليمان تذكر انه قد كان يُجري على من كان قبلك من امراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتُليتُ بجوابك فيه فاذا جاءك كتابي هذا فأرقّ القلم واجمع الخط واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة فانه لا حاجة للمسلمين في فضل اضر ببيت مالهم والسلام عليك »[3] .

---

١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٨٨–٨٩

٢) مروج الذهب للمسعودي بهامش نفح الطيب ٣ : ٥١٨

٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٦٤

وليتهم ذكروا لنا عدة القراطيس التي كانت معينة لولاة المدينة وسائر مدن الحجاز والعراق ومصر والشام ومن هذا التوزيع والتخصيص تتبين عزة القراطيس وقتئذ وصعوبة منالها وغلاء قيمها ولاجل ذلك كانت الدواوين بحبر اذا خاطبها احد في امر له تتقاضاه ثمن ما يُكتب له فيه وتسميه كما في بعض البرديات المكتشفة «ثمن الصحف» وقد نهى عمر بن عبد العزيز عن مطالبة الناس بها رفقاً بهم وكتب الى عامله عبد الحميد بن عبد الرحمن «لا تأخذ في الخراج «ثمن الصحف» فكان اهل الخراج لا يؤخذون برزق عامل ولا ثمن صحف ولا قراطيس»[1]. وفي نظير ذلك كانت الدواوين العباسية في وزارة ابي الحسن بن الفرات وخلافة المقتدر توزع القرطاس والورق مجاناً لاصحاب الرقاع والقصص اي للمتظلمين وتوثر ان يغرمها بيت المال. والوزير ابو الحسن ابن الفرات هو اول من تحملها من الوزراء وتبرع بها. قال الصابئ في كلامه على داره «وفي جانب الدار ادراج كثيرة لاصحاب الحوائج والمتظلمين حتى لا يلزم احد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك وانصاف قراطيس واثلاث»[2] واقتدى المقتدر بالله بالوزير ابن الفرات «فامر يُمناً الطولوني وكانت اليه الشرطة ببغداد الّا يكلف الناس ثمن الكاغد الذي تكتب فيه القصص وان يقوم به»[3].

وبقي القرطاس في الخلافة العباسية الى ايام الرشيد عزيزاً صعب المنال ويرى المنصور طبعاً على خطة عمر بن عبد العزيز في توفيره والتشدد في ايجاز الكتابة فيه. قال يوسف بن صبيح كاتب عبدالله بن علي بن محمد بن العباس وذكر استدعاء المنصور له يوماً: امرني بالجلوس ثم رمى اليّ بربع قرطاس وقال لي: اكتب وقارب بين الحروف وفرّج بين السطور ولا تسرف في القرطاس»[4] وكانت مع ذلك خزائنه ملأى بالقراطيس. ونظر يوماً الى ما اجتمع في خزائنه من كثرة القراطيس فدعا بصالح صاحب المعلى فقال له: اني امرت باخراج حاصل القراطيس في خزائننا فوجدته شيئاً كثيراً جداً فتول

١) كتاب الخراج لابي يوسف ١٠٢ و١٠٣
٢) تاريخ الوزراء للصابئ ١٩٥
٣) تاريخ الامم والملوك للطبري المطبعة الحسينية القاهرة ١٢: ٣٧
٤) كتاب الوزراء والكتّاب ١٦٩

بيعه وان لم تُعطَ بكل طومار الا دانقاً فان تحصيل ثمنه اصلح منه. قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم (اي ست دوانق) فانصرفت من حضرته على هذا فلما كان في الغد دعاني فدخلت عليه فقال لي: فكرت في كتبنا وانها قد جرت في القراطيس وليس يؤمن حادث بصر فتقطع القراطيس عنا بسببه فنحتاج ان نكتب في ما لم نعوّده عمّالنا فدع القراطيس استظهاراً على حالها»[1].

ويتحصل من رواية الشابشتي ان القراطيس انقطعت في ايام الواثق او قل وجودها لاسباب لم تنتهِ الينا فبلغ ثمن الطومار الواحد درهمين اي ضعف ما كان عليه في خلافة المنصور وكان الواثق قد همّ بتقليد اسحق بن ابرهيم بن مصعب خراسان بعد وفاة عبدالله بن طاهر وامر ان يُطلق له خمسة آلاف درهم معونةً واستشار في ذلك احمد بن ابي داود فقال له احمد: ههنا ما هو خير من ذلك قال: وما هو؟ قال: طومار بدرهمين تكتب فيه الى طاهر بن عبدالله ابن طاهر بالتعزية عن ابيه وبتجديد الولاية له وتربح ما تنفقه[2]».

وفي فتنة المستعين والمعتز(٢٤٩—٢٥٢) ضاقت الصحف والقراطيس بكتاب الدواوين فوقّع لهم محمد بن عبدالله بن طاهر: رقّقوا الاقلام واوجزوا الكلام فان القراطيس لا تُرام والسلام»[3].

ومن ابين الدلائل على قلة القراطيس في كل وقت انهم كانوا يغسلونها ويعيدون الكتابة عليها وقد تقدم من توقيع الحسن بن سعيد سنة ١٩٦/٨١١ طلب القراطيس «النقية» وفي بعض الرسائل الخاصة «اعذرني يا سيدي في القرطاس فلم يحضر نقي» وهو ما يفهم منه ان القراطيس كانت تغسل احياناً كالرقوق ويطرَّس عليها اي يُخَطّ من جديد عليها لمحوها في كل وقت وقلة الجاهز منها.

ومن الاسباب التي خفيت لاجلها علينا اثمان القراطيس في ازمانها المختلفة انهم كانوا يدخلونها في جملة نفقات الديوان مدمجة فيها وقد عدد الصابئ هذه

١) كتاب الوزراء والكتاب ١٤٩
٢) كتاب الديارات رقم ٨٣٢٤ خزانة برلين ورقة ٦
٣) خاص الخاص للثعالبي طبعة تونس ٧٨

النفقات في اول خلافة المعتضد بالله فقال :«ارزاق الكتاب واصحاب الدواوين والخزائن والبوابين والمدبرين والاعوان وسائر من في الدواوين وثمن الصحف والقراطيس والكاغد ... من جملة اربعة آلاف دينار وسبعمائة في الشهر »[1] وبلغت هذه النفقات في خلافة المقتدر بالله اي « جاري ديوان السواد وكتابه مع ثمن الكاغد والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار في كل شهر »[2] وهي تكاد تكون ضعف نفقات المعتضد ولا ريب ان اثمان الصحف والقراطيس كانت اشد غلاء وقتئذ ولذلك كان ابو الحسن بن الفرات كلما تقلد الوزارة يوزع منها مجاناً كل ما يحتاج اليه اصحاب الحوائج وذكر غير واحد من المؤرخين ان سعر القراطيس كان يرتفع في وزاراته الثلاث لكثرة استعماله اياها[3].

وقام بعد ابي الحسن بن الفرات وزراء كانوا يختانون الدولة في ما يعين للدواوين من الارزاق والنفقات ويقتطعون ما يشاؤون من جاري الصحف والقراطيس فيها وقد نبه على ذلك ابن مسكويه فقال :«كانوا يصرفون الورق والقراطيس ثم يبيعونه فيحصل لهم منه مال »[4] . وفي سنة ٣١٩/٩٣١ اشار مؤنس على الكلوذاني الوزير بتقليد ابي الفتح الفضل بن جعفر ديوان السواد » فقلده الكلوذاني مكرهاً وانقطعت بتقليده مواد كانت تصل الى الكلوذاني وابي الفياض من ارزاق قوم لا يحضرون وتسبيبات باسماء قوم لم يُخلقوا وما كان يُسبَّب للغلمان والوكلاء في الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتّاب وما كان يستطلق لهم من الورق والقرطاس ويُبتاع ببعضه ما يحتاج اليه واشياء تشبه هذه »[5] .

ونظراً لعزة القراطيس وقيمتها كانوا يحرصون ايضاً على جميع ما كان وثّاً مبتذلاً منها للانتفاع به في دور الطراز كما يؤخذ من حكاية الجاحظ في كتاب البخلاء قال :« كان ابو سعيد المدائني اماماً في البخل... وكان ينهي خادمه

---

١) تاريخ الوزراء ٣٠–٣١

٢) تاريخ الوزراء ٣١

٣) صلة الطبري لعريب ٦١ وتاريخ بغداد لابن النجار باريس ٢١٣٦ ص ٢٥

٤) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٢٤٤

٥) تجارب الامم ٥ : ٢١٣–٢١٢

ان تخرج الكساحة من الدار وامرها ان تجمعها من دور السكان وتلقيها على كساحتهم فاذا كان الحين جلس وجاءت الخادم ومعها زنبيل فعزلت بين يديه من الكساحة زنبيلاً ثم فتشت واحداً واحداً فما كان من القراطيس فللطراز»[1] فهل يستدل من هنا ان الطراز لم يكن ينسج دائماً في الثوب بل ينقش احياناً في القراطيس التي تجعل عليه وتناط به .

ومن الملح المروية ان محمد بن بشير من شعراء اهل البصرة كان له في داره بستان ... فافلتت شاة لجار له يقال له منيع فاكلت البقل ومضغت الخوص ودخلت الى بيته فلم تجد فيه الا القراطيس فيها شعره واشياء من سماعاته فاكلتها وخرجت فعدا الى المسجد يشكو ما جرى وعاد فزرع البستان ونظم في هجو شاة منيع قصيدة طويلة قال في اولها :

لِيَ بستانٌ انيق زاهر ناضر المخضرة ريّان ترف

وفي ختامها في الدعاء على الشاة :

فاذا صاروا الى المأوى بها املوا الآجرّ فيها والخزف
ثم قالوا ذا جزاء للذي يأكل البستان منا والصحف
لا تلوموني فلو ابصرت ذا كله فيها اذن لم ائتصف[2]

١٣ ــ الورق الصيني

قال ابن النديم انه كان يعمل من الحشيش وهو اكثر ارتفاع البلد[3] اي اكثر ما يُستجلب منها وفي ارجح الاقوال ان اختراعه كان بين سنتي ٢٢٠—٢١٠ قبل المسيح وانتقلت صناعته من الصين الى سمرقند وخراسان بعد سنة ٧٥١/١٣٣ كما سيجيء. وكان نادراً طريفاً في زمان بني امية لعزة مثاله وغلاء اسعاره وجُلب منه جانب في جملة الطرائف الصينية بعد فتوح البلدان وبقيت الرغبة فيه شديدة حتى ما بعد اصطناع الكاغد لجودته وتنافس الملوك والخاصة فيه . حكى ابن البواب المشهور بحسن الخط انه اراد ان يتم جزءا ناقصاً

١) كتاب البخلاء ١٢١
٢) الاغاني ١٢ : ١٢٠—١٢٣
٣) الفهرست ٣٢

من قرآن بخط ابن مقلة في خزانة بهاء الدولة بن بويه في شيراز وكان قد اشترط لاقامه ان يعطى خلعة ومئة دينار قال: فدخلت الخزانة اقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف وكان فيها من انواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل طريف عجيب فاخذت من الكاغد ما وافقني وكتبت الجزء واذهبته وعتقت ذهبه وقلعت جزءا من جلد الاجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعتقته ونسي بهاء الدولة المصحف ومضى على ذلك نحو سنة . . . واقمت مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يماطلني ويعدني فلما كان يوماً قلت: يا مولانا في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح فتعطيني المقطوع كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير قال: مرْ خـذه فمضيت واخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت به سنين »[1].

ولا ريب انه كان للورق الصيني وقتئذٍ اثمان طائلة حتى ارتضى ابن البواب بالمقطوع منه العتيق دون الصحيح في نظير خلعة ملوكية ومئة دينار عيناً وقد تقدم في الكلام على الجاود انه كان منه جانب في خزانة ابن ابي بقرة جماعة الكتب التي يزارها ابن النديم واثنى عليها . ومما كان يُكتب خصوصاً في الورق الصيني تذكيرياً لها اقوال بعض المتصوفة والزنادقة ولما جدّ الوزير حامد ابن العباس في طلب اصحاب الحلاج « استتر ابن حماد وكبس دار له فاخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل القنّائي (محمد بن علي) فكانت مكتوبة في ورق صيني وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطنة بالديباج والحرير مجلدة بالادم الجيدة »[2].

وكانت رايات الصبيان تعمل احياناً من الورق الصيني مع غلائه وندرته. قال الجاحظ في كلامه على مسيلمة المتنبي: « صنع راية من رايات الصبيان التي تعمل من الورق الصيني ومن الكاغد وتجعل لها الاذناب والاجنحة وتعلّق في صدورها الجلاجل وترسل يوم الريح بالخيوط الطوال الطلاب[3] » . وقوله :

---

١) تاريخ بغداد لابن النجار خزانة باريس ٢١٣١ ص ٧٠ ومعجم الادباء لياقوت ٥ : ٤٤٦-٤٤٨

٢) صلة الطبري لدريب ٩

٣) كتاب الحيوان طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ مجلد ٤ : ١٢٠-١٢١

و « من الكاغد » حكاية لما كان يعمل من هذه الرايات في زمانه لان الكاغد لم يكن معروفاً في زمان مسيلمة .

وحكى شهاب الدين العمري في مسالك الابصار ان بعض صناع الصين عمل ثياباً من الورق وباعها على انها من الكمخاوات الخطائية لا يشك فيها ذاك ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منه[1] . والكمخا نوع من الثياب لا يزال اليوم معروفاً وكانت العساكر من الامراء وغيرهم تلبسه في دولة المماليك[2] . ووصفه الثعالبي فقال « لاحق الصين الحرير المدفون الذي تخفى فيه الصور وتظهر ويقال له الكمخا وهو في شعر لابن الرومي »[3] ومن العجيب ان ينقاد الورق لمثل هذه الصور وهو ليس اقل غرائب صناعاتهم التي اشتهروا بها .

١٤ ــ الكاغد او الورق النباتي

الكاغد والكاغذ (بالدال والذال والكسر والفتح) لفظة فارسية وتقال غالباً في المغرب الكاغيط بالياء والطاء وتجمع على كواغيط . ولم نجد لاحد وصفاً شاملاً للنباتات التي كان يُصنع منها الكاغد واشتهر منها القنب والحبال البالية التي تفتل منه وربما دخل بينها مشاقة الكتان ونفاية الاقطان واوحد شاهد عثرنا عليه من القطن قول ابي هلال العسكري في رسالة التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : « حكى ابو عبيدة فيما حكى عنه ابو حاتم انه اوصل الى احمد بن سعيد بن سهل الباهلي اربعة عشر الف مثل عربي بعضها في الجلود وبعضها في القطني وبعضها في القرطاس »[4] ولا يبعد انه كان يصنع في بعض البلاد من الحلفا والقش والاتبان وقشور الارز واشباهها . ولدينا نص صريح على الحاء شجر المرخ .

ولفظ الورق مستعار من ورق الشجر ولم يرد في الكلام القديم وكان يراد به قبلاً الرقوق من الادم وفي اللسان : الورق أدم رقاق واحدتها وُرقة ومنها

١) صبح الاعشى ج ٣ : ٤٧٨
٢) الخطط ج ٣ : ٣٥٢
٣) كتاب الامثال خزانة الجامعة الاميركية بيروت ٤٢٧
٤) مجلة الزهراء سنة ١٣٥٤ ج ٥ ص ٢١٤

ورق المصحف »[1] . وبه الزمخشري على هذا المعنى فقال : « وكُتب في الورق وهي جلود رقاق »[2] ومن شواهده كذلك قولهم « كان الشطرنج يُلعب على ورقة مربعة حمراء من أدَم »[3] وبهذا المعنى يجب ان يفسر قول الاخطل :

فكأنما هي من تقادم عهدها ورق نُشِرنَ من الكتاب بوالي[4]

ونظيره قول جرير :

لمن الديار بباقل فالانعم كلوحي في ورق الزبور المعجم[5]

وقد تضاربت الآراء في تعيين الزمن الذي أحدث فيه الكاغد في الاسلام وحكى ابن النديم ما كان شائعاً في عهده فقال : « يقال انه حدث في ايام بني امية وقيل في الدولة العباسية وقيل انه قديم العمل وقيل ان صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني »[6] . وهذا القول الاخير هو الصحيح رواه الثعالبي نقلاً عن صاحب المسالك والممالك ولم نجده في احد الكتب المعروفة اليوم بهذا الاسم فقال : وقع من الصين الى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح في وقعة اطلخ من يصنع الكواغد ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فبهم خيرها والارتفاق بها في جميع الآفاق[7] ».

وهذه وقعة اطلخ حدثت سنة ٧٥١/١٣٣ وكان ملك الصين قد حصر ملك الشاش حتى نزل على حكمه « وبلغ الخبر ابا مسلم فوجّه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفاً واسروا نحو عشرين الفاً وهرب الباقون الى الصين »[7] . ووُجد بين هؤلاء الاسرى من كان يجيد صناعة الكاغد في الصين ففشا عمله عن يدهم في سمرقند.

وفي سنة ٧٩٥/١٧٩ انتدب الرشيد الفضل بن يحيى الى الديلم لقتال يحيى

---

١) لسان العرب ١٢ : ٣٥٤

٢) اساس البلاغة طبعة الدار ٢ : ٥٠٣

٣) كتاب بغداد لطيفور ٢٩٣ ومروج الذهب للمسعودي بهامش الكامل .

٤) ديوانه طبعة بيروت ١٥٦

٥) معجم ما استعجم للبكري ١٠٦٠ .

٦) غار القلوب في المضاف والمنسوب ٤٣١-٤٣٢

٧) الكامل لابن الاثير ٥ : ١٦٨

ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب[1] فر بخراسان وشاهد ما يسمرقند من ارحية الورق فاشار باتخاذ مثلها في العراق بعد رجوعه في آخر السنة المذكورة كما يؤخذ من شهادة ابن خلدون في كلامه على الوراقة قال : ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت[2] » .

وروى القلقشندي قريباً من هذا فقال : اجمع رأي الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه او لأنه الموجود عندهم حينئذ وبقي الناس على ذلك الى ان ولي الرشيد الخلافة وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس فامر ان لا يكتب الناس الا في الكاغد لان الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محي منه فسد وان كشط ظهر كشطه وانتشرت الكتابة في الورق الى سائر الاقطار وتعاطاها من قرب وبعد واستمر الناس على ذلك الى الآن »[3] .

وانما تأصلت صناعة الكاغد في سمرقند لكثرة المياه فيها ووفرة القنب والخيال وهي قوام الورق ومادته ومن سمرقند دخلت مدن خراسان وبغداد . وزعم الاصطخري ان الكاغد في القرن الثالث كان يصنع ببلاد ما وراء النهر فقط[4] . وتبعه السمعاني فقال : «لا يعمل في المشرق الا في سمرقند »[5] وقد سبق نسبة احداث الورق في بغداد وشيوعه في الدواوين وبين الناس الى الفضل ابن يحيى والرشيد ولا حاجة الى التنبيه على تعدد الانهار في بغداد وكثرة الكتاب والحساب والعلماء فيها والورق توتهم اليومي فيبعد جداً ان لا تكون صناعته انتشرت في مدينتهم وهي حاضرة الخلافة وانما خصت سمرقند بأجود انواعه فقط

١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٢٣٢
٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٢
٣) صبح الاعشى ٣ : ٤٧٥–٤٧٦
٤) مسالك الممالك ٢٨٨
٥) الانساب للسمعاني ٤٧٢

واشتهرت باول ما صنع منها لانها كما قال النويري « احسن وانعم وارفق وارق »[1] .

١٥ ـ صفة عمل الكاغد قديماً

قل جداً من تنبه لوصف طريقة صنع الكاغد وعلاجه في خراسان والعراق ومصر والشام منذ القرن الثاني للهجرة وغاية ما وقفنا عليه من الاشارة اليها في المخطوطات العربية في الغرب ثلاثة اسطر في كتاب في علم المصطلح الشريف في خزانة باريس غفل من اسم مؤلفه وعنوانه الصحيح ويُرجح انه من القرن التاسع للهجرة قيل فيه :

« اصل الورق من نبات القنب اقصره يطول على القصب الفارسي ويسمى الخندريس وبزره الشذانق (الشهدانق) وينبت ببلاد الشرق وبلاد الفرنجة فيكسر ذلك النبات ويدق ويلف جالاً جافية تعمل في المراكب الكبار الى ان تذهب قوتها فتباع وتجلب الى معامل الورق وتصنع اوراقاً والجيد منه بحسب رطوبة الارض المستعملة فيها والزمن واعطائه حقه في التخمير ونقاء غسله وصفاء الماء وحسن النشا وجودة الصقل بالزجاج بوجهيه واحسنه ما صنع في فصل الربيع »[2] .

واوحد ما ورد في تعريف عمل الكاغد بالتفصيل الباب الآتي من كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب الذي ألف للامير المعز بن باديس ننقله بلفظه من نسخة للاستاذ طنجي اوقفنا عليها الاستاذ مصطفى المهندس رئيس الفهارس العربية في دار الكتب المصرية الملكية وروايتها اتم واصح الروايات الواردة في نسخ الدار قال :

---

١) نهاية الارب ١ : ٣٦٧

٢) خزانة باريس رقم ٣٣٠٩ .

الباب الحادي عشر

في عمل الكاغد والاوراق وسقيها

« تأخذ الحبل القنب الجيد الشامي فتنفض قتله وتبلّه وتسرّحه بالمشط حتى يلين وتأخذ ماء الجير الابيض العال فتنفعه فيه ليلة الى الصباح ثم تفركه بيدك وتبسطه في الشمس حتى يجف نهارًا كاملًا ثم تعاوده الى ماء الجير غير الماء الاول ليلة الى الصباح ثم تفركه بيدك كفركك الاول وتبسطه في الشمس ثلاثة ايام او اكثر من ذلك فان بدلت ماء الجير كل يوم كان اجود فاذا تناهى بياضه اقرضّه بالمقراض صغارًا ثم انقعه في ماء عذب سبعة ايام ايضًا تبدل له الماء كل يوم فاذا ذهب منه الجير دقّه في جرن دقًّا ناعمًا وهو ندي طري فاذا لم يبقَ فيه شيء من اليبس والعفد تأخذ ماء آخر في اناء نظيف فتحلله حتى يصير مثل الحرير ثم تعمد الى قوالب على قدر ما تريد تكون معمولة من السَّار[1] تكون على شكل السل في النسيج عرضها وطولها على ما يجب من تقطيع الورق وتكون مفتوحة الحيطان ثم تعمد الى ذلك الحبل القنب المعمول فتضربه ضربًا شديدًا حتى يختلط في قصرية كبيرة وتمط ذلك القالب في الماء وتحركه وتسوّيه بيدك على وجه فلا يكون موضع ثخينًا وموضع رقيقًا فاذا احكمته فأفرغه على قالبه منصوبًا حتى يأتي على ما تريد ثم تقلب اعلى القالب على لوح ونلصقه على حائط نظيف ممسّى وتتركه حتى يجف ويسقط ثم خذ الدقيق الناعم الحواري والنشا المصفّيين فنرس الدقيق والنشا في الماء البارد حتى لا يبقى فيه شيء مختلف ثم تغلي ماء حتى يفور فاذا فار صبّه على ذلك الدقيق والنشا وحرّكها حتى يمتزجا ثم اصبر حتى يسكن ويبرق ثم اعمد الى ذلك الورق واطلِ يدك من وجه واحدٍ واقشره على قصبة فارسية فاذا جفّ اطل وجهه الآخر كالاول وجفّفه ثم ردّه على لوح ورش عليه الماء رقيقًا وجهًا بعد وجه وانت تجففه فاذا اعجبك بعد ذلك جففه نصفه .

صفة سقي الكاغد

« وهو المسمى في مصطلح الناس الآن « الملاج » تأخذ الارز تطبخه في طنجير بجلي من الصدا بماء عذب صاف حتى يخرج نشاه كاملًا تصفّيه وتدلّي الورق في ذلك النشا المعبى وتنشره على القصب الفارسي حتى يجف نصفه ويكون ذلك الماء المغلي فيه الارز لا كثيرًا فيصير ماشًا ولا قليلًا فيصير كثيفًا يتجمد على الورق ويتقشر بل يكون في القصد . ومن الناس من يطبخ الزرادة وهي نخالة الحنطة الناعمة التي بها اثر الدقيق . واما النخالة القشر فلا حاجة فيها فاذا طبخ الزرادة المذكورة وخرجت خاصيتها كما تقدم دلّى فيها الورق كما تقدم ومنهم من يتقع الكثير حتى يصير لها قوام ويسقي بها الورق» .

---

١) السّار نوع من القصب كانت تصنع منه السلال كما في تكملة المعجمات العربية لدوزي .

صفة تعتيق الكاغد

« يؤخذ طنجير نحاس يصب فيه نشا نقي جيد ويغلى حتى ينقص من الماء مقدار قيراطين فاكثر وتجعل فيه يسيرًا من الزعفران بقدر ما تحتاج اليه من تلوينه ويصب في طبق واسع ويمس فيه الورق مسًا رقيقًا كيلا يتقطع ويشر على قصب فارسي[1] مفسح عن بعضه لئلا تلتزق اطراف الورق على بعضها فتذوب ويكون نشره في الظل ويحتفظ عليه من النبار والشمس فانهما يفسدانه وكلما جف يسيرًا تقلبه على القصب لئلا يلتزق فيه فاذا جف اصفله[2] فقد انتهى ».

صفة تعتيق آخر

« يؤخذ التبن القديم الذي تأكله البهائم ثم ينقع في الماء ثلاثة ايام او اكثر من ذلك ويغلى حتى يذهب نصفه ويطرح فيه النشا على النبار المذكور في الصفة الاولى فانه يتقن ويكون غاية ».

وكان تعتيق الورق حيلة يُلجأ اليها لايهام ان الكتابة الواردة فيه قديمة كتقدّم الكاغد وممن عمل بها الرئيس ابو علي بن سينا وهو يومئذ وزير لعلاء الدولة وجرى فصل من اللغة فتكلم فيه ابن سينا فقال له ابو منصور بن الجبان النحوي : « انت منطقي ما نعارضك وكلامك في لغة العرب ما نرضاه فسكت ابو علي خجلًا وبعد انفصاله من المجلس نظر في اللغة وتبحّر فيها وعمل رسائل اودعها نوعًا متوفرًا من اللغة وعتق ورقها وسأل علاء الدولة سؤال ابن الجبان عما تضمنه من الغريب فسأله فعلم بعضه وانكر بعضًا فقال ابو علي الكلمة الفلانية معناها كذا وهي مذكورة في الكتاب الفلاني وشرح جميعها واحال على الاصول فخجل ابو منصور بن الجبان وفطن لما فعله ابن سينا في تصنيف كتاب في اللغة واعتذر اليه اعتذارًا طويلًا[3]

ولما ارادوا امتحان ابي الغزر صاعد البغدادي في حضرة المنصور بن ابي عامر الحاجب المشهور في قرطبة كلفوا المنصور ان يأمر بتصغير كاغد ابيض وتبييره ببهجته ليدل على قدم المخطوط الذي سألوه عن محتوياته[4]

١) في نسخة اخرى « يُنشر على خيط قنب رقيق في الظل ».
٢) في بعض النسخ « يُصقل بحماقل الزجاج ».
٣) انباه الرواة على انباه النحاة لجمال الدين القفطي (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) في دار الكتب المصرية المجلد ٢ الجزء ٤ ص ٤٥٢ – ٤٥٣
٤) الذخيرة لابن بسام القسم الرابع المجلد الاول ٨

وكان بعض المعوزين اذا نفد ما بايديهم يعمدون الى هذه الحيلة في طلب الرزق والقوت وممن عُرف بها عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السهوري الخطيب « كان بالقاهرة تحصل له ضائقة وتلجئه الحاجة والفاقة فيأخذ ورقاً ويكتب فيه قلفطيريات[1] ويعتقه ويبيعه بشيء له صورة »[2]

وبقي عمل الكاغد معروفاً الى القرن الحادي عشر للهجرة وربما انفرد بصنعه بعض كتبة المصاحف ليكونوا على ثقة من طهارته وممن مهر فيه عبد الرحمن الحولاني الخيرازي المتوفى سنة ١٠٠٣/١٥٩٤ « بلغ به حرصه الشديد على اجلال القرآن انه اصطنع له بيده كاغداً وحبراً ممتازين ليكون طاهراً بالاجماع »[3]

وكذلك كانت تفعل الزنادقة في الخلافة العباسية ويحتكرون الورق النقي الابيض لنسخ كتبهم ويستجيدون لها اجمل الخطوط وينفقون على تزيينها ما شاؤوا من الذهب والفضة . وفي سنة ٣١١/٩٢٤ في نصف رمضان « أُحرق على باب العامة صورة مانى واربعة اعدال من كتب الزنادقة فسقط منها ذهب وفضة كان على المصاحف له قدر »[4] . وروى الجاحظ ان ابرهيم بن السندي « قال مرة : وددت ان الزنادقة لم يكونوا حرصى على المقالات بالورق النقي الابيض وعلى تحلل الحبر الاسود المشرق البراق وعلى استجادة الخط والارغاب لمن يخط فاني لم ار كورق كتبهم ورقاً ولا كالخطوط التي فيها خطا واذا غرمتُ مالاً عظيماً مع حبي للمال وبغضي الغرم كان سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليلاً على تعظيم العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات قال الجاحظ : قلت لابرهيم ان انفاق الزنادقة على تحصيل الكتب كإنفاق النصارى على البيع »[5]

ويؤخذ من كلام ابن الحاج على حسبة الوراقين انهم كانوا في ما عدا القتب والجبال البالية يتخذون الكاغد من الاوراق المنبوذة المطّرحة او المكتوبة

---

١) القلفطيريات لفظة رومية يراد بها نوع من كتابة الطلاسم .
٢) اعيان العصر للصفدي بدار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ ج ٣ : ٢٤٨
٣) خلاصة الاثر للمحبي ٢ : ٢٦٠
٤) المنتظم للجوزي ٦ : ١٧٤
٥) كتاب الحيوان طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ ج ١ : ٢٨

المستعملة باعادة حلها وعجنها وهو قوله في وصية الوراق « ان لا يعمل شيئاً من الورق المكتوب الا بعد ان يعرف ما فيه لانه قد يكون فيه شيء له حرمة شرعية .. لان الصناع يدوسون ذلك بارجلهم » ووصف جانباً من احوالهم وهيئتهم في داخل المعمل فمنع ان يشتري احد الورق من الورّاقة «في وقت يعلم انه يكشف فيه على عورات من يعمل فيها من الصناع اذ ان اكثرهم يجعلون في اوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحصارها على العورة وابتلالها بالماء والفخذ عن آخره مكشوف »[1] .

وحذّر عامل الورق وبائعه « من الغش في ما هو يحاوله . مثاله ان يعطي الدست الذي يساوي ثلاثة دراهم فيبيعه على انه من الدست الذي يساوي اربعة لان الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته فقد يكون زائداً في البياض وفي الصقال ويكون مما عُمل في الصيف وآخر عكسه اعني فيه سمرة ونقص في الصقال او البياضة وعُمل في الشتا. وما بين ذلك ...

وحذر البائع ايضاً ان يخلط الورق الخفيف بالورق الجيد الذي يصلح للنسخ لان ذلك تدليس على المشتري لان الخفيف لا يحمل الكشط لخفته ...»[1]

ومن الورق ما كان يُصقل وجه منه واحد ويترك الاخر دون صقال كالمنصوري بخلاف الورق العادة « فان فيه ما يصقل وجهاه ويسمى في عرف الوراقين « المصلوح »[2] . ولم يذكر احد من اين أُخذ هذا اللفظ .

وكان طلاء الكاغد من الصناعات التي عرف بها النساء وربما عوّد اولادهن على حب الوراقة وفي سنة ٥٤٨/١١٥٣ توفي احمد بن ابي غالب ابو العباس المعروف بابن الطلّاية ولد بعد الستين والاربعمائة[3] (١٠٦٧—١٠٦٨ م) .

وقد فاتنا كثير من اوصاف الوراقة وما استُحدث فيها من الالفاظ والمصطلحات واوحد ما مرّ بنا منها لفظ « المشاجن » في كلام البيروني قال: هي الحجارة المشدودة على اعمدة الجوازات المنصوبة على الماء الجاري للدق

١) كتاب المدخل ٤: ٨١-٨٨
٢) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٦-٤٧٧
٣) المنتظم للجوزي ٩ : ١٥٢

كالحال لسمرقند في دق القنب الكواعد[1] ولم نجد هذه اللفظة في شيء من كتب اللغة .

١٦ ـ عزة الكاغد وغلاؤه

اكثر ما كان يطلب الكاغد لكتابة الحديث والعلوم الدينية فضلاً عن حاجة العلماء والادباء والشعراء وارباب الدواوين السلطانية اليه . ومع تعدد مصانعه في خراسان والعراق ومصر والشام كان علم الحديث يفني معظم ما يرد منه الى الاسواق ولذلك كانت اسعاره دائماً فوق متناول العامة والفقراء . قال بقي بن مخلد الاندلسي وكانت وفاته سنة ٢٧٦/٨٨٩ « اني لاعرف رجلا باع سراويله غير مرة في شراء كاغد حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها »[2] وكثيراً ما ضاق ذرع المصنفين بتحصيل ورق لتبييض مصنفاتهم . ومن الكتب التي حُرِمها العلم اعجز مؤلفها عن تبييض مسودته تاريخ مصر لابي محمد عبدالله ابن خلف بن رافع المكي . قال ياقوت : « جمع تاريخاً لمصر أجاد فيه وهو قد عجز عن مسوداته ان يبيضها لفقره فبيع على العطارين لصرّ الحوائج »[3] . وكان المحدّثون يتهافتون دائماً على احتكاره وذكر عن احمد بن قاج بن عبدالله الجلحي الوراق « انه ورث ثلاثمائة دينار او سبعمائة فاشترى بجميعها كاغدا في صفقة واحدة ومكث سنين كثيرة يكتب فيه الحديث . »[4] وحكى ابن شاهين الواعظ انه كتب باربعمائة رطل حبراً وقال حسبتُ ما اشتريت به الحبر الى هذا الوقت (سنة ٣٨٠ — ٣٨٥ = ٩٩٠ — ٩٩٥) فكان سبعمائة درهم . قال الداودي : وكنا نشتري الحبر اربعة ارطال بدرهم . »[5] ولا يعلم الا الله ما سوّد الحديث من الكاغد لمحدّث واحد . وفي زعم كتاب طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى الفراء ان احمد بن حنبل كان يحفظ سبعمائة الف حديث[6] قيدها بخطه

١) الجاهر في معرفة الجواهر ٢٣٤
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٢ : ٢٧
٣) معجم البلدان ٤ : ٥٢١
٤) تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٢٥٥
٥) » » » ١١ : ٣٦٧
٦) طبقات الحنابلة طبعة دمشق سنة ١٣٥٠ ص ١٤٤

قبل ان يستظهرها في ذاكرته . وفي تاريخ ابن عساكر « سُئل يحيى بن معين وهو من كبار المحدثين « كم كتبت من الحديث يا ابا زكريا . قال : كتبت بيدي هذه ستمائة الف حديث »[1] فما الظن بعد ذلك بما دوّنه غيره من آلاف آلاف الاحاديث وبما افنتهُ هذه الارقام الهائلة من امتان الكاغد وقد احترق مرة سوق باب الطاق في بغداد فالتهمت النار لابن الخفاف الوراق وحده الفا وثمانين منا كلها من سماعه[2] ولذلك دفع حب الاقتصاد والتوفير رجال الحديث الى اتخاذ خط دقيق مقرمط في كتابة رواياتهم وموضوعاتهم ولم يستنكف بعض الخلفاء من التمرن عليه قال الخطيب البغدادي : وقد علي بن حرب الطائي على المعتز بسرّ من رأى في سنة اربع وخمسين ومائتين(٨٦٨ م) فكتب المعتز عنه بخطه ودقق الكتاب فقال عليّ : اخذت يا امير المؤمنين في شؤم اصحاب الحديث فضحك المعتز »[3] .

فلا عجب بعد ذلك ان كان الكاغد دائماً نادراً عزيزاً ثميناً يُخان فيه ويُسرق . حكى كمال الدين القفطي ان بعض متجلي صناعة التصنيف رغب في جمع اخبار النحاة وسأله إعانته قال : فاجبته الى ملتمسه ونبهته على الترتيب والتبويب وأعنته بغاية امكاني فلما فرغ منه او كاد طلب ورقاً ليبيض منه نسخته لاجلي فمكنته من ذلك ثم بلغني انه باع الورق وتعلل عن النسخ »[4] .

ومن اظهر الدلائل على ندرة الكاغد وارتفاع اسعاره ما رواه السخاوي في كلامه على محمد بن سعيد الدين جمال الدين ملك المسلمين من الحبشة قال : عنده امير يقال له حرب جوشن كان نصرانياً لا يطاق في القتال فاسلم وحسن اسلامه فهزم الكفار من الحبشة مراراً واتكى فيهم فغنم غنائم عظيمة بحيث بيعت الراس من الرقيق بربطة ورق[5] » .

ومن الطف الابيات التي اعتذر فيها عن البخل الكاغد ما رواه ابو بكر

١) الخزانة الظاهرية بدمشق ١٨ : ٩٢

٢) تاريخ بغداد للخطيب ٢ : ٢٥٠

٣) تاريخ بغداد ١١ : ٤١٦

٤) انباه الرواة على انباه النحاة (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) في دار الكتب المصرية ١ : ٣

٥) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٧ : ١٥٢

ابن شاذان قال : سألت ابا الطيب محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع ان يملي عليّ شيئاً فأبى ثم سألته فاجاب فقلت له : اعطني ورقة فقال : والورق من عندي ؟ اكتب وانشدني هذه الابيات :

ربّ ما اقبح عندي عاشقاً ... متهاماً يتفقّا سننا
قلت من ذاك ؟ انا ؟ فاستضحكت ... ثم قالت : من تراه ؟ فانا ؟
قلت زوريني فقالت عجبا ... انا والله اذن قاري مني
اذ يصلي وعليه زيتهم ... انت تهواني وآتيك انا ؟ (١)

ولا يخفى لطف هذه الابيات وحسن موقعها .

ولدينا ايضاً مرثية طويلة غاية في الظرف يستدل منها على شدة غلاء الكاغد وندرته ندب بها ابو الشبل البرجي ثُلث درج شرق منه وعدّد محاسنه في حكاية اخبر بها الحسن بن علي الشياني قال :

« دخلت على ابي الشبل يوماً فوجدت تحت مخدته ثُلث قرطاس فسرقته منه ولم يعلم بي فلما كان بعد ايام جاءني فانشدني لنفسه :

فكّر تعتري وحزن طويل ... وسقيم انحى عليه النحول
ليس يبكي رسماً ولا طللاً ... صِحْ كما تُندب الربى والطلول
انما حزنه على ثلث كا ... نَ لحاجاته فقالته غول
كان للدر والامانة والكتـ ... ـمان ان باح بالحديث الرسول
كان مثل الوكيل في كل سوق ... ان ثلكنا او ملّ يوماً وكيل
كان لسلمّ ان تراكم في الصو ... رِ فلم يُشفَ من عليل غليل
لم يكن يتقي الحجاب من الحُجّا ... بِ ان قيل ليس فيها دخول
ان شكا حاجباً تشدّد في الا ... ذنِ فللحاجب الشقي العويل
يرفع الخبر عنه والورق والكسوة عنه فهو المطرود وهو الذليل
كان يُثنى في جبب كل فتاة ... دونها خندق وسور طويل
يقف الناس وهو اول من ... تُدخله القصر غادة عطبول
فاذا ابرزنه باح به في القصـ ... ـر ملك وغيره مملول
وله الحب والكرامة من ... بات صبّاً واللثم والتقبيل
ليس كالكاتب الذي يابي الخطـ ... ـاب يكتي قد شابه التطفيل

(١) تاريخ بغداد ٢ : ٢٣٦-٢٣٨

ذا كريم يدعى وذا طفيلـــــي وهذا وذا جميعا ذليل
ذاك بالشر واجماعة يلقى ولهذا الحجاب والتنكيل
لم يعد قوده الزمان على الالسن منه عطف ولا تنويل
كان مع ذا عدل الشهادة مقبـــولا اذا عزّ شاهدًا تعديل
واذا ما النوى الهوى بالاليفين قام يرعَ فاصلًا موصول
فهو الحاكم الذي قوله بيـــن الاليفين جائز مقبول
فلئن شتت الزمان به شمل دواني وحان منه رحيل
لقديمًا ما شتت البين والالـــفة من صاحب فصبر جميل
لا تلمني على البكاء عليه ان فقد الخليل خطب جليل

قال : فرددته عليه وكان اتهم به ابا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة فقال لي : ويلك نجيت (كذا) ووقع ابو الخطاب بلا ذنب ولو عرفت انك صاحبها لكان هذا لك ولكنك قد سلمت[1] » .

١٧ ــ الورق السمرقندي

ذكرنا فيما تقدم كيف انتقل عمل الورق الى سمرقند على يد صناع اسرى من الصين بعد وقعة اطلخ سنة ١٣٣/٧٥١ وكان نظير الصيني في الحسن والنعومة لا يقاربه شيء مما عمل من جنسه في سائر بلاد الشرق ولذلك قال ابن حوقل : لهم الكاغد بما وراء النهر الذي لا نظير له في الجودة والكثرة[2] . وقال البشاري المقدسي : لا نظير لكاغد سمرقند[3] . وظل يُعدّ في كل وقت من افضل انواع الورق في الاسلام واغلاها قيمة وعلل التوبري هذا الفضل بقوله : من خصائص سمرقند الكواغد التي عطلت قراطيس مصر والجاود التي كان الاوائل يكتبون عليها لانها احسن وانعم وارفق وارق[4] . ولذلك كان يُؤثَر الكتابة فيه جلّة الوزراء والعلماء .

وكان الوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات لا يُستعمل له الا الورق السمرقندي

١) الاغاني ١٣ : ٣٩ — ٤٠
٢) المسالك والممالك ٣٣٧
٣) احسن التقاسيم ٣٢٦
٤) نهاية الارب ١ : ٣٦٧

ويُحمل اليه في مصر في كل سنة » وكان في خزانته عدة من الورّاقين. فاستعفى بعضهم قاصر بان يُحاسب ويصرف فكمل عليه مئة دينار فعاد الى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفا.. قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعت ابا اسحاق ابرهيم بن سعيد الحبال يقول: خرّج ابو النصر السجزي الحافظ على اكثر من مئة شيخ لم يبق منهم غيري وكان قد خرّج له عشرين جزءا في وقت الطلب وكتبها في كاغد عتيق فسألت الحبال عن الكاغد فقال هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند وقعت الي من كتبه قطعة فكنت اذا رأيت فيها ورقة بيضاء قطعتها الى ان اجتمع هذا فكتبت فيه هذه الفوائد »[1].

ولاجل هذه الشهرة التي عرف بها الورق السمرقندي في النفاسة والاتقان فضّله بعض المحدثين لكتابة الحديث كما كانوا يختارون لها قبلًا الرق اجلالًا وتكريمًا . قال ابو القاسم محمود بن علي بن نصر النسفي بسمرقند وذكر ابا نصر الكاساني: قدم بلخ علينا وكان يقول: كتبت من الكاغد مئتين وخمسين منًا فيه حديث رسول الله[2] (صلعم) يعني بالكاغد الورق السمرقندي.

وقد فاتتنا معرفة الانواع التي كانت تصنع منه ولم يُذكر لنا منها الا المنصوري نسبة الى ابي الفضل منصور بن عبد الرحيم بن ليث بن مجير الكاغدي من اهل سمرقند توفي سنة ٣٢٣/٩٣٥ بسمرقند . قال السمعاني واليه ينسب الكاغد المنصوري المشهور ببلاد خراسان وعدّ من كان ينسب نظيره الى عمل الكاغد وبيعه وقال : المشهور بهذه النسبة ابو توبة سعيد بن هاشم الكاغدي السمرقندي مات سنة ٣٤٩ (٩٦٠ م) وصاحبنا ابو علي الحسن بن ناصر الكاغدي المعروف بالدهقان اليه ينسب الكاغد الحسن الذي لم يلحقه من سبقه في جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها. . . ومن القدماء ابو عمرو محمد بن خشنام بن سعد الكاغدي من اهل نيسابور . . . وابو احمد حامد بن محمد بن احمد بن جعفر الصوفي الكاغدي من اهل نيسابور . . . توفي سنة ٣٤٦[3] (٩٥٧ م).

ويستدل من بعض الاخبار ان الورق المنصوري كان متوفرًا في بغداد في

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٢ : ٤١٣

٢) تاريخ بغداد لابي ابرهيم بن الفتح البنداري ٦١٥٣ خزانة باريس ٨

٣) كتاب الانساب ٤٧٢

القرن الثالث للهجرة ولعله كان يصنع فيها كما صنع فيما بعد في مصر وذلك لكثرة ما كان يوزّع منه على الناس في وزارة ابن الفرات «قيل انه لما خُلع على ابي الحسن بن الفرات خلع الوزارة زاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع قيراط في كل منّ لكثرة استعماله لها لانه كان من رسمه ان لا يخرج احد من داره في وقت عشاء الا ومعه شمعة مَنَوِيّة ودرج منصوري»[1].

قال ابو اسحق الصابئ يصف كتابا كتبه في ايام الحداثة بين يدي الوزير ابي محمد المهلبي: استدعيت دواتي ودرجاً منصوريا وكتبت كتاباً اقتضبته بغير روية ولا نسخة»[2]. وكان الورق المنصوري معروفاً ايضاً في الاندلس اشار اليه المقرّي في نفح الطيب[3].

وقد تقدم ان الحسن بن ناصر المعروف بالدهقان كان يصطنع ورقاً لا يعادله ورق آخر في الجودة والنقاء. وقد اعيانا البحث لنجد ذكر ورق منسوب اليه في ما مرّ بنا من الاخبار والآثار فلم نعثر على شاهد واحد فكيف ظارت شهرته بعمل افخر الورق في سمرقند دون ان يعرف بالدهقاني كما اشتهر سائر انواع الورق باسماء اصحابها كما سيجيء.

وهنالك ورق آخر ذكره الامام ناصر الدين في الملتقط ودعاه الدرّي وقال انه كان مشهوراً بين علماء سمرقند. ولم نجد اشارة اليه اخرى في مطالعاتنا وابحاثنا عن الورق ويظهر انه كان منه نوع جيد وآخر لا يصلح للكتابة[4].

(للمقال صلة)

---

١) تاريخ الوزراء ٦٣

٢) ارشاد الاريب ١ : ٢٤٣

٣) طبعة دوزي ١ : ٦٦٤

٤) نصاب الاحتساب للشيخ عمر بن محمد بن عوض السّامي في مكتبة دار الآثار بالقدس ٨

انشقاق فوتيوس ـ تاريخ واسطورة (تابع)

بقلم الاب يوحنا كابلوس اليسوعي

٣ — فوتيوس وروما : لو كان فوتيوس قد اراد ان يتبوأ سدّته بطمأنينة لكان عليه ان يطلب عاجلًا ان تثبت روما انتخابه ، وفي مثل هذا المقام سنصادف نقولا الاول واغناطيوس وفوتيوس وجهاً لوجه . ففي سنة ٨٦٠ غنم ميخائيل الثالث فرصة ارسال (اعتراف فوتيوس بالايمان) « Synodique » الى نقولا الاول ليدعو البابا الى ايفاد مندوبين الى بيزنطية اذ كان في نيّته ان يعقد مجمعاً فيها ليحدّد مجدّدًا التعليم الكاثوليكي بشأن تكريم الصور (ص١١٧—١٢٣) فاجابه البابا شاكرًا اهتمامه حيال الكنيسة ولكنه اظهر دهشته لعزل المجمع لاغناطيوس من دون موافقة الحبر الروماني — لان الدعوى المقامة عليه لم تبدُ له صحيحة — ومن ثم اللجوء الى انتخاب علماني وذلك ما تحرمه القوانين — فهو يرفض اذًا الاعتراف بفوتيوس قبل ان يتناول التحقيق الذي سيقوم به مندوباه. « ليعرف اذا كانت قد روعيت حرمة القوانين او لا حتى اذا تسلّمنا تقريرهما نقول بسلطاننا الرسولي ماذا يجب ان يتم لكي تستطيع كنيستكم التي طالت فيها القلاقل بسبب هذه الاشجان ان تحيا بسلام وامان » (ص ١٢٣) . وختم البابا رسالته مطالباً الى الامبراطور ان يردّ الى كرسي روما حقّ ولايته على ايليريكوم « Illyricum » وما يؤول اليه شرعاً من ممتلكات كالابر « Calabre » وصقلية « Sicile » والحق بالاحتفاظ بسيامة رئيس اساقفة سيراكوزا « Syracuse » وهي امور حرمته اياها بيزنطية . اما جوابه على اعتراف فوتيوس بالايمان فموجز حازم لكنه مفرغ بقالب ودّي : اعرب فيه عن ارتياحه لتلقي اعترافه بالايمان المستقيم الرأي « الارثوذكسي » واخذ عليه الاسراع في سيامته اسراعاً مخالفاً للقوانين ومع ذلك فقد اكّد له انه اذا كان التحقيق الذي كلف موفديه القيام به يأتي في مصلحته فانه « سيمانق البطريرك ويحضه خالص ودّه في محبة اخوية » .

انه ما من سارك اعقل من هذا السلوك فالبابا لم يدلِ بحكمه سلفاً على شيء لا في مصلحة اغناطيوس ولا ضد فوتيوس .

فماذا اعتقدت البعثة الهومانية التي ذهبت الى القسطنطينية سنة ٨٦١ انها ستجد ؟ وهي التي كانت مؤلفة من رادوالد ديورتو « Rodoald de Porto » وذكريا داناني « Zacharie d'Anagni » . وماذا صادفت بالواقع ؟ انها صادفت وفداً مثقلاً بالهدايا كما كانت العادة [فاعتقد المؤرخون خطأً انه كان لشرائها] وقد ذهب قدامها حتى سالونيك . اما في القسطنطينية فحجزت في مخادعها ! واذا استطاعت الاتصال باغناطيوس فانه كان من المستحيل عليها تقريباً كل اتصال باليونانيين وكان موعد افتتاح المجمع قد طال لانها وصلت حوالي عيد الميلاد فبدأت جلساته بعد عيد الفصح ولم يسفر كل ذلك عن شيء مستحب .

واول ما كان يهتم له مبعوثا الحبر الروماني هو ان تسير الدعوى طبقاً وفق تعليمات البابا بيد انها قد تبين لها صراحة انها لم تكتهم ابداً . اذ ان الاحداث قد سارت في سيرها منذ سنتين ولم تبقَ التوجيهات الواصلة تتفق لا مع وجهات نظر الامبراطور وفوتيوس ولا مع عادات كنيستها فنجم عن ذلك ان رفض كلاهما العمل بتوجيها . ففي رأيها ان اغناطيوس قد حوكم واستقال وان فوتيوس قد تسلم تسلماً قانونياً كرسيه ولا سبيل لاعادة النظر في كل القضية .

واجاب الامبراطور الذي كان ميالاً للمسالمة : « اننا نسمح باعادة درس القضايا العائدة للبابا وذلك تكريماً للكنيسة الرومانية ولقداسة البابا نقولا في شخص نائبيه » وقال بولس اسقف قيسارية (Césarée) الناطق باسم الكنيسة البيزنطية « لقد اصدر المجمع حكمه على اغناطيوس فدعواه في كنيستنا قد انتهت ... ومع ذلك نوافق بل رضانا على ان يعاد النظر والحكم فيها في سبيل تكريم القديس بطرس وقداسة البابا » المسكوني نقولا (ص ١٢٧ — ٨) فمثل اغناطيوس وعلائم التأثير بادية على وجهه واصرّ المندوبان البابويان (١٣٢) على عزمهما لاعادة النظار في دعواه بصفة كونها يمثلان الحبر الروماني مستندين الى قوانين ساردیك « Sardique » التي يستفاد منها ان لاسقف روما صلاحية اعادة

النظر في دعوى اي اسقف كان - فرد عليها اسقف اللاذقية (Laodicée) باسم كنيسة بيزنطية بقوله « ان كنيستنا نفسها لتغتبط بذلك وهي لا تنازع ابداً ولا تستاء. » ولكنه كان قد تثبت بأسف ان اغناطيوس كان قد ازدرى طلبين وجههما اليه مندوبا البابا ليبرئ نفسه فاقترح موفدو الملك ان يوجه اليه طلب ثالث حتى اذا اصر على موقفه حوكم وفقاً للاصول القانونية (ص ١٣٢—٣٣) اما مندوبا البابا فاعلنا انهما لا يريدان الا اتباع العادات الرومانية . . . وعندما ابدى بعض الناس دهشتهم من ملاطفتها البطريرك السابق كل الملاطفة وكان يتفوّت[1] عليها حتى اهانتها اجاب المندوبان الرسوليان نحن لا نريد مقاضاته على الاهانات التي الحقها بشخصيها بل لتجاوزه على القوانين فبات مذنباً حيال الكنيسة — واردف دفورنيك « Dvornik » قائلاً انهما لرجابة صدر ليست من ذوق الآباء لان اسقف اللاذقية قد صرّح : « ان لكنيستنا عاداتها المغايرة لعادات كنيستكم (ص ١٣٣) واما امبراطورنا القديس فخاضع لارادتكم » فتدخل رُسل الامبراطور ووضعوا فوراً حداً لتلك المناقشة باعلانهم اعلانا قاطعاً :« اننا لا نريد المحاكمة بحسب عاداتنا بل وفقاً لسلطان القوانين ودستور الكنيسة الرومانية » .

وافضى رفض اغناطيوس حضور الجلسة الثالثة التي ترئسها الامبراطور وبارداس الى اصدار الامبراطور امراً بجلبه اليها حيث اخذ ينكر صلاحية مندوبي البابا (ص ١٣٤) «Ego non appellavi... quid vultis judicare» .

وعلى رغم ما الحّ عليه به الامبراطور والآباء الذين اعترفوا بحلّ خاطرهم بمندوبي البابا كقاضيين شرعيين اقتصر اغناطيوس بالجواب عليهما متهكماً — وقد صدر الحكم النهائي عليه في الجلسة الرابعة ونقض المندوبان الحكم الذي اصدره بحق اسبستاس (Asbestas) وجماعته ومن ثم طالبا بان يؤدي ٧٢ شاهداً الشهادة على عدم مشروعية انتخاب اغناطيوس وعقب بعض التردّد بالنظر الى غرابة هذا الطلب فقد نزلوا عند ارادتهما حول هذه النقطة . فابرم المندوبان الرومانيان الحكم ونزع عنه الشماس بروكوب « Procope » شارات البطريركية

١) يقال فلان يتفوت على ابيه في ماله اي ينفذه بغير اذنه .

فاطاع اغناطيوس فسمح له بالاقامة في قصر بوزيس « Posis » (١٣٩) الذي كان لوالدته .

والآن لا بدّ لنا من تقدير تصرّف المندوبين (ص ١٤٠) .

يقول اتباع اغناطيوس ان جماعة فوتيوس قد رشو المندوبين وتوسلوا باعمال العنف — وينكر دفورنيك عليهم هذه المزاعم ويقول : الحقيقة ان المندوبين قد قاما باعمال اكثر مما تقضي عليهما به التعليمات التي معهما فقد كانت تقضي عليهما تلك التعليمات بان يقوما بالتحقيق لا بأن يصدرا الحكم النهائي المحتفظ به لشخص البابا بنفسه.

فكيف يمكننا ان نعلّل انهما اعتبرا نفسيهما مفوضين في الامر وخالفا التعليمات التي اعطيا اياها ؟

يجيب دفورنيك على هذا السؤال جواباً فيه دقة كبرى وهو جواب موضوعي برمّته وهو الجديد في هذا الامر . ومفاده ان المندوبين بعد ان اقاما مدة طويلة في بيزنطية رأيا فيها ان الحالة الفكرية لم تكن كما كانوا يتخيّلونها في روما وان حزب اغناطيوس لم يكن كبيرًا كل الكبر وان انصاره لم يكونوا كما يدعون : انهم لا يترسلون فيما يوجب ملامتهم ولاسيما ان محاكمة مندوبي البابا لبطريرك القسطنطينية وحكم ممثلي الكرسي الروماني عليه قد أيّد حقوق كرسي روما التاريخية حتى على بيزنطية التي لم تكن تنكرها ضمناً لانها كانت تلجأ غالباً وتطلب تدخله وتقبلها . اما في هذه القضية فان هيبة التسلط التي استخدمها فنفّصت على البيزنطيين الذين كانوا يريدون المناقشة ولا يرغبون في قبول حكم كرسي غريب كما هو قبل ان يستسلموا الى اقوال المذنب .

ولندع الكلام لدفورنيك (ص ١٤١) : « لنفكّر في المراد منها بصفة كونها ضيفا الدولة ، لقد كان رادوالد وزكرياء عالمين قانونيين ضليعين وكانا مطلعين اطلاعاً كافياً على سياسة نقولا الاول الدينية ليدركا ان العمل الذي كان صنعها ينطبق على رغبة سيدهما الباطنية وان البابا الذي عرف ان يفرض سلطانه على جميع الاساقفة الغربيين واخمد رغائب كنيسة الفرنك الاستقلالية وهي قوى الكنائس الغربية ، من المؤكد سيقدر لها عملها بقيمته الحق وكانا يعلمان ايضاً ان البابا لم يكن يريد ان يخوّل ممثليه حق اصدار القرار الاخير

ولاسيما في قضية اغناطيوس التي احتفظ فيها ببعد الحق لنفسه فلذلك عارضا طويلاً طلب الامبراطور الذي لم يوافق على عودة انعقاد المجمع الا على شرط ان يفصل في الجلسة نفسها في القضية فصلاً حاسماً .

ولم تكن تلك المعارضة مستحبّة لدى ميخائيل وتداركا ذلك ، ومن دون شك افهما انهما اذا استمرا على اصرارهما فالامبراطور يقلع الاقلاع كله عن فكرة المجمع وعند ذلك لا يتمكّن نقولا الاول ابداً من ان يسمع صوته في قضية اغناطيوس . وحيال هذه النتيجة التي بدت لهما ، وهما العالمان القانونيان نتيجة رئيسية عقدا النيّة على تجاوز صلاحيتها وعلى ان لا يقوما بعمل المحققين فقط ولكن بعمل القضاة . ويعود اليهما الفضل في اعتراف كنيسة القسطنطينية اعترافاً كاملاً وعن طيبة خاطر بحقوق الحبر الروماني في ان يحاكم بطريركاً بيزنطياً ... والكنيسة البيزنطية اذا سمحت بمحاكمة اغناطيوس امام ممثلي البابا فانها قد سلمت للكرسي الرسولي باكثر من حق الاستئناف اليه وقد رأينا البطريرك الاسبق لا يستأنف الى الكرسي المقدس .

وهذه النتيجة يجدر بها ان تفوز ببعض الامتيازات التي قدمها رادوالد وزكريا على امل ان يرضى عنها البابا .

ومن الاكيد انه لم يكن بالاستطاعة تلاوة رسالة البابا الى الامبراطور في المجمع بنصها الاصلي فعدلا فيها وحذفا منها خاصة الفقرة التي احتفظ فيها البابا لنفسه بحق الحكم النهائي ... واتفق لمثل هذا الامر ان حدث في المجمع السابع . . . اذ انه لم يكن ممكناً تلاوة رسائل البابا هدريان الاول (Hadrien I) بحرفيتها امام الآباء فعدّلها مندوباه ومع ذلك لم يرَ البابا في ذلك العمل شيئاً يؤاخذون عليه .

واذا ما اعملنا الروية في هذه السابقة ولاسيما في النتيجة التي جاء بها رادوالد وزكريا للبابا الا وهي اذعان الكنيسة البيزنطية لحكمه فالمسؤولية التي تقع على عاتقهما بسبب هذه الخدعة التي ارتكباها « اذ اصبح ان كان ثمت ما نسميه خدعة» فانها لمخففة كلّ التخفيف .

هذه هي النتيجة التي وصل اليها دفورنيك .

فكيف استقبل نقولا الاول مندوبيه عند عودتهما ؟

لقد وصل مندوبا البابا الى روما في خريف سنة ٨٦١ وهما يحملان رسالة من فوتيوس . واطلعا نقولا الاول على الاسباب التي اجبرتها على ان يشطا عن مهمتها . فلم يستطع البابا الّا ان يتأكد مـا احرزا من انتصار للكرسي الرسولي على البطريرك الشرقي الواسع النفوذ .

ويبدو انه لم يكن غير منشرح الصدر على مندوبيه لانه كلف وادوالد الاضطلاع بمهمة كبرى في البـلاط الفرنجي بيد ان نقطة واحدة لم تصادف استحسـاناً لديه ! لان المندوبين لم يفوزا بشيء فيما يختص ببلغاريا وايليريكوم ومع ذلك لم يكن قد انقطع امل نقولا الاول في هذا الصدد : لان فوتيوس اذا اراد ان يعترف به الحبر الروماني فما عليه الا ان يتزل عنـد رغبته حول هذه النقطة . . .

وقد اعلن البابا قراره هذا لبطاركة حلب وانطاكيـة واورشليم الشرقيين ليجعل لكلمته وقعاً اعظم فدعاهم الى ان يطبقوا موقفهم على موقف رومـا وبات عشاً ينتظر الجواب . — وما تلقى بدلا منه الا الراهب تيوجنوست « Théognoste » الذي قدم من القسطنطينية تصحبه حاشية من اتباع اغناطيوس الذين جاءوا واجبهم استمالة البابا الى جانبهم — فلم يفلحوا الفلاح كله في ما عقدوا النية عليه ! فعقد البابا مجمعاً في روما (٨٦٣) دُرست فيه اعمال مجمع بيزنطية لسنة ٨٦١ فليمَ المندوبان وحُرما ونُقضت اعمال المجمع البيزنطي .

فكيف نفسّر هذا الانقلاب المفاجئ ؟ يعتقد دفورنيك ان لا جواب على هذا الانقلاب المفاجئ غير تقرير تيوجنوست المؤثر الذي صوّر فيه اغناطيوس الرجل المرغوب فيه في بيزنطية كما صوّر اعادته مدعاة للامل في ان يعمل على ردّ ايليريكوم اعترافاً منه بالجميل . اما نقولا الاول فدعدغه الوهم !

وقد تلقى البابا في اواخر صيف ٨٦٥ رسالة جديدة اللهجة من ميخائيـل الثالث يتلوّم فيها عليه ويقول له انه لم يقدر الامتيازات التي أعطيها الكرسي الروماني بتخويل مندوبيه حق محاكمة اغناطيوس حق قدرهـا وطلب من نقولا الاول ان يُرجع تيوجنوست وصحبه الذين قوموا له معلومـات خاطئة الى القسطنطينية والا اتخذ تدابير عسكرية ليتزلهم عند رغبته .

ولقد اتخذ الخلاف طابعاً خطراً — اذ وبات على البابا ان يجيب ! وفي ذلك التاريخ كان نقولا الاول مريضاً مرضاً شديداً . وقد يكون من المحتمل ان كُلف اناستاس قيم المكتبة ان يكتب الجواب بناء على تعليمات البابا العامة التي قدمها له . — ولقد اصبحت تلك الرسالة من اهم الوثائق في تاريخ البابوية ولذلك لا نرى مندوحة عن تبيان ما كانت تحويه باختصار .

في القسم الاول منها — لام نقولا الاول ميخائيل على تحدثه عن خليفة بطرس بشكل مهين — انه لامر لم يسمع بمثله ان يقوى امبراطور على ان يأمر البابا ليرسل مندوبيه ولكنهم قد كانوا يرجونهُ بكياسة ان يتنازل بايفاد ممثليه الى المجمع — اما فيما يتعلق بالبطريرك اغناطيوس فليعلم الامبراطور انه لم يُعزل حتى الآن اي بطريرك كان او حكم عليه بدون موافقة كرسي روما . اما الحكم عليه فغير عادل لانه ليس بمقدر من كان ادنى منه ان يقاضيه وانما ذلك لمن اختصاص محكمة عليا : من صلاحية الكرسي الروماني.

وفي القسم الثاني . — حدّد البابا تحديداً قاطعاً حقوق الكرسي الرسولي التقليدية التي لا يمكن نسخها لانها الحقوق التي اعطاها المسيح نفسه القديس بطرس وهو قد سلّمها خلفاءه ، وهذه الامتيازات تخول البابا السلطان على جميع الكنيسة وحتى حق السهر على كنيسة القسطنطينية وهذا هو السبب الذي يتمّ من اجله البابا لقضية اغناطيوس التي احتفظ بحق الفصل فيها لنفسه . — ومن حقه ان يستدعي الى روما اي اكليريكي كان وبناء عليه طلب من اغناطيوس وفوتيوس ليرسلا اليه ممثليها ورجا الامبراطور ان يوفد اليه أيضاً ممثليه — فلا يتوجس الامبراطور لان البابا سيكون قاضياً عدلاً.

ولم يَدَعْ نقولا الاول قلبه ينخلع امام تهديدات الامبراطور فقد كان عارفاً حق المعرفة حقّه وواجبه وعازماً على ان يكون برّاً بكلا الاثنين (ص ١٦٧) . وانه لمن الصعوبة بمكان ان نقول ما كان لتلك الرسالة من وقع في بيزنطية — ومهما فكّر الكثيرون من مؤرخي الكنائس المنشقة ولاهوتيها

في هذه الرسالة فانها لم تكن تحوي شيئاً جوهرياً – جديداً بشأن رئاسة كرسي روما (ص ١٦٢) . ولقد سنحت الفرصة امام نقولا لاثبات هذه السلطة اثباتاً بعيداً عن معترك الظنون وقد اعترف بها في كل الاجيال فاعلنها بصلابة لا مثيل لها قد كانت في حزم طبع ذلك البابا الشديد الاسر حتى خيل للكثيرين انهم يسمعونه للمرة الاولى .

ومن الخطأ تاريخيا الزعم ان نقولا الاول كان مبتدع قضية رئاسة الكرسي الروماني في شأن السلطة لان ذلك مرجعه الى الانجيل . اما اذا كانت لهجته خرشاء[1] وفي غير مناسبتها فذلك مما نسأه به بسهولة بيد انها قد اصابت رهيف الشعور البيزنطي في الصميم ذلك الشعور الذي تصلّب في عناده تصلّباً حمله على الازراء بسلطة اعترف بها التاريخ .

وقد قال دفورنيك لم يكن البيزنطيون يجهلون التاريخ ولكنهم لم يكونوا يستشهدون به الا متى جاء في مصلحتهم فقط. فالافكار التي اعرب عنها نقولا الاول في رسالته كانت صحيحة كل الصحة بذاتها بيد ان هذه الافكار نفسها (ص ١٦٨) لم تكن قد بلغت بعد تطورها درجة دقيقة الوضوح في بيزنطية تحاكي وضوحها في الغرب . – وان ما قاله نقولا الاول عن بطريركية القسطنطينية انها لم تكن من اصل رسولي وانها تأتي بعد بطريركيتي الاسكندرية وانطاكية قد عضّ اثرة (انانية) الكثيرين ، اما فوتيوس الذي لم يكن جاهلاً التاريخ فلم يكن بمقدوره الا ان يرى الحق في قول البابا حول هذه النقطة .

وعلى كل فقد كان من الخرق التذكير بكل هذه الامور لكنيسة كانوا يسعون لاحلال السلام فيها والتحدث معها .

اما الامر الذي طفح الكيل بصدده فهو قضية بلغاريا ، او عقدة الخلاف الدائم . فقد كان بوريس (Boris) يريد بطريركاً وفوتيوس لا يتزل عند رغبته فادار بوريس وجهه نحو روما فبعثت اليه اساقفة مع مرسلين وضمّ اليهم البابا

---

١) الاخرش الصاب المخشن وقد استخدمنا هذه اللفظة لترجمة كلمة « maladresse » الفرنسية .

ثلاثة مندوبين كان عليهم ان يكتلوا طريقهم الى القسطنطينية لعقد مجمع . ولكنهم كانوا على يقظة في بيزنطية . وكانوا لا يجهلون ما يجري ببلغاريا — وطفقوا ينتظرون المندوبين اكثر من اربعين يوماً في الحدود وما انقطعوا في تلك الاثناء عن العمل في القسطنطينية فقد قرروا انه اذا كان المندوبون يريدون عبور الحدود عليهم ان يوقعوا سلفاً اعترافاً بفوتيوس كبطريرك — ولما لم يكن باستطاعة المندوبين النزول عند هذا الشرط قفلوا راجعين الى روما (ص ١٨١) وكان لا بدّ للبابا من الاستسلام الى التفكير ، ومن المؤكد انه كان بعيداً عن الاشتباه بما كان يعدّه ضدّه فوتيوس الذي عقد مجمعاً في صيف (٨٦٧) ساهم فيه اساقفة كثيرون وحاكموا نقولا الاول واسقطوه عن كرسيه وحرم .

واتفق في تلك المدة ان نودي بلويس الجرماني الثاني(Louis II le Germanique) امبراطوراً بحضور ميخائيل الثالث وباسيليوس (وهذا الاخير كان قد اغتال بارداس واتخذ مركزه في الحكومة) فأمل فوتيوس بان يكتسب من جراء تلك التدابير مساعدة الغربيين ولويس الثاني وجزءاً من مطارنة اللاتين الذين كانوا مستائين من تصرّف الحبر الروماني فوجّه رسالة رعائية الى بطاركة الشرق شجب فيها بعض العادات الغربية (كصيام السبت وتبتل الكهنة . . . وما شاكل) واضافة الانبثاق من الابن (Filioque) الى قانون الايمان .

فيا له من عمل قد تمّ وما هو الا هُولة من الهَوَل[1]

ولقد علق دفورنيك على موقف فوتيوس (ص ١٩٢) بقوله انه كان موقفاً لا يعدو حدود اللياقة حيال نقولا الاول حتى ذلك العهد ولكنه قد غيّره بتغيير وضع قضية بلغاريا، بيد ان هذه الاسباب ليست كافية كما يقول دفورنيك لعذره على بادرته الاخيرة : فقد ارتكب ذلك الامر الذي لم يسمع بمثله في كل التاريخ ! (ص ١٩٣) اذ جرأ على اصدار حكم بحق البابا ! فعرّض للخطر بذلك الوحدة المسيحية لانه امر لا يغتفر ولا سبيل لتبريره . — وهو ما ندعوه في التاريخ انشقاق فوتيوس الاول .

---

١) ما هو الا هُولة من الهَوَل وذلك ان تنامى في الفج والهُولة ما يفزع به الصبي وقد استعملنا هذه العبارة لترجمة كلمة monstrueux الفرنسية .

ويجمع كل المؤرخين من دون استثناء على اعطاء الحق لدفورنيك في مثل هذا المقام.

واردف دفورنيك ملمعاً الى بعض الاعتبارات التي لها قيمتها والتي لم تتفق عليها جميع الآراء حتى الآن.

ومما قاله انه لو كانت بادرة فوتيوس لا تغتفر واذا كان لا بد من شجب رسالته الرعائية المفعمة تهمةً وحقداً فمن الواجب ان لا نغالي بقيمتها ولا باهميتها كما فعل بعض المؤرخين.

ومن رأي دفورنيك ان فوتيوس لم يهاجم الكنيسة الرومانية ولا رئاستها وانما شخصيـة نقولا الاول. وانها ليست الا حرباً شخصية. — واول من اعطى هذه البادرة قيمة لم تكن لها كان بارونيوس! ومع ذلك لقد اصبحت بادرة فوتيوس سواء اكان بحق او بغير حق فعلاً استند اليه بعد ذلك واقتدى به جميع الذين مزقوا بدورهم وحدة الكنيسة. فرسالته الرعائية ستكون منجماً لا ينضب يستمد منه المنشقون في يومنا الحاضر سلاحهم دائماً ضد روما.

(ص ١٩٣) ويعتقد فورنيك ان بادرة فوتيوس تلك كانت قبل اوانهـا وكانت طائشة متهورة. فقد اخطأ باهماله موقف الانتظار الهادئ وكانت العناية الالهية تعمل على تدبير الامور =. ولقد مات نيقولا الاول في ١٣ تشرين الاول ٨٦٧ وهو لا يزال يجهل الحكم الـذي اصدره مجمعه البطريركي الجامع. فان جميع هذه الاحداث كانت معروفة في التاريخ. اما بحوث دفورنيك العلميـة فجاءت تؤيدهـا. — اما تأويل بادرة فوتيوس المشؤوم تأويلاً ملطفاً فربما لا يعلق باذهان جميع الناس.

فماذا كانت ردة الفعل في روما؟

يبدو انه عقب وفاة نيقولا الاول ترتسم طلائع تبدل في سياسة الكرسي المقدس الشرقية (ص١٩٤) فذكريا الانياني Zacharie d'Anagni الذي كان حكم عليه نيقولا الاول قـد نال عفواً من خلفه وكان يعرف الشرق وكان بتقدير البابا الجديد ان يستفيد من خبرته في هذا الصدد. والرهبان اليونانيون الذين لجأوا الى روما وكان نيقولا الاول يؤمن لهم يومياً وجبة طعام في قصر لاتران

(Latran) كانوا يتجنبون ان يحتكوا ايما احتكاك بهادريان الثاني (Hadrien II) الذي اعتقد ان الضرورة تقتضيه القيام ببادرة تودد نحوهم لتخفيف المشادة فأدب لهم مأدبة في العشرين من شباط سنة ٨٦٨ وما استنكف عن ان يصب الخمرة لهم بيده وطمأنهم في احد الانخاب الى ان لا يخشوا شيئاً وانه سينهج سياسة سلفه نفسها . اما في روما فلم يكونوا يعرفون شيئاً عن التبدّل الذي طرأ في بيزنطية ولا شيئاً عن نكسة فوتيوس ضد نيقولا الاول . — فماذا جرى ؟

٤ — باسيليوس الاول ومجمع ٨٦٩—٨٧٠

انتزع باسيليوس العرش الامبراطوري في الرابع والعشرين من شهر ايلول سنة ٨٦٧ وكان قد اغتال قبل ذلك بثلاث سنوات ٢١ نيسان سنة ٨٦٤ بارداس ومن ثم ميخائيل الثالث فلم يكن باستطاعته طبعاً التعويل على الحزب الذي كان يناصرهما لكي يتمكن من الحكم فعزم على قلب سياسة سلفه الدينية رأساً على عقب : ونفي فوتيوس الى احد الاديار وعاد اغناطيوس الى تسنم الكرسي البطريركي (٢٣ تشرين الثاني سنة ٨٦٧) .

وكان من الواجب اعلام روما بالامر لانها كانت تجهل كل شيء . ولكن ما هو العمل لاجتلاب عطفها ؟ فلقد كان الجميع في القسطنطينية قد اشتركوا في مجمع فوتيوس المشؤوم وتواطأوا معه على « ان الكرسي الاول لا يستطيع احد محاكمته » وكان ذلك المبدأ الذي تقيّدوا به ولقد شهد باسيليوس ذلك المجمع الذي قد يكون «لصوصية جديدة» ! فاقدم على الغاء اعمال ذلك المجمع الزائف لكي لا يستطيع استخدامها احد ضده وارسل على جناح السرعة الى روما افتيموس (Euthyme) وزوّده رسالة الى البابا تطلعه على مجرى الحوادث ولكنه كان يجهل موت نيقولا الاول فاهتم خلفه هادريان الثاني في هذه القضية . وانقضى اكثر من سنة ونصف السنة بالذهاب والمجيء بين روما وبيزنطية . . . ولما اعتقد هادريان الثاني انه اطلع اطلاعاً وافياً على الامر عقد مجمعاً في كنيسة القديس بطرس (١٠ ك٢ سنة ٨٦٩) اما حزب فوتيوس فلم يستطع اسماع صوته لان ممثله بطرس كان هلك غرقاً في الطريق فدعا البابا مرّات عدة الراهب ميتوديوس (الوحيد الذي ظل حيّاً من الذين صحبوا بطرس) ليحضر ويدافع

عن فوتيوس فابى فاهمله البابا وحرم رسمياً فوتيوس واصدر امراً باحراق مقررات المجمع المشاغب التي جاء بها موفدو الامبراطور (ص ٢١٠) وقرر ان ينعقد مجمع (كان قد طالب بعقده باسيليوس ايضاً) في القسطنطينية (هو مجمع ٨٦٩ — ٨٧٠ المدعو بالثامن المسكوني) برئاسة الاسقفين دونات واسطفان والشماس مارن . وكان هؤلاء يحملون رسالة الى باسيليوس واغناطيوس تدعو الامبراطور الى تنفيذ حكم الحبر الروماني بحق جميع الذين تواطأوا في الحوادث الاخيرة .

ولم يكن باسيليوس يريد الا شيئاً واحداً الا وهو استتباب النظام والسلام فكان مستعداً ليتقيد بالمطالب الرومانية بيد ان مصلحته لم تكن من جهة ثانية تقضي باغضاب انصار فوتيوس باستخدام الصرامة معهم لان حزبهم كان قوياً فلذلك الحّ على البابا بان يكون متسامحاً حيالهم .

والباعث على الشجى في هذه القضية هو ان باسيليوس لما كتب تعليماته لموفديه كان يجهل ما طرأ من تبدل في روما من جراء وفاة نيقولا كما كانوا يجهلون في روما ما جرى على ضفاف البوسفور .

وقد شهدنا هذا الاختلاف (ص ٢١٢) بين مقاصد باسيليوس ومقررات البابا للمرّة الاولى في اثناء مقابلة المندوبين الرومانيين في البلاط .

وكان مندوبو البابا مزودين برسالة « Libellus » تنص على عدم قبول احد في المجمع قبل ان يوقع عليها سلفاً — مما افضى الى الدهشة العامة في بيزنطية فاجاب الامبراطور والبطريرك انه لامر جديد وانهما يريدان ان يطلعا على مضمونها — فاطلعا عليها — وكان ذلك النص يشتمل على « قانون ايمان » البابا هورميسداس Hormisdas (ص ٢١٣) الذي وقعه الاساقفة الشرقيون المرتدون عن انشقاق اكاس « Acace » . وكان قد ادخل فيه بدلاً من حرم المنشقين حكم طويل وحادّ اللهجة بحق فوتيوس وانصاره . ومن الطبيعي ان الرئاسة الرومانية كانت مؤيدة فيه تأييداً قوياً — فقبل باسيليوس نصه وانما ساءه القالب المفرغ فيه وجعل امر التوقيع عليه شرطاً لا ندحة عنه للقبول في المجمع — وكتب دفورنيك في هذا الصدد (ص ٢١٣) قائلاً : انه بالنظر الى هذا الامر لم يبق اي سبب كان من الاسباب لانعقاد المجمع بعد ان قُضي

في هذا الشأن سلفاً . وما كان ذلك يتفق ومقاصد باسيليوس الذي اراد ان يبحث المجمع من جديد القضية وان يصدر مندوبو الحبر الروماني حكمهم باسم المجمع والبابا . وتوقع الامبراطور ان يفضي اسلوب البابا ومندوبيه في تصرفهم الى تعقيد الامور وافساد خططه » — وقد اظهرت الاعمال التالية صدق حدسه .

ولقد جاء المندوبون من روما والوهم يدغدغهم وكانوا من المتفوقين في اللاهوت والحق القانوني ولكنهم لم يكونوا يفقهون امراً اكيداً عن نفسية ذلك الشعب الماهر بنسج حبائل الدسائس المحكمة . وكان البيزنطيون يرغبون في المناقشة اما المندوبون فقدموا لهم حكماً جاهزاً فكان ذلك اذلالاً لآباء المجمع . وبتلويح المندوبين تلويحاً ظاهراً كل الظهور بالاوامر التي تلقوها من روما وبتعرضهم غالباً الى ذكر الرئاسة الرومانية لم يفلحوا الا على استفزاز ردات افعال الانقباض النفساني لدى البيزنطيين .

ولقد عرتهم الدهشة لدن سماعهم البطريق بانس « Baanés » (الذي ترأس في الدورة الثامنة المجمع باسم الامبراطور) يعرض رأيه الغريب القائل بايجاد بطاركيات خمس اي نظام خمس بطاركة يديرون الكنيسة الجامعة قائلاً ان الله قد اسس كنيسته على خمس بطاركيات وأكد في الاناجيل انها لن تسقط ابداً لانها رؤوس الكنيسة . — أفلم يؤكد المسيح ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها ؟ (ص٢٢٠) .

وادرك المندوبون الذين اعترى الحزن عزيمتهم انهم اذا تقيدوا بحرفية التعليمات التي لديهم انهم واصلون الى عكس النتيجة التي تسعى اليها روما نظراً الى الحالة الفكرية والبيئة النفسية القائمة ولقد كانت الطريقة التي اتبعها المندوبون من حيث وجهة نظر البيزنطيين طريقة غير عادلة وحزبية (ص٢٢١) فهبوا بحكم غريزتهم الى الانتقاض على النظرية الرومانية التي عرضت بحسب رأيهم بصورة فظة — فبدلاً من تهدئة الخواطر قد اسخطوها — ويا له من برهان قاس ذي حدين ! — ويخيل الينا ان اولئك الفرسان المدججين بالحديد المتمنطقين بالمراسيم وقوانين المجامع تمنطقاً قوياً انهم سيجبهون رماة خفافاً مرنو الحركات العسكرية الدائمة لا يحلمون بخدع جديدة حتى كان من المستحيل اخذهم ! !

وشاء المندوبون ان يقوموا بواجبهم ويتقيدوا بتعليماتهم بكل شجاعة واستقامة ولكن لسوء الحظ من دون لياقة – وكان لا بدّ لهم من ان تراود ذاكرتهم ما صار اليه سلفاهم رادوالد وزكريا – ولقد مثل امامهم فوتيوس فتلوا عليه الاضبارة المشتملة على الاحكام التي اصدرها بحقه نقولا الاول وهادريان فلم يستطع انكار ما عزي اليه من الاعمال واعتصم بصمت عميق، وبناء على اقتراح المندوبين صدر الحكم بالحرم عليه ومن ثمّ جرى توقيع اعمال المجمع وختمت الجلسات.

وقصارى القول ان ما فاز به مندوبو سنة ٨٦٩ لمصلحة نفوذ روما كان اقل جداً مما توصل اليه مندوبا سنة ٨٦١ لان ما يمكن الفوز به من اليونانيين عن طريق المسالمة لاكثر مما يستطاع الحصول عليه منهم عن طريق سوقهم بالقوة (ص ٢٢١). ومهما كان ذلك الحكم عادلاً فلم يكن انتصاراً للمندوبين واذا بادر الى اذهانهم ان النظام والسلام قد استتبّا فقد كانوا مخدوعين لان مفاجأة اخرى كانت تنتظرهم عندما اعتقدوا انهم قد احرزوا الظفر (ص ٢٢٢).

وفي شهر شباط جاء القسطنطينية وفد بلغاري: وهأ هي ذي قضية الايليريكوم ستبعث برمتها مجدداً: لان بوريس كان يريد فورموز (Formose) رئيس اساقفة لكنيسته لانه كان مرتاحاً اليه كل الارتياح، اما روما فلم تتجه بسؤله فجاء الى بيزنطية لمقابلة المندوبين والبطريرك اغناطيوس وكان البطريرك يعرف نيات روما فتجنّب الانزلاق في هذه الورطة وحكّم في الخلاف ممثلي البطريركيات الشرقيين الذين اصدروا طبعاً حكمهم في مصلحة كنيسة بيزنطية فرفض المندوبون حكمهم فلم يكترث اغناطيوس لرفضهم بل سام رئيس اساقفة وعشرة اساقفة وارسلهم مع كهنة اخرين الى بلغاريا، وما اطلع هادريان الثاني على الامر حتى حرم اغناطيوس ولكل من جرأته نفسه في بلغاريا على اغتصاب السلطة الاسقفية (ص٢٢٢–٢٢٩).

وادركت المنيّة هادريان الثاني قبل ان يرى ما تفرّع عن هذه القضية التي قبض عليها بيد حديدية خليفته يوحنا الثامن (٨٧٢–٨٢) ليصل بها الى خاتمة حسنة.

٥ ــ يوحنا الثامن وفوتيوس

لم يخفف مجمع انصار اغناطيوس ايما تخفيف التوتر في بيزنطية ورأى اغناطيوس نفسه امام اكليروس كان وفيًا لفوتيوس وفاء اعتقد معه باسيليوس انه من الضروري ان يطلب من البابا ان يجعل التدابير المتخذة ضد الاكليروس المتعلق بفوتيوس حليمة وتقدم اغناطيوس بعريضة يطلب فيها ذات الطلب فرفض هادريان الثاني ان يرجع عن مقررات نقولا الاول ومقرراته هو بسبب سلوك اغناطيوس في القضية البلغارية وزد على ذلك فان خليفة هادريان الثاني ، يوحنا الثامن ، اشتكى على اغناطيوس شكاية اعظم خطورة: ومآلها انه قد استخدم في بلغاريا رجال اكليروس معظمهم سامه فوتيوس .

وقال دفورنيك « لو كانت هذه المعلومات مضبوطة فاننا لنرى فيها ما يثبت اثباتاً جديداً اخفاق مندوبي الحبر الروماني في مجمع اغناطيوس وسياسة البابا هادريان الثاني الشرقية لان الشدة التي استخدمها البابا واستخدمها مندوبوه خاصة بالقسطنطينية قد اسخطت الامبراطور والبطريرك واعقل اصدقائه»(ص٢٣٢).

واتفاق فوتيوس مع باسيليوس واغناطيوس قد اتى على آخر اثار « النوز » الروماني في بيزنطية . — ومن المؤكد ان فوتيوس قد عومل معاملة قاسية في بدء عهد نفيه الى سكجه (Skegsè) فتذمر خاصة لكونه مُبعَدًا عن كتبه الغالية عليه ومن ثم عرف رويداً رويداً بفضل طبعه الهادئ المسالم اياماً اشد هناءة ، وظلت اواصر الصداقة قائمة بينه وبين موظفين عدة ما برحوا في اعمالهم في ظل العهد الجديد (١٣٤) ولم يفتأ الاكليريكيون يحتفظون بالعطف عليه فاستمر بواسطتهم يدير عن بعد كنيسته .

ووجد باسيليوس نفسه مرتبكاً كل الارتباك في تلك الاوضاع . فانه لم يكن يريد ذلك فروما ومندوبوها لم يجدوه اية مساعدة كانت ، على حين ان اكليروس فوتيوس كان يقوم بمهارة بأعماله ، ففي كل سانحة كان يؤكد لباسيليوس ولاءه . فلم يبق امامه الا امر واحد ليعمله وهو اغتنام مساعدة فوتيوس واصدقائه .

وتم ذلك التحول منذ سنة ٨٧٣ واصبح فوتيوس صديق الامبراطور المخلص

الذي اناط به تعليم ابنائه وخصّص له غرفة في القصر الامبراطوري وربما استأنف ايضاً التعليم في جامعة مانيور (Magnaure) (٢٣٥—٦—٧) .

ونفهم من جميع هـذه الامور (٢٣٨) ان اقصاء فوتيوس عن الكرسي البطريركي لم يكن الا موقتاً ليعود الى ارتقائه لاول فرصة . — فان الزمان والسياسة كانا يعملان في مصلحته (٢٣٩) فما كان عليه الا ان ينتظر وكان له من الذكاء ليفقه ذلك وهذا ما فعله .

وبعد ان اتفق فوتيوس مع باسيليوس اتفق ايضاً مع اغناطيوس والتقيا في القصر الامبراطوري وركع كلاهما على ركبتيه وطلب السماح من صاحبه (ربما حوالي ٨٧٦) وهذا ما يرويه فوتيوس نفسه في تأبينه لباسيليوس الذي مات بدوره مقتولاً(٢٤٠)[—ويناقش دفورنيك الاساطير التي نشرها اتباع اغناطيوس ضد اعمال فوتيوس طول تلك المدة ص ٢٤١—٢٤٥] .

وعلى رغم هذا كله لم يكن ذلك الهدوء كاملاً(٢٤٥) لان عدداً كبيراً من الاساقفة والكهنة الموالين لفوتيوس كانوا لا يزالون في المنفى ويعانون الاضطهاد ، اما باسيليوس فكان يودّ الانتباه من ذيول ذلك الخلاف .

ويقول دفورنيك (ص٢٤٦) من المحتمل ان يكون فوتيوس قد اضطلع حقيقة بمهام البطريركية قبل ان يموت اغناطيوس بسنة وان يكون اغناطيوس وافق على ان يخلفه ، فلم يبقَ من معنى للحكم الذي اصدره المجمع بحق فوتيوس بعد ان تم الاتفاق ، وبحسب عادات الكنيسة الشرقية ان الحكم الذي يصدره مجمع لا ينقضه الا مجمع آخر فقد طلب باسيليوس ذلك من يوحنا الثامن ورجاه ان يُرسل مندوبين من عنده (ص٢٤٦—٤٧) فنزل البابا على طلبه املاً انه يرمي عصفورين بحجر واحد: اقرار السلام نهائياً في الكنيسة البيزنطية وتسوية المسألة البلغارية فسلّم في سبيل هـذه الغاية مندوبيه بولس واوجين رسالة الى اغناطيوس يهدده فيها بأقصى العقوبات شدة اذا رفض سحب كهنته من بلغاريا . وذهب المندوبان الى بيزنطية متفائلين .

ويا لسخرية القدر! فان اغناطيوس توفّاه الله في الثالث والعشرين من تشرين الاول ٨٧٧ قبل وصول المندوبين وارتقى فوتيوس السدة البطريركية بموجب الاتفاق المعقود بين باسيليوس واغناطيوس من دون مجمع ولا انتخاب وانما

لتصوّر انذهال المندوبين وارتباكهما حيال هذا الموقف الذي لم يكن منتظرًا وعما لا تعليمات لديهما بشأن الطريقة التي يجب ان ينتهجاها كما انهما تذكرا ايضا مآل رادوالد وزكريا ، فماذا يعملان ؟

ولما رأى باسيليوس انه لم يأته رجال مطلعون اطلاعاً اوسع من خبرة المندوبين الموفدين في الامور البيزنطية (كزكريا رفيق رادوالد وكان قد طلبه خصيصاً) ادرك انه لم يبق عليه الا ان يفعل شيئاً واحداً وهو ان يكتب الى يوحنا الثامن وهكذا فعل هو والبطريرك الجديد. في تلك الاثناء. وقف المندوبان «مكتوفي الايدي»لا يقومان بعمل خشية الانزلاق في الورطة، فرأى يوحنا الثامن في تصرفهما ذكاء قليلًا اذ حرمه (٢٥٧) معلومات مضبوطة حول الحالة حتى يات عليه ان يكتفي ببيانات الامبراطور والبطريرك،فقبض بعزم وبيد قوية على القضية وكانت لديه مصاعب اخرى في الغرب وكانت مساعدة الملك له ذات قيمة كبرى . ففكّر انه يستطيع في سبيل المصلحة العامة التغاضي عن بعض الاعمال الشاذة واغضاء العين عن الماضي لاحلال السلام في تلك الكنيسة المرزوءة ولكن من دون ان يضحي باي مبدإ عقائدي كان وبأي امتياز كان لكرسي القديس بطرس فقرر الخطة التي سيسير عليها في مجمع روماني .

واننا نعلم تفاصيلها (٢٤٩) من الرسالة التي بعث بها البابا الى الامبراطور واكليروس القسطنطينية وفوتيوس وزعماء حزب اغناطيوس. اما مندوباه فاوليهما تعليمات خاصة في بلاغ (Commonitorium) حمله اليهما الكاردينال بطرس : انه سيعترف بفوتيوس على شرط ان يسمح اولًا المجمع العفو عن سلوكه الماضي وان يردّ بلغاريا ..وكان على المندوبين ان يتبعا تعليماته بذكاء وبعد نظر .

وقد جاءت النصيحة في ميعادها : فعلى المندوبين ان لا يريا في هذه التوصيات الا ايعازا بفهم الامور اكثر من التقيد بالحرف ليضطلعا بمسؤولياتهما . وجّه المندوبان منذ بدء افتتاح المجمع رفض فوتيوس الجازم للقيام بفعل الاتضاع المطلوب منه فعله امام المجمع انه قد اخطأ لانه اذا كان قد اخطأ فان مجمع ٨٦٩ قد انزل به القصاص اللازم في حكمه عليه ، فأدرك المندوبان انهما اذا ما ارادا ان يتقيّدا بحرفية تعليماتهما فانهما مخفقان لا محالة وما كان باستطاعتهما ان يفكرا في مراجعة روما من جديد .

وكان الامبراطور ينتظر على احرّ من جمر . ألم يلمها البابا على نقصان قوة المبادرة الشخصية لديها ؟ فحاولا طويلاً الوقوف في وجهه اهواء الامبراطور ونصائحه وما كان يحضّها عليه ولكنها نزلا اخيراً بما لها من سلطان عن الشرط المفروض على فوتيوس واكتفيا بأن يطلبا منه كتمويض ان تعود بلغاريا الى ولاية روما . وبات من الواضح في تلك الحالة ان لا يقويا على تلاوة رسائل البابا بنصوصها الاصلية امام المجمع وكان عليهما ان يجعلاها تماشية للظروف الراهنة التي اتضحت لها (٨٥٨ — ٥٩) وبات عليهما ان يتخذا على مسؤوليتهما كما صار سنة ٨٦٧ وسنة ٨٦٩ تحويراً ملائماً على ان يطلعا روما بعد ذلك على الاسباب . وفضلاً عن هذا كان عليهما ان يترجماها الى اليونانية . واين كان بمقدورهما القيام بذلك في مكان افضل من مستشارية الامبراطور او البطريركية اذ كانوا يعرفون هناك كيف ينبغي تقديم الامور للبيزنطيين ليجعلوها مقبولة لديهم .

وجاءت التحويرات في رسائل البابا كبيرة وتعجّب منها المؤرّخون ، ولا يخلو من الفائدة ان نشير الى بعض تفاصيلها (ص ٢٥٩) فقد استاذا في مقدمة رسالة البابا الى باسيليوس لانها بدت لها جافة وزيد الاسهاب في التقريظ الذي وجهه البابا الى الاسرة الامبراطورية زيادة واسعة . . . وما ذلك بالامر الخطير كل الخطورة ، اما الامر الاهم فهو الفقرة التي اشار فيها البابا الى رئاسة سدته وهذه لم يتناولها شيء تقريباً من التبديل . وهاك ما نقرأه في الاسهاب اليوناني (ص٢٦٠) : « وبما انكم ترغبون في اقرار هذا الوفاق ذاته وفي انعام النظر فيه فقد توجهتم بموفديكم وبرسائلكم الى الكنيسة الرومانية المقدسة منتظرين بثبات ان تساعدكم في عملكم وتساندكم مساندة قوية . فانتم لستم اول من فعل هذا فقد اتبعتم عادة الذين تولّوا الامبراطورية قبلكم الطيبة واقتديتم بهم وانه لحقيق ان نبحث عمن علمكم ان تقوموا بعملكم على هذه الصورة : لا شك في ان اول الرسل بطرس هو الذي اقامه المسيح رئيساً على جميع الكنائس عندما قال له : ارعَ نعاجي . وليس هذا كل شيء فهناك المراسيم القدسية والشرائع المقدسة المستقيمة وشهادات الآباء كما تثبت ذلك رسائلكم الالهية المقدسة وانكم لتعملون على هذه الصورة اشعاعاً لايمانكم

الراسخ كل الرسوخ والذائع كل الذيوع اشعاعاً اعظم » .

أما قالب الانشاء الاصلي فكان اشد وضوحاً في اعلانه الرئاسة الرومانية واليكم نصه :« انكم تبعاً لمثل اسلافكم الاباطرة الشديدي الورع تعربون عن احترامكم للسدة الرومانية وتخضعون لها كل سلطة أيّ لمؤسسها اول الرسل اذ قال له السيد المسيح : ارعَ نعاجي . فانه ان يكون الرئيس الحقيقي على جميع الكنائس وهذا ما تعلنه قوانين الآباء الرئيسية ومراسيم الامراء المستقيمي الرأي وهذا ما تؤيده ايضاً رسائلكم الموقرة كل التوقير (ص ٢٦٠ لمحوظة) .

ولا بد من الاعتراف بان صيغة قالب الانشاء اليوناني توضح فكرة البابا الرئيسية ايضاحاً كاملاً . افليس من الباعث على الدهشة ان نرى ان من كان حتى الان ينظر اليه اجمالياً كعدو ألدّ لهذه الرئاسة لم يمسّ فقرة « شديدة المادة[1] ؟ »

والى ابعد من هذه الفقرة فقرة اخرى قد تقيدت بالنظرية الرومانية بقضية رئاسة السدة البابوية وان ادخل عليها تعديل . وهاك ما نطق به فوتيوس عن لسان البابا :« لقد خيّل الينا انه من المناسب اقرار السلام في كنيسة الله فلذلك ارسلنا موفدينا لكي ينفذوا ارادتكم وان سبقنا قدسكم واقررتم هذا الرجل قبل وصول مندوبيكم . واننا لنقبله (على كل حال) وذلك ليس بسلطاننا وان كان بوسعنا ان نفعله ولكن بسبب المراسيم الرسولية . . .

ولما كان هذا الكرسي الرسولي قد اخذ مفاتيح السما. من عظيم رئيس الاحبار الاول يسوع المسيح بواسطة اول الرسل بطرس الذي قال له « لك اسلم مفاتيح مملكة السموات » وان ما تحله على الارض . . . الخ » له السلطان ان يربط ويحل كل شيء . وبحسب قول ارميا ان يقتلع ويغرس ولهذا السبب نفسه وبما اننا نستخدم سلطان رئيس الرسل بطرس نعلنكم مع كل كنيستنا ونعلن بواسطتكم . . . بقية الاساقفة والكهنة وجميع كنيسة القسطنطينية اننا على اتفاق . . . فاقبلوا هذا الرجل بدون ايما تردد ولا يحتجن احد بمقررات المجامع غير المنصفة التي اتخذت بحقه . . . فاننا قد غفرنا له جميع هذه الامور وان كنا

١) يقال ندّ بعضهم عن بعض اي ذهب كل في وجه .

غير مستحقين بين يدي رئيس الرسل وبواسطته على اكتاف يسوع المسيح حمل الله الذي يغفر خطايا العالم . . . فوطدوا محبتكم وايمانكم وخضوعكم واحترامكم فيه وبواسطته في الكنيسة الرومانية المقدسة . فان من لا يقبله لا يقبل طبعاً مراسيمنا او مراسيم الكنيسة المقدسة الرومانية فانه لم يعلن الحرب علينا ولكن على الرسول بطرس الكلي القداسة او بالاحرى على يسوع المسيح ابن الله الذي كرّم ومجد كثيراً رسله واعطاه السلطان ان يحل ويربط (ص ٢٦١-٢٦٢). وفي هذه الاقوال وضوح كوضوح اقوال البابا نفسه ولا يذكرها الغرب الا تعظيماً لسلطة البابا وللتدليل على حقه في ان ينقض اي حكم كان . ويقول دفورنيك ان هذ الامر لم يشر اليه حتى الآن من سوء الحظ اشارة كافية .

ورسالة البابا الى البطاركة الشرقيين ما برحت حتى الآن تقريباً سليمة بقلم فوتيوس وما برحت تتضمن الكلمات التي اثبت فيها البابا حقوقه واليك هذا المقطع وفق الطبعة اليونانية :

« ان غيرتكم المقدسة عطفاً قد توجهت الى محبتنا باستشهادها بامير الرسل بطرس لكي نعانق البطريرك فوتيوس الكلي القداسة الذي اعيد الى كنيسة القسطنطينية وان نقبله معنا فهذا ما فعلناه بسرعة وغير طيبة خاطر متقيدين بما قيل في الانجيل للراعي الاول الذي قال له السيد المسيح نفسه « لقد صليت من اجلك يا بطرس لكي لا يتزعزع ايمانك . وانت وقد اهتديت ثبّت اخوانك » . فبخضوعنا للكلام الالهي وبالسلطان الكامل الذي اعطينا لمساعدة جميع المسيحيين — على قدر ما نستطيع ان نفعل من دون ان نجلب علينا الملامة والشجب — سلطان كامل بلغت شهرته حتى اقاصي الارض ، واقتداء بامثال اسلافنا لقد اعترفنا بفوتيوس فلا يمتنعن اخونا فوتيوس اذا طلبنا منه ان يثني مطرياً امام المجمع عطفنا وفضلنا او بالاحرى ان يمجد فؤاد الكنيسة الرومانية . فلقد عطفنا عليه عطفاً اخوياً بالاعتراف به كبطريرك شرعي اقيم وفقاً للقوانين وكشريك لرأس الرسل بطرس . ولقد فتحت له

جميع الكنيسة الرومانية قلب الام تمشياً على مثل غيرنا من اسلافنا ... وان عدداً عديداً من الاساقفة بعد ان ذهبوا الى المنفى ظلماً عادوا الى كراسيهم عن طريق التدخل الرسولي ... »

فلذلك اذا كان فوتيوس قد اهمل الشرط الذي فرضه البابا وهو ان يطلب السماح امام المجمع فانه لم يلمس الفقرة المتعلقة بالرئاسة الرومانية الاولى الجوهرية في النص (ص ٢٦٣) ..

وثمت فقرات اخرى تتناول خاصة الاختلاف بين وجهة النظر الرومانية والبيزنطية اهملت ولطفت واسهب فيها حيال قضية فوتيوس . فبعض التبسط في الاسهاب خطابي ونافل كالاطراءات الموجهة الى الامبراطور والبابا وفوتيوس نفسه لتحمل الناس على الاعتقاد بقيام اتفاق تام بين رومة وبيزنطية ولتتشهد باللهجة الودية التي تظهر في بعض النقاط في النص الاصلي اللاتيني .

وعلى كل ان جميع هذه الامور سطحية ؟ اما المقاطع الجوهرية في النص البابوي حول اولية الكرسي الروماني فلم تمس وهذا هو الامر المهم اهمية اولية. ويسعنا ان نستنتج كما استنتج دفورنيك : « لنكن منصفين ولنعترف بأن فوتيوس واتباعه لم يستطيعوا قبول وجهة النظر الرومانية في قضاياهم . فلقد كانت وجهات نظر خصومهم التي اوعز بها الى الرومانيين تيوجنوست (Théognoste) الذي اعداه فوتيوس (ص٢٦٤) . — ولم يكن باستطاعة فوتيوس ان يذهب بعيداً في الامتيازات التي اعطاها المندوبين كما ان هؤلاء لم يكن بمقدورهم قط اعتناب الاكليروس البيزنطي بتصلب متطرف. وعلى هذا الاساس توصلوا الى تفاهم فاستطاع المجمع ان ينعقد. ويسعنا القول ان المندوبين الرومانيين قد انقذوا ما هو جوهري من حقوق الكرسي المقدس وان فوتيوس اظهر المسالمة. اما في قضية بلغاريا فلقد اجاب عليها : « ان الامر الذي نرغب فيه هو السلام ولا يأتينا تدبيرنا لمقاطعة جديدة الا بمشاغل بال جديدة وليسترجع الكرسي الرسولي ممارسة ولايته على بلغاريا . وبعد ان قطعت هذه الضمانات اعترف المندوبان بفوتيوس رسمياً وكان لا بد بناء على اقتراحهما من ان يرمز الى ذلك الاتفاق التام بين ابا. المجمع بان يحتفلوا معاً بالاسرار المقدسة يوم عيد الميلاد يشترك فيه فوتيوس مع جميعهم. وختم المجمع اعماله ببتافات طويلة ليرحنا

الثامن وفوتيوس ووقعوا على اعماله وكان اول موقع المندوب بولس ومن ثم المندوبان الآخران وبعدهم الاساقفة الشرقيون وعددهم ٣٨٣ اسقفاً وما كان ناقصاً الا توقيع الامبراطور الذي لم يُحضر ولا جلسة من جلساته. ولذلك اقروا قيام دورتين اضافيتين احداهما عند الامبراطور والثانية في كنيسة القديسة صوفيا وعلى هذه الصورة كان ختامه الرسمي .

٦ ــ هل كان هناك انشقاق ثان لفوتيوس (ص٢٨٦ وما يليها)

استأنف المندوبان وقلبهما لا يخلو من بعض الغصة طريق عودتهما الى رومة وكانت مهمتهما ناجحة في النتيجة اذ استقر السلام بين الكنيستين بالتنازل عن امتيازات مهمة . أيقبل يوحنا الثامن ذرائعهما ؟ وهل يسلم بأنهما لم يكن بمقدورهما ان يفعلا غير ما فعلا ؟ فلقد كان معقد املها في رومة على زكريا الاناني الذي كان يشغل في المستشارية وظيفة آنستاز قيم المكتبة لانه كان على صلات ودية بفوتيوس جعلت له بعض النفوذ في انهاء تلك القضية انتهاء حسناً .

وعلى كل قد استقبل يوحنا الثامن المندوبين في صيف ٨٨٠ واطلع على اعمال المجمع ورسائل الامبراطور وفوتيوس . ونحن لا نجهل تأثيره من جوابه الذي ردّ به على هذا الاخير . وابدى البابا دهشته (ص٢٨٦) كيف بدلت وحوّرت امور كثيرة كنا قد حدّدناها من دون ان نعرف غلطة او نيّة من حرّفها على الرغم مما قررناه خطياً وشفوياً لاستخدام الرحمة حيال فوتيوس ــ وزد على ذلك انكم تلفتون في رسالتكم النظر الى ان الرحمة في رأيكم ينبغي ان لا يطلبها الا المجرمون وانه لموقف نتوقعه بالاحرى في الذين لا يعرفون الله. فنحن لا نريد تجسيم اعمال الماضي خشية من انزال عقابنا على قدر الاستحقاق. فكان من الواجب الا تستخدم مثل هذه الاعذار .

وبناء عليه فلا تغتنم حكمتكم المشهورة بمعرفة الاتضاع اذا ما دعيتم لطلب الرحمة من كنيسة الله المقدسة او بالحري اذا ما دعيتم للاتضاع كي تعظموا وتعرفوا ان تمنحوا عطفكم الاخوي للذي اظهر الرحمة لكم واذا ما بذلتم الجهود لمضاعفة اخلاصكم واستقامتكم حيال الكنيسة الرومانية المقدسة وحيال شخصنا الحقير فاننا نعانقكم كأخ ونتخذكم كصديق حميم » .

وهكذا وان اظهر يوحنا الثامن جودته وابوته لم يفصل الحزم عن الرحمة، فانه وان لم يغالِ في تصوير ماضي فوتيوس فهو يعرفه حق المعرفة وثمت لفوتيوس اسباب عدة تحمله على الاحتفاظ بالاتضاع واظهار نفسه عارفاً جميل من لم يعامله بقسوة . وختم يوحنا الثامن رسالته قائلاً « اننا نوافق بحبة على ما تقرر في القسطنطينية بمرسوم مجمعي لاعادتكم الى السدة البطريركية واذا اتفق ان عمل مندوبانا عملاً يخالف تعليماتنا الرسولية في هذا المجمع نفسه فنحن لا نوافق على عملهم ولا نعيره اية قيمة (ص٢٨٩) . ولقد بدا هذا البند الاخير غريباً في نظر المؤرخين (ص٢٩١) . وقد لاحظ بحق دفورنيك اننا ان رأينا فيه تراجعاً عما قبل لن يكون الا ان جعلنا البابا في موقف تناقض مشهود مع نفسه بعد كتابة سطرين او ثلاثة فلذلك ينبغي ان لا نرى في هذا البند الا مبدأ احتياط اراد من جرائه يوحنا الثامن صيانة حقوق الكرسي الرسولي وذلك اذا ما اتفق للمندوبين ان اتخذا تدبيراً ما لا يتفق مع رئاسته .

وحرص البابا على الاشارة الى ان اعادة فوتيوس الى كرسي البطريركية لم يكن الا تدبير عطف . وقد بين في رسالته الى باسيليوس (ص٢٩٣) موقفه المسالم هذا : « لقد اظهرتم اخلاصكم الصادق حيال كرسي بطرس وارجعتم الى ولايتنا دير القديس سرجيوس القائم على اراضي مملكتنا وكان قديماً يخص حقوقياً الكنيسة الرومانية المقدسة . — وسمحتم للقديس بطرس ان يعود الى ابرشية بلغاريا » . وصفوة القول لقد كان يوحنا الثامن مرتاحاً الى النتائج التي فاز بها مندوباه .

وفي الواقع لقد افلتت بلغاريا في النهاية من تحت الولاية الرومانية . افلم يكن ما وهبه باسيليوس لفوتيوس الا خدعة ؟

كلا ان الوقائع هي غير ذلك . ان تخلي (ص٢٩٥) باسيليوس وفوتيوس عن بلغاريا كان تخلياً صادقاً ونفذ عملياً . بيد ان الملك بوريس (ص٢٩٩) هو الذي غير فكرته اذ كان يرغب ان يجعل بلاده مستقلة على قدر المستطاع . واذ كان قد تعب من تلك المنافسة المستمرة بين البطريركيتين منافسة كانت بلاده مسرحها . فتغتنم الفرصة المناسبة لتحقيق حلمه القديم والفوز ببطريرك خاص .

ولقد انجز هذه الخطة التي رسم خطوطها بوريس بنفسه ابنه سيميون (Syméon) سنة ٩١٨ بتشييده بطريركية بلغارية مستقلة استقلالاً ذاتياً اعترفت بهـا رسمياً بيزنطية سنة ٩٢٧ . فلم يكن لفوتيوس اي ضلع بالامر .

وما هي الا سنتان تنقضيان على ذلك الاتفاق الذي طالما تمنوه حتى ادركت الوفاة يوحنا الثامن (١٥ ك١ ٨٨٢) فانتخب مارن (Marin) بابا مكانه وهو الذي كان في سنة ٨٦٩ — ٨٧٠ قطب المجمع الذي حكم على فوتيوس.

وفي مثل هذا المقـام اثيرت المسألة الشهيرة وهي ان نعرف فيما اذا كان يوحنا الثامن قـد شعر وهو في ساعته الاخيرة بان فوتيوس قد ضحك منه فاستوقد فيه حنقه وحرمه بدوره من على منبر القديس بطرس — فيكون ذلك انشقاق فوتيوس الثاني — وهذه هي الرواية التي يعتمدها مؤرخونا (ص٣٠٢) .

وفي هذا الصدد لا يحجم دفورنيك عن التأكيد انها ليست الا اسطورة ابتدعها بزمتها اتباع اغناطيوس ، اعداء فوتيوس الالداء . وهذا هو القسم الجديد حقاً في بحوثه . فالنتيجة التي توصل اليها والتي تتفق كل الاتفاق مع بحوث الاب غرومل « Grumel » المستقلة عن بحوثه في هذا الموضوع نفسه ومع انتقادات المصادر عينها هي نتيجة صريحة فلا يوحنا الثامن ولا اي كان من خلفائه : مارن ، واسطفان السادس ، وفورموز « وهاريان الثالث الذي لم يشر اليه الراوي الجماعة » قاطعوا فوتيوس .

فمن اين جاءت هذه الاسطورة وكيف اتلدت ؟

لقد ناقش دفورنيك في اكثر من خمس وعشرين صفحة (٣٠٢—٣٢٨) مناقشة طويلة كلام المؤرخين البيزنطيين هذا ليستنتج في الختام ان الاسطورة « كانت تستند الى مرويات بعض الوثائق التي ادخلت في الكتاب الذي هو مجموعة مقتطفات ضد فوتيوس واضيفت في بعض المخطوطات اليونانية الى اعمال المجمع الثامن » (ص٣٠٢) .

وجامع تلك الروايات لم يكن له غايـة سواء أكان من وراء تحريفه الحوادث ام من وراء مزجها بعضاً ببعض ام بابتداعه ابتداعاً وسائل الباباوات والاساقفة الشرقيين وسواء باختراعه اموراً برمتهـا (كحادثة وفد مارن الثاني الى القسطنطينية الذي كلفه ايفاده ان يسجنه الامبراطور ثلاثين يوماً — وكحادثة

المنبر الا ان يبرهن على ان فوتيوس الذي تواترت الاحكام عليه لم يكن باستطاعة احد ان يحله ولا البابا نفسه فاذن هو بطريرك لاشرعي .

ولقد الف هذا الكتاب حوالي نهاية القرن التاسع في عهد البابا فورموز (٨٩١ — ٨٩٦) واستُمدت منه الذرائع للتدليل على ان البابا يوحنا الثامن وثلاثة من خلفائه قد حكموا على فوتيوس .

ويجدرنا ان نقرأ عند دفورنيك نقده لهذا الكتاب الذي أُلِّفَ ضد فوتيوس ، واننا سنكتفي لتبين طريقته بان نورد باختصار اسطورة حادثة المنبر :

بعد ان ذكر المؤلف الجماعة مقطعاً من احدى رسائل نقولا الاول وشذرة من اعمال المجمع الروماني لسنة ٨٦٩ اضاف اليها تصريحاً لرئيس الشماسة يوحنا « وهو الذي صار بعد ثلاث سنوات البابا يوحنا الثامن » الذي يقدمه كناطق باسم آباء ذلك المجمع فكان ذلك التصريح ذمًّا لاذعاً لفوتيوس وقد انتهى على الشكل التالي : « وليمزق حديد حكمنا ذاكرته ولتقيد روابط الحرم الذين يتبعونه ويحمونه »...

ومن ثم يواصل المؤلف الجماعة قوله : «عندما ارتقى يوحنا الذي لفظ هذه الاقوال السدّة الرسولية بعد هادريان حرم هو ايضاً فوتيوس وذلك لما حاول هذا بداوراته خداع اوجين والموفدين الذين انفذهم البابا الى بلغاريا . فبعد ان اخذ البابا الانجيل صعد المنبر واعلن جميع الذين كانوا يستمعون اليه : ليكن محروماً من لا يعترف بان فوتيوس قد حكم عليه الله حكماً مشروعاً وانه للوضع الذي ابقاه فيه سلفانا الكلي القداسة البابا نقولا والبابا هادريان .. » — وبعد ان عدّد المؤلف الجماعة الباباوات الذين حكموا على فوتيوس اردف يقول : « ما من احدٍ من خلفاء نقولا قد حله ولم يكن لديهم حتى السلطان لحله . وعندما كان اغناطيوس لا يزال حيًّا وارسل يوحنا اوجين ورفاقه في صدد القضية البلغارية استولى عليهم فوتيوس وضغطهم شتى الوسائل ليحملهم على الاشتراك معه ليجر البشر الى التسكع في اودية الضلال . ولكن بعد عودتهم الى روما وبخهم يوحنا وحرمهم من على المنبر » (ص ٣٠٤ — ٥) .

وان جميع هذه الروايات لمدعاة للتفكير! فنحن لا نزال لدينا اعمال المجمع الروماني لسنة ٨٦٩ ، فالناطق باسم الآباء لم يكن رئيس الشمامسة يوحنا بل غودريك (Gaudericus) اسقف فيليترية (Velletri) . والاكيد ان يوحنا قد وقع على اعمال ذلك المجمع ولكن بعد توقيع الاساقفة والكهنة التابعين لكنائس روما عليها . وهنا يبتدع المؤلف الجماعة تصريحا طويلا عن لسان يوحنا البابا المقبل ويزعم انه رسالة مجمعية اصدرها البابا يوحنا الثامن ضد فوتيوس — وان حكم يوحنا الثامن على مندوبيه من على المنبر لهو اختراع محض ! — كلا ثم كلا انه لم تقم قطيعة قط بين يوحنا الثامن وفوتيوس وانما على العكس اذ ان هذا الاخير قد حفظ ذكر معرفة جميل هذا البابا الذي انتشله من تشدد ثقولا الاول وهادريان الثاني فقد دعاه في كتابه « ميستاغوجي » « Mystagogie » « باسم بطلي يوحنا » .

واننا نعرف عن مارن الذي شهد المجمع الثامن الذي صدر فيه الحكم على فوتيوس انهم احتفظ بالبرودة حيال البطريرك اما التاريخ فلا يعرف قطيعة بين الاثنين (ص ٣٠٧ — ١٤) . واما هادريان الثالث (٨٨٤ — ٨٥) فلم يأت الكتاب « المجموعة » على ذكره وانما نعلم بلسان فوتيوس نفسه ان علاقته بهذا البابا كانت ودية — والظاهر (ص ٣١٥) ان الامور ساءت في عهد اسطفان السادس (٨٨٥ — ٩١) الذي جدد بحق فوتيوس حرمانات العهد السابق. ولا يجد دفورنيك مشقة في تبيان خطإ هذا الافتراض. فان هادريان الثالث قد اوفد في غضون عهده القصير بعثة الى القسطنطينية كانت، كما يؤخذ من شهادة فوتيوس، تقصد بطريركيا لتبادل الرسائل المجمعية المعتادة. ولما كان هادريان الثالث لاقى حتفه عاجلا فان اسطفان السادس هو الذي شكر موفد تيودوز اسقف اوريا (Oria) وهنأه على انجاز مهمته بامانة . وقد علق دفورنيك تعليقا فيه الكثير من النظر الدقيق العائب على ذلك فقال : « اليس من الباعث على الدهشة ان نقرأ اطراء حبر روماني وشكره لمبعوث كان عليه ان يبلغ تحيات الكرسي المقدس للامبراطور ويطمئن في الوقت نفسه البطريرك الى ان كنيسة روما كانت ترغب في ايجاد علائق ودية معه وهو الذي تعتبره قد جعل القطيعة مع كنيسة بيزنطية» (ص ٣١٩) — فالعلائق اذن

قد كانت وديّة في عهد اسطفان السادس .

وقد بقي البابا فورموز (٨٩١ — ٩٦) افهو الذي حكم على فوتيوس ، طبعاً لا كبطريرك (لان فوتيوس كان قد عزل من خمس سنوات في سنة ٨٨٦) ولكن بالنظر الى ماضيه والى اعماله في اثناء عهده بالبطريركية . وبالاستناد الى رسالة من فورموز الى سيميان يعتقد الاب غرومل هذا الاعتقاد. اما دفورنيك الذي تعمق كل التعمق في نقد تلك الرسالة فرأيه مناف كل المناقشة لاعتقاد الاب المذكور (ص ٣٤٨ — ٦٠) . — اذا كان حقاً ان المشاجرات نشبت بين اتباع اغناطيوس واتباع فوتيوس بعد ذهاب هذا الاخير فعكرت مجدداً صفاء كنيسة بيزنطية ولم يستطع فورموز اخمادها ، فما من دليل يقيم البرهان على ان القطيعة قامت من جديد بين روما وبيزنطية (ص ٣٥٣—٤—٥) وليس من شيء في الادب المعاصر قد احتفظ باثر منها. ففورموز (ص ٣٥٧) يتكلم على انشقاق ، لكن هذا الانشقاق هو انشقاق داخلي في كنيسة بيزنطية بين اتباع اغناطيوس واتباع فوتيوس لا بين بيزنطية وروما.

ويسطع برهان في نظر دفورنيك (ص ٣٥٩) على عدم حرم اتباع فوتيوس هو سكوت المصادر اليونانية عن مثل هذا الحرم لان عملاً على هذه الصورة يضع في متناول اتباع اغناطيوس حجة من خير الحجج . فعليه ان الناسخ (وهو احد اتباع اغناطيوس الشديد التعصب) لم يستغل هذا الحدث . فالنتيجة التي لا مفرّ منها « انه ما من امر يخوّل التسليم بقيام مشادّة جديدة بين بيزنطية والروما نجمت عن غلطة فورموز وعن قصر نظره» (ص ٣٥٩) . اما الانشقاق الداخلي في الكنيسة البيزنطية بين انصار اغناطيوس وانصار فوتيوس فقد استمرّ الى بعد وفاة فورموز (٨٩٦) .

ولنعد الى فوتيوس — لقد اقترع المجمع الذي ارجعه الى كرسي البطريركية (٨٧٩—٨٠) على عقوبات صارمة بحق الذين يأبون الاعتراف به كبطريرك شرعي ، بيد ان تلك التدابير لم توفق الى قمع معارضة اتباع اغناطيوس المتطرفين ، وعندما تسلّم فوتيوس عرشه البطريركي انسحب الكهنة التابعين لكنيسة القديسة صوفيا من الكنيسة مقاطعين الاحتفال بالاسرار المقدسة . وانه لمن الصعوبة بمكان ان نقوى على قول شيء واضح عن اهمية تلك المعارضة وعن

عدد الذين ظلوا غير مبادنين حتى بعد ان لفظت روما كلها في مصلحة فوتيوس. اما الاساقفة الاشد تصلباً في تردهم فابعدوا الى المنفى لكن عددهم لم يكن كبيراً جداً ؛ وكانت العناصر الاكثر تعصباً من بين رجال الاديار خاصة . وكانوا على قدر قلة عددهم تشتد حمية عصبيتهم (ص ٣٣٠). والعناصر المعتدلة كل الاعتدال من الاساقفة والاكليريكيين التابعين لاغناطيوس قد انضمت الى فوتيوس .

ومن الواجب ان نشهد له انه عمل كما كان في مقدوره ان يعمل لاحلال الهدوء في كنيسته ، ومع ذلك وعلى الرغم من كل الامور فقد انشأت اقلية ضئيلة من المتطرفين برئاسة زعيمها ستيليان النيوزاري « Stylien de Néocésarée » ومتروفان الازميري « Métrophane de Smyrne » « كنيسة صغيرة » ظلت غير مُهادِنة تحاشت عن الاتصال بفوتيوس وبمن سلمهم من الاساقفة.

وما هو الا وقت قليل حتى غيبت وفاة باسيليوس غير المنتظرة مجرى الحوادث مجدداً — فارتقى ابنه لاوون العرش ودشن عهداً بارتقائه منصة الحكم (٨٨٦) فقد ابدى منذ مطلع عهده عطفه على حزب المتعصبين فقط الذي كان يميل اليه في ايام ابيه وان لم يكن عن اقتناع شخصي فعن امتعاض من والده ومن سياسته (ص ٣٤٠).

ولم يكن صعباً اقناع ليون بانه لن يقوى على الاحتفاظ بفوتيوس في كرسيه. اجل لقد تولى فوتيوس تعليم لاوون (٣٤١) وكان استاذه طوال سنتين او ثلاث فقط ولم يكن ليون يتجاوز انذاك الثانية او الثالثة عشرة من عمره. وكان الاستاذ والتلميذ لا يحب احدهما الاخر الحب الجم واتفق للبطريرك ان انّب غالبا لاوون على حياته الخاصة وعلى تصرفه حيال والده .

وقد عقد لاوون النية على التخلص من البطريرك من دون ان يتوسل بالعنف لكي لا يثير ردة افعال الاحرار فشدد على فوتيوس ضغطه ليحمله على تقديم استقالته، وتذرع بانه يريد ان يعهد بالكرسي البطريركي الى شقيقه اسطفان الذي اعده لهذه المهمة باسيليوس ابوه (٣٤٢) — . ومن المحتمل ان فوتيوس وافق على ان يوقع صك التنازل فرُقي اسطفان الى السدة البطريركية البيزنطية ولم يكن له من العمر الا ١٨ عاماً فقط . ونُفي فوتيوس الى حيريه (Hiéria)

على شاطئ اسيا الصغرى ، وهي فنارانسي « Phanarassi » في يومنا الحاضر حيث استأنف اعماله العلمية والادبية ويرجع ميعاد وضع كتابه : (Mystagogie du Saint-Esprit) الى ذلك التاريخ . ولقد جهد فوتيوس جهده ليبين بواسطة العهدين القديم والجديد وبواسطة كتابات الآباء ان الروح القدس ينبثق من الاب وحده .

ومن ثم فقدنا آثار فوتيوس تماماً واختفى من المسرح اختفاء مجهل معه حتى تاريخ وفاته الصحيح : اما دفورنيك فيجعله في شباط ٨٩٢ على حين ان غيره يؤخره حتى ٨٩٦ (ص ٣٦١) .

وحسبنا ان نقف عند هذا الحد من بياننا.

لقد قرّر الاب لابوتر «Lapôtre» في كتابه القيّم عن يوحنا الثامن (١٨٩٥) الحقيقة بشأن موقف هذا البابا حيال فوتيوس. ومن رأيه ان يوحنا الثامن لم يخرب قطّ عمله الخاص. بيد ان الاب لابوتر لم يكن قد اوضح قضية المنبر. وقصر الاب امان (Amman) في مقالاته العلمية (يوحنا الثامن ، ويوحنا التاسع وفوتيوس) التي صدرت في المعجم اللاهوتي الكاثوليكي نفسه على اعلان السجل المعاد لفوتيوس وقبل منه جزءا من الاسطورة المستندة الى السجل نفسه .

ويلخّص دفورنيك في سنة ١٩٣٣ بكتابه « اسطورتا قسطنطين ومتوديوس كما تراهما بيزنطية » ما يلي « ليس لدينا وثيقة حاسمة تخولنا تأكيد انقطاع العلاقات بين روما وبيزنطية قبل سنة ٨٥٥ . وليس بالامكان نسبة بادرة من هذا الشكل الى غير البابا اسطفان الخامس — . وخطا الاب غرومل في السنة نفسها خطوة الى الامام بتقريره ان اسطفان الخامس اعتبر فوتيوس كبطريرك شرعي ولكنه قد توقف مترددا امام البابا فورموز فقد يكون هو الذي اصدر الحرم — اما دفورنيك فيعتقد ، كما رأيناه ، ان من واجبه التصريح في المعنى السلبي .

وانه لمن شأن اولي الاختصاص ان يبينوا لنا عما اذا كانت براهين دفورنيك قاطعة لا مردّ عليها وتؤدي الى الاقتناع التام . ومن يجهل الصعوبة القصوى حيال النصوص المتناقضة لينتخب منها بعضها ويستخرج منها الحقيقة؟ فان القيمة

النسبية النفسية ، وهي ضرب من النظر الثاقب والتخمين الذي يكون نوعا اما لمصلحة الشخص الذي نتتبع اثاره واما لغير مصلحته ، ليمثل دوره بدون شك ويوجه التنقيبات ويؤثر على الاحتكام الذي نجهد الجهد لاستنباطه منها . — والمؤرخون الذين يستأنفون بعد دفورنيك اخضاع هذا السجل لمبضع نقدهم هم الذين سيقولون لنا اذا كان قد عرف ان يجد لحمة التاريخ الحقيقية.

ومن لا يتمنى ان لا تلاقي ذكرى رجل كفوتيوس من التاريخ الذي طالما ارمضها تعويضاً يسعه وحده ان يأتي به.

ولقد اكد فوتيوس انه يفضل دروسه وكتبه العزيزة وانه لم يسعَ وراء المجد. ولنسجل له هذا الاعتراف. بيد انه قد القى في ذهننا انه كان يستشعر قيمته استشعارًا رفيعاً جدًا ليرى نفسه جديرًا بها حتى اذا ما وصل الى مركزه فان كبرياءه لا تخوله ان يتنازل عنه . وزد على هذا انه لم يجرأ على القيام بعمل الاتضاع الذي طلب منه البابا ان يقوم به امام المجمع . وهو لو كان فعل لكان اكتسب حتى احترام الاعداء. ولكان عمله هذا سهّل عليه بعد ذلك احلال السلام في كنيسته . لكنه اعتمد على مرونته التي لم تكن دائمًا لتفوز بالنتائج الاشد استمرارًا .

ولئن كان من الصعب التسليم بان فوتيوس يستحق التكريم الذي أسبغ عليه من بعد—هذا التكريم الذي يستوجب صفات اخرى لكي يصبح مفروضاً على الاحترام الشامل— فانه من الواجب علينا ، ولو على الاقل ، ان نمتدح ثقافته العالية فقد كان من ابرز ممثلي ذوي الكفاءة لذلك التجدد الادبي والعلمي الذي كان يعدّ من رجاله بعد الامبراطور تيوفيل القطبان تيوكتيست وبارداس . وكان يلذّ له التاريخ والقواعد والتفسير واللاهوت . اما حبه الاطلاع الذي كان يساعده ذكاء نادر فكان شاملًا . اما مؤلفاته فتقيم لنا برهاناً ساطعاً على سعة علمه اكثر منه على فكرة اصيلة مبدعة . وهذا ما جعله على طرفي نقيض مع اغناطيوس الذي لم يكن ورعه التقشفي يتذوّق الادب العلماني الّا تذوقاً قليلًا واوجب احترامه على الطبقة المثقفة في العاصمة فاكتسب عطفها.

ولا يسعنا الا شكر الاب دفورنيك الذي استجلى غوامض كانت مستحكمة في هذا الباب ولانه قال قوله الفصل والعدل في « المزيفات » التي اكتسبت طويلًا قيمة تاريخية .

كتاب
الدر المرصوف في تاريخ الشوف

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

تمهيد

المؤلف

١

اصل آل المنيّر من حلب[1] حيث كانوا ، على ما يظهر ، منذ امد بعيد يشتغلون بصناعة وتجارة النسيج المنيّر وهو الذي تكون حياكته على تيرتين . ومن هنا اسمهم . وهو بالكسر على صيغة الفاعل كما يلفظ في حلب . وان كانوا في لبنان يلفظونه بالفتح على صيغة المفعول . وكانوا هناك ثلاثة بطون يرجعون في الاصل الجامع الى بني «هلال» ويحفظ التاريخ ممن اشتهروا منهم هناك اسم القس بولس عيسى المنيّر الذي خدم ابرشية حلب الملكية الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها .

---

١) على ذلك اجمع كل من تكلم عن اصل اسرة المنير من المؤرخين المعاصرين . على اننا عثرنا بعد كتابة ما تقدم على اوراق لدى احد افراد بيت المنير . وهي تثبت ان جد الاسرة واسمه يوحنا المنّ خرج من مصر حوالي ١٦٠١ على اثر حوادث مؤلمة . وقطن مع اخوته في بيت المقدس وتزوج هناك من بيت جالا واشتغل بصناعة التنيير والحياكة فاشتهر بها حتى غلبت على لقبه الاصلي «المنّ» وهو احد اولاده جاء في ما بعد الى ذوق مكايل ونشر صناعة الحرير المعروفة فيها . ومنه تفرعت اسرة المنير في لبنان . . .

ثم رحل بنو المنيّر الى لبنان واقاموا في زوق ميكائيل قبل القرن الثامن عشر على الارجح . بدليل ان القس حنانيا ، وهو مولود سنة ١٧٥٦ حين يتكلم عن مولده ومحتده ، لا يشير بشيء الى اسم حلب . وهذا معناه ان امر هجرتهم من هناك كان قد اصبح اقدم من ان يشار اليه .

وكان بينهم وبين المشايخ اليازجيين وشائج قربى اكيدة ، على ما يثبت قدماؤهم . ولعل هذا النسب كان من عوامل الصداقة الصادقة التي ربطت بين صاحب الترجمة والشيخ ناصيف . والتي كان من ثمارها تبادل قصائد المدائح بين الاديبين .

وممن اشتهر من هذه الاسرة في زوق ميكائيل الياس المنيّر ١٨٦٠ — ١٨٨٣ وكان على ما يظهر من زعماء الثورة الشعبية التي قامت في كسروان بين ١٨٤١ و١٨٧٣ . وكان الناس يتغنون باسمه باقاويل منها هذا البيت :

يا بو الهدوم يا صغير يا بو الرايات يا منير

اشارة الى غناه وصغر قامته ومسير الناس وراء رايته حباً وكرامة[1] .

ومن آل المنيّر اليوم رجال كثيرون متفرقون ، مرفوري النجاح في بيروت وسائر المدن اللبنانية .

٢

« حنانيا المعروف بابن المنيّر نسباً ، والمكنى بالزوقيّ لقباً ، المنضوي تحت نير الطاعة في رهبنة دير مار يوحنا الشويرية » (المترجم له في كتابة تاريخ الرهبانية ص ١)

ولد في زوق ميكائيل سنة ١٧٥٦ ؛ ودخل الرهبانية وتقيد بنذورها سنة ١٧٧٥ ؛ وارتسم كاهناً سنة ١٧٩٩ . اما سنة وفاته فلم تتصل الى معرفتنا على وجه الضبط . فهي ليست مذكورة في مكان . وكل ما نعرفه بشأنها انه يوم انقسمت الرهبانية الى فرعين ، حلبي وشويري[2] سنة ١٨٢٣ ، كان احد الذين

١) راجع في يوسف ابراهيم يزبك ، ثورة وفتنة في لبنان ص ٨٠

٢) « رهبنة دير مار يوحنا » ، كما سميت حينذاك ، او الرهبانية الباسيلية الشويرية ، كما هي معروفة اليوم . نشأت مع مطلع القرن الثامن عشر في دير مار يوحنا قرب الشوير . واجرى الله على يدها خيراً كثيراً في خدمة الكنيسة والنفوس . وامتد نطاق عملها في بلدان

نابوا عن اخوتهم البلديين – الشويريين في الاشراف على تنفيذ الاتفاقية وقسمة الارزاق والممتلكات . وكان عمره اذ ذاك قد قارب السبعين .

اما حياته الكهنوتية فقد قضاها في ادیرة الرهبانية واعمالها . منصرفاً على الارجح . الى العمل العقلي والدرس والمطالعة والتأليف ، متخلياً عن الاعمال الخارجية والادارية . وهو ما يفسر ، في ظننا ، سكوت السجلات عن ذكره . ومما يحملنا على هذا الاعتقاد ان ما تركه من المؤلفات يتطلب فراغاً لا تسمح به اعمال الخدمة والرسالة الخارجية ، في مثل ايامه .

وفي دير مار انطونيوس « القرقفة » في كفرشيما ، توثقت ولا شك علاقته بالشيخ ناصيف اليازجي. وكان صعود الشيخ الى الدير متواترًا . فضلاً عن اقامته فيه سنتين (١٨١٦—١٨١٨) كاتباً للبطريرك اغناطيوس الخامس . وقد مدحه الشيخ بقصائد ليست في ديوانه ولكنها محفوظة في خزانة الاستاذ اسكندر المعلوف . منها هذان البيتان ، على اثر عودته من سفر :

عاد الديار فكان خير نزيل وكذا البدور تعود بعد افول
هو مقبل كان البشير بوفده نشر العبير على نسيم اصيل

وفي كتابه « تاريخ الرهبنة » اشارات قليلة الى شيء من تفاصيل حياته . قال في حوادث سنة ١٧٨١ . وفيه مشهد من غصص مشاكلهم اليومية :

« في هذه السنة في شهر حزيران ذهب راهبان من دير مار يوحنا بأمر رئيسهم ... لدير مار الياس في زحلة واصحبوا معهم راهباً آخر (يعني ذاته)

الشرق العربي . وفي سنة ١٧٢٣ و ١٨٢٩ ، انقسمت الى فرعين حلبي وشويري . وما زالت ، في فرعيها هذين ، تعمل بجد واخلاص في الميدان الروحي الذي نذرت نفسها له .

وبين ابنائها ، فضلاء عمن اشتغلوا بسائر فروع المعرفة والتأليف ، نفر رغبوا في تدوين حوادث التاريخ وتركوا فيه آثارًا . منهم ، الى جانب القس حنانيا المنير : القس رفائيل كرامه . وقد نشر تاريخه في بيروت (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٢٩ بعنوان « مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسوريا . من ١٧٦٥ الى ١٨٠٠ » والقس قسطنطين طرابلسي وكتابه معروف « بتاريخ النافتشلا » اذ قد وضعه مؤلفه حين كان وكيلاً لرهبانيته في روما في انطوش كنيسة النافتشلا وحوادثه من ١٧٢٩ الى ١٧٧٢ . ومخطوطته في خزانة دير مار يوحنا .

وغيرهم .

ونزلوا لسهل البقاع يصطادون سمكاً في الليل . وكان يومها حاكم في البقاع محمد آغا العبد . فقبض عليهم ووضع الحديد في اعناقهم وتهددهم بالقتل . واخيراً عفا عنهم اذ قدموا له خمسة ارطال قهوة وقفتين رز . وكنت الفقير من جملتهم . واقمنا في الجزير يوماً واحداً » .

وفي حوادث ١٧٩١ ، يصف معركة طاحنة قامت في زحلة بين عسكر الدولة والامير جهجاه الحرفوش امير بعلبك . وكانت على ما يظهر مشهداً عجباً . خرج الناس من بيوتهم وتجمعوا على المشارف يتفرجون برؤيتها . قال : « والفقير كنت حاضراً هذا المشهد مغيراً ملبوسي » . — وقد ذكر ذلك ايضاً في « الدر المرصوف » وفي مخطوطة بكركي حيث يقول : « وكنت الفقير موجوداً هناك في تلك المعركة اسمع واری » .

٣

في مقدمة كتاب « مذهب الدورز » يلقب الاب حنانيا نفسه بالطبيب . وقد ذكر في سجل اسماء الرهبان الى جانب اسمه : « صنعته طبيب » . وذكر له الشيخ ناصيف هذه الصنعة في احدى مدائحه بقوله : وروّية في الطب يحمد خوضها في المشكلات حنين اسرائيل .

وقد عثرنا بين مخطوطات دير مار يوحنا على بعض الكتب التي كان ينسخها او يختصرها او يطالعها . وفيها ما يثبت اكبابه على صنعة الطب واتقانه لها ، شأن الكثيرين من كهنة ورهبان تلك الايام . فقد كانوا ، لقلة الاطباء وفقر الشعب ، يتقنون مع علم الروح علم الاجساد . فيعم نفعهم للناس روحياً وجسدياً .

ومن تلك المخطوطات كتاب « تحف ازهار البستان ومختصر غاية الاتقان بغاية التدقيق وبالله التوفيق . قد اختصره لذاته القس حنانيا المنير حاذفاً منه انواع الحميات وامراض العين وبعض امراض يقتضي لعلاجها مطالعة المطولات . وذلك سنة ١٨٠١ » . وفي صفحاته الاولى حواش وفوائد طبية مختلفة منها هذان البيتان يتضمنان « معرفة الايام الجيدة للفصادة » في الشهر القبري . نذكرهما على سبيل التفكهة ، ولما فيهما من الاشارة الى معتقدات القدماء واساليبهم :

وعمرك وعمري يأتي وضناك يضنيني اما
فتقوطه إفصد به وبا هل عند الضنا

على ان المنير لم يكتف بدرس الطب وممارسته . فمطالعاته وتآليفه تثبت انه كان اديباً واسع المعرفة ، رحلة كثير الاسفار ، شاعراً خصب الانتاج ، عالما ملماً باكثر شؤون الدين والدنيا . ولا سيما التاريخ .

فمن كتبه التي تمكنا من العثور عليها والتي تدل على اتجاهه الفكري « ديوان ابن الفارض . قد تم وكمل كتابة بيد احقر من كل من خط وقرا واوفر خطأ من سائر الورى الاخ حنانيا المنير الزوقي الراهب القانوني . وذلك في نصف تشرين اول ١٧٩٧ في دير مار اشعيا » وكتاب « الشذور الذهبية في التوبة المرضية » . « صار برسم الاخ حنانيا منير راهب مار يوحنا الشويرة ١٧٨٥. وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان الروم القانونيين بدير مار مخائيل ».

٤

ولو ان جميع مؤلفاته ومخطوطات مكتبته وادوات مطالعته باقية سليمة لدينا ، لاستطعنا ان نرسم لهذا العالم الاديب صورة كاملة واضحة ولكن الايام في حدثانها جارت عليه فطمست على اكثر آثاره ، وتآمرت ، لاسباب نجهلها ، على اخفاء اسمه وفضله . فمن الغرائب ان سجلات رهبانيته لا تشير بكلمة الى حياته واعماله . ومن الغرائب ان خزائن اقرب الناس اليه خالية من جميع مؤلفاته . ومن الغرائب ان مثل كتاب « الدر المرصوف » ليس منه في لبنان ، رغم جهدنا في التفتيش ، اكثر من نسختين . احداهما في خزانة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . والثانية نسخة المرحوم سليم رستم باز وعنها اخذت نسخة المكتبة الشرقية التي بين ايدينا .

على انه يتراءى لنا من خلال مدائح الشيخ ناصيف له ، راهباً ورعاً تقياً مخلصاً لدعوته ، يزين فضائله بتاج التواضع ، ظريفاً خفيف الروح ، سليم النفس مسالماً ، حاو المشعر ، سريعاً الى الخدمة ، اديباً غني القريحة سريع البديهة :

شاكي السلاح سلاحه من كاغد وفرنده جمل من الانجيل

طبيباً عالماً نشيطاً مكباً على العمل . وعلى الجملة فانه تميز

بمناقب كالدر الا انها كانت مترهة عن التخليل

ومهما فرضنا في هذه المدائح من المبالغة الشعرية ، يظل فيها كثير من الدلالة على فضله وجمال نفسه .

آثاره

٥

ان آثار المنير المعروفة الان مردها ، من حيث الموضوع ، الى ثلاثة ابواب :

١) في التاريخ : الدر المرصوف ؛ وتاريخ الرهبنة ؛ ومخطوطة بكركي .

٢) في الدين : شرح عقائد الدروز ؛ ومختصر امثال سليمان .

٣) في الادب : مجموعة امثال لبنان وبر الشام . ومجموعة مقامات ؛ وديوان شعر .

وهذه كلمة موجزة عن كل منها .

ا — الدر المرصوف في تاريخ الشوف .

وسيأتي الكلام عنه مفصلاً .

ب — تاريخ الرهبنة

في حوادث سنة ١٧٧٨ من الدر المرصوف يذكر المؤلف بكلمة موجزة قصيرة قضية الغا. رهبنة الراهبة هندية الشهيرة . ثم يضيف هذه الملاحظة : « ومن اراد ان يقف على تفصيل ذلك بالكفاية فعليه بكتابنا الاخر المختص بتواريخ الرهبنات . »

ولا ندري هل للمنير كتاب مختص بتواريخ الرهبانيات ضاعت نسخته ام انها غلطة من الناسخ اراد فيها كتاب « تاريخ الرهبنة » الشويرية الذي وضعه ولخص فيه تاريخ رهبانيته منذ تأسيسها حتى سنة ١٨٠٤ .

وفي هذا الكتاب كثير من اخبار الرهبانية غير مذكور في سجلاتها . كما ان فيه كثيرًا من الاخبار والمعلومات عن لبنان الديني والسياسي في منطقة المتن خاصة .

منه نسخة عند الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . وواحدة عند القس انطونيوس شبلي اللبناني . وواحدة في بكركي قديمة مخرومة الطرفين .

ج — مخطوطة بكركي

في خزانة المخطوطات في بكركي مخطوطة محرومة الطرفين . فلا تحمل عنواناً ولا توقيعاً ولا اسم مؤلف او ناسخ . تحتوي على نحو ١٣٠ ورقة بقياس ٢٣=١٦ . ذات خط فارسي انيق يشبه ان يكون خط الشيخ ناصيف اليازجي. وفيها حوادث من تاريخ لبنان تمتد من سنة ١٧٣٠ الى ١٨٠١ مع نقص كثير في صفحات القسم الاول منها .

ولا موضع للشك عندنا في ان هذا التاريخ ايضاً من وضع القس حنانيا لما فيه من الشبه بتاريخيه المذكورين . ولان بعض الامور مذكور في الثلاثة بالاسلوب نفسه وبالتعابير نفسها احياناً . كملاحظته التي ذكرناها عن الراهبة هندية . وكملاحظته عن وجوده في زحلة يوم معركتها التي مر ذكرها .

الا ان سرد الحوادث هنا اوسع . لا يقف عند اخبار الحروب والسياسة بل يمتد الى اخبار الاسر والمجتمع والى النكات الادبية والفرائد الشعرية .

وسواء كانت هذه المخطوطة الفريدة نسخة مطولة من الدر المرصوف ، وليس لهذا الافتراض من مبرر ، او تاريخاً مستقلاً قائماً بذاته ، فان ضياع نسخة كاملة منها تعد خسارة كبيرة — ولعل المستقبل لا يضن بالهداية الى ما يعوض عن هذه الخسارة . وفي ذلك ما فيه من الفائدة للتاريخ والادب اللبنانيين .[1]

د — شرح عقائد الدروز .

قال في مقدمته بعد البسملة : « يقول القس حنانيا منير الطبيب . انه قد كلفني احد الخلان ذو رغبة في معرفة اصول الاديان ان افحص له عن قاعدة ديانة الدروز ومبانيها وان اشرح بالاختصار غوامض معانيها . وكنت الفقير ممن يرغبون انجاز طاعته ويحاذرون جوار عصاوته ؛ فافرغت كنانة العناية لتكميل هذه الغاية » ثم يذكر كيف استعان . بعد طول التفتيش . بكتاب مسمى « مختصر البيان في مجرى الزمان » : فاستخلص منه خلاصة كاملة تامة المنال لعقائد مذهب الدروز .

١) وتود هذه المناسبة ان نثبت هنا كلمة شكر للموسيو نقولا الرجي امين خزانة الكتب في بكركي ، لما اظهره من الحب وسعة الصدر في اطلاعنا على كل ما رغبنا فيه مما هو تحت يده .

وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية وطبعه بنصه العربي والافرنسي مع مقدمة وشروح وتعاليق المستشرق هنري غيز — ولعله هو الذي طلب الى المنير وضع هذه الدراسة القيمة — وقد قال فيه المستشرق الشهير دي ساسي. وهو ممن قضوا حياتهم في درس ديانة الدروز ونشر عنها كتاباً في مجلدين: «لو عرفت بهذا الكتاب من قبل لوفر علي كثيراً من العناء ولامدني بكثير من المعلومات»[1].

هـ — مختصر امثال سليمان

في ٢٩ فصلاً. و٨٤ صفحة.

قال في مقدمته: «يقول العبد الفقير الى مولاه الغني، حنانيا ابن المنير: انني لما رأيت من العباد ذوي الرغبة والاجتهاد، مكبين على تلاوة الاسفار ومجتهدين بمطالعة الاخبار، دارسين مؤلفات المعلمين وباحثين مصنفات الآباء القديسين... وقد كلفني احدهم ان اجمع له كراسة وجيزة تحوي فصولاً عزيزة ونصائح فريدة تتضمن معاني سديدة، فانقدت الفقير لطلبته وجمعت له من امثال سليمان وحكمته تلك الفصول والقراطيس المدونة في كتاب النبوات... وبينت في تعريف الفصول الامكنة التي عنها منقول».

و — مجموعة امثال لبنان وبر الشام.

نحو اربعة آلاف مثل بعضها فصيح وبعضها عامي مأخوذة من الكتب المنزلة او الاحاديث او الحكمة الشعبية. مبوبة في نحو اربعين باباً على حسب معانيها الجامعة، كالكسل والصبر والعلم والبخل وما الى ذلك.

شرحها ونشر اكثرها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في المشرق السنة الثانية عشرة. عن نسخة عنده معنونة: «مختصر فاكهات البستان لنزهة الخواطر والاذهان من ديوان الخوري حنانيا المنير الراهب الحناوي الشويري رحمه الله».

ز — مجموعة مقامات.

استنسخ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن اوراق قديمة اربع مقامات

(١) *Théologie des Druzes, ou Abrégé de leur système religieux.* — Traduit de l'arabe. Avec texte arabe par Henri Guys. Paris 1863.

منها ووجدها « تدل على براعته وان كان قد نحا فيها نحو العامة في نثرها وشعرها مع مجون دعا اليه المقام في الطب وغيره ».

ح — ديوان شعر .

اكثره ضائع. الا ان بعض قصائده مذكور في محله من كتبه ولا سيما في الدر المرصوف كهجاء الجزار ومديح سليمان باشا . وقد وصف المرحوم الاب شيخو شعره بان « نظمه رقيق منسجم . بليغ المعاني وان لم يكن من النمط العالي. وهو دليل على ان صاحبه من ذوي العقول البارزة... ثم نشر امثلة من هذا الشعر في «المشرق» السنة الرابعة وفي كتابه « الآداب العربية في القرن الثامن عشر » الجزء الاول.

قرظه الشيخ عبدالله اليازجي ببيتين قال :

عش بالهنا والخير والرضوان يا من عنيت بنظم ذا الديوان .
اني لقد طالعته فوجدته نظماً فريداً ما له من ثاني[1]

والى القارئ هذه الابيات من رثائه للبطريرك اغناطيوس صروف سنة ١٨١٢ .

فعلام دمعي من عيوني يذرف والام لا برقا ولا يتكفكف
هل كابدت كبدي لظى لا ينطفي أم في حشاي لهيب نار يتلهف

يا شمس افق الشرق ذاع ضياؤه في الغرب اني شمس فخرك تكسف
يا رأس كهنة بيعة الله التقي ثبتت ايضاً في الاعالي اسفف
اواه ! واسفي ولوعاتي على من كل من يبدي به يتأسف
قسماً فلو يفدى لكنت فديته بالروح مرتاحاً ولا اتوقف .

٦

الدر المرصوف في تاريخ الشوف .

والاجدر ان يقال تاريخ السياسة اللبنانية مدى حكم الشهابيين . فحوادثه تبتدي مع : اول من تولى حكم جبل الشوف وجلس على كرسي دير القمر بشير الشهابي سنة ١١٠٩ (١٦٩٧)؛ وينتهي في حكم الامير بشير الثاني الكبير

١) راجع عيسى المطوف . في الثمرة الزهائية ١٩٦٣ ص ٦١ — ٦٥

سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) . وقلما يتعرض ، كما سنرى ، لغير سياسة الشهابيين وما يتبعها عن قرب او يمت اليها بسبب .

اما لماذا تقف حوادثه في هذه السنة بعينها ، مع ان حكم الامير بشير امتد حتى ١٨٤٠ ، ومع ان المؤلف عاش حتى سنة ١٨٢٣ ، على اقل تقدير ، فذلك امر لا سبيل الى البت فيه في الوقت الحاضر ، لقلة ما لدينا من المعلومات عن تفاصيل حياته ، كما اشرنا .. ولنقل هنا ان « تاريخ الرهبنة » يقف هو كذلك في سنة ١٨٠٤ (١٢١٩) .

واما دعاه « بتاريخ الشوف » لان مركز الامارة في دير القمر جعل من تلك المنطقة المسرح الطبيعي لاهم الحوادث السياسية والحربية . على انه لم يغفل الاشارة الى المهم من حوادث سائر المناطق . بل وسائر البلدان المجاورة كما قال في المقدمة : « وقد اقتصرت فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها واضفت اليها ما حدث في غيرها مما انتهى الى حدوثه فيها » .

ولهذا التاريخ ميزات يتفرد بها .

اولها الايجاز على غير اقلال . فقد جمع تاريخ اكثر من مئة سنة في ما لا يبلغ المئتين صفحة . وذلك انه حصر موضوعه في نقطة واحدة . وعرف كيف يتجنب التفاصيل النافلة وان يستغني عن سرد الوثائق الطويلة بتلخيص مضمونها.

نضيف الى ذلك صدق الرواية وصحة الاخبار والتدقيق في اختيار الاحاديث وتمحيص المعلومات . ولا سيما وهو يتكلم عن امور يجري اكثرها بالقرب منه .

اما المصادر التي استعان بها في جمع معلوماته فهي اولاً المعلومات العامة التي يستعين بها كل مؤرخ من مروية ومكتوبة . وثانياً احاديث ورسائل اخوته ابناء الرهبانية الشويرية . وكانوا اذ ذاك منتشرين في كل اقطار البلاد بين لبنان وسوريا وفلسطين ومصر . ومرجعهم الى دير مار يوحنا وسائر ادياره الرهبانية . وثالثاً مشاهداته العيانية . فهو كثيراً ما يصف اموراً رآها بذاته . وما احراه ان يقول في العديد من صفحاته ما قاله في معركة زحلة المار ذكرها . « وكنت الفقير هناك ارى واسمع » .

وهو ميله هذا ولا شك جعله يخصص جهده بالتاريخ المعاصر ، وان يضع ما لم يكن تحققه بذاته على مسؤولية اصحابه . كما نبه عليه في مقدمة الدر

المرصوف وفي مقدمة « تاريخ الرهبنة » ايضاً .

ولنذكر ايضاً تجرده وموضوعيته المحسوسة. وفراغ قلبه ، في سرد الامور ، من كل ميـل او هوى . فهو ليس شهابياً ، كالامير حيدر مثلاً ، ليتغرض للشهابيين – وفي الامكان ذكر امثلة تثبت هذا الفرق – ولا هو ينتسب الى حزب من احزاب زمانه ؛ ولا مصلحة له مع احد من ارباب الامر . وانما هو راهب قابع في صومعته وديره ، ينظر الى الامور من عل ، ويذكرها بتجرد. ويعبر عنهـا برصانة تامة . اللهم ! الا حين يبلغ الى الكلام عن الامير بشير الكبير فانه لا يستطيع ان يضبط اعجابه واعظامه . والا بعض حالات معدودة يكون الظلم فيها فاضحاً فلا يملك معه تأثراته ، كقوله مثلاً في حوادث ١٧٩٠ عن نصور التويني حين ضدد الامر بقتله انه « مضى الى لعنة الله » وعن فارس الدهان : « فالهم الله الجزار فقبض عليه » . وامثال تلك الحالات قليلة عنده .

اما تدقيقهُ فقد اشار اليه في المقدمة ايضاً حين قال انه كان يفحص « فحصاً حثيثاً عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور » . وهو يذهب فيه الى حد بعيد : الى حد ربما دفع القارئ الى الاهتمام احياناً . فانظر اليه يصف طغيان الجراد الذي مر بلبنان سنة ١٧٩٦ « وكان عاماً من بلاد صفد الى طرابلس » فيقول : « وكان قبل ذلك لم يترك في جميع الاراضي التي مر بها نباتا اخضر قط : الا غصناً دقيقاً من الدفلة على جانب نهر الضفا كان يجتمع عليه فيلتوي الى الماء . »

على ان هذا التدقيق خانه في بعض الاحايين . من ذلك قوله في وصف طاعون ١٧٨٤ «انه مات في مصر في ذلك الطاعون ما ينوف عن ثلاثين كرة.» (مع العلم ان الكرة كانت تساوي مئة الف).

واسلوب المنير الانشائي يتصف بالبساطة المقرونة بالمتانة والانسجام . وهذه الصفة هنا مخالفة لما يغشي على انشائه من بعض ركاكة في كتاب « تاريخ الرهبنة » . مما يدعو الى التوقف والتساؤل عن تفسير لمثل هذا التفاوت.

والذي نراه ان الامر يحتمل تفسيراً من اثنين. فاما ان المنير وضع كتاب « الدر المرصوف » بعد كتاب « تاريخ الرهبنة » – وهو الارجح – وكان الوقت قد اتاح له التمرس والتمكن من ضبط لغته وعبارته . واما ان الشيخ

ناصيف اليازجي مسح هذا الكتاب قبل نسخه ، بريشته الانيقة. وهو افتراض عنّ لنا وليس لدينا ما يثبته . وانما نعلم ان ناشري تاريخ الامير حيدر افترضا الشيء نفسه في ما يخص « الغرر الحسان. (المقدمة ص يج).

ومهما يكن من امر، فالدر المرصوف متين اللغة ، منسجم العبارة ، رشيق التركيب ، يستعذب المطالع متابعة قراءته.

٧

ولم يكن العناء كبيرًا في ضبط النص الذي ننشره. فمن بين نسخه الثلاث المعروفة لدينا ، نسخة عيسى المعلوف لا سبيل الى الاطلاع عليها الآن بسبب مرض الاستاذ المعلوف وبعده عن خزانة كتبه . بقيت نسخة المكتبة الشرقية وهي ناقصة من آخرها لا تخلو من مواضع فراغ في صفحاتها . الا ان نسخة المرحوم سليم رستم باز المأخوذة سنة ١٨٨٣ « عن نسخة قديمة بخط المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي » والتي عنها اخذت نسخة المكتبة الشرقية . تعد نسخة كاملة جميلة الخط . وان كانت لا تخلو من مواضع نقص وغموض في اوائلها خاصة . فعلى هاتين النسختين اذن نعتمد في اقرار النص ، معلقين عليه بعض حواش حين نرى ذلك ضرورياً.

الكلمات الدخيلة في العربية

بقلم الاب روفائيل نخله اليسوعي

ان العرب في تاريخهم الطويل وفتوحاتهم الكثيرة الممتدة على عدد كبير من اقطار اوربة وآسية وافريقية ، قد خالطوا عدة شعوب بمدة قرون وتعلموا لغاتها ، واقتبسوا من امدنها بعض العلوم والفنون . فنتج حتماً عن ذلك اندماج مئات كلمات من السنة تلك الاقوام في لسان العرب ، ولا سيما الناقصة في قاموسه .

لقد توخينا في هذه المقالة تقييد نتائج بحثنا المتعب عن اكثر تلك الالفاظ الدخيلة استعمالاً ، وترتيبها بشكل جداول انجدية على حسب اللغات التي اخذها العرب عنها ، مع بيان لفظ كل منها في اللسان الاصلي ، ولم نذكر معناها فيه الا اذا اختلف عن المعنى العربي . قد اختصرنا مقدمات تلك الجداول ، لان هذه جوهر مقالتنا ، ولم نُرد من جهة اخرى اطالة بحثنا الى حد الافراط .

من الواضح للخبراء ان معالجة هذا الموضوع شديدة الوعورة ، لان العرب ومن ورثوا لغتهم في العصور الاخيرة لم يدرسوا اصل الكلمات الدخيلة في لسانهم درساً علمياً ، كما فعل معظم شعوب اوربة ، ولم يعتنوا مثلهم في القواميس مصدر تلك الكلمات الا ندرةً ، مكتفين في الغالب بقولهم انها دخيلة . على كل حال لم يُخمد همتنا سلوك طريق غير ممهد في مجاهل موحشة ، بل بذلنا قصارانا لمعرفة اصل مئات من الكلمات الدخيلة ، ولم نُدرج منها في الجداول الآتية سوى ما ايقنا مصدره المباشر او رجحنا حقيقته ، تاركين في زوايا الاهمال ما لم نستطع تبين اصله .

الفصل الاول : بعض الكلمات المقتبسة من الفارسية

قد غزا العرب ايران بُعيد انتحالهم الاسلام ، فقتلوا سنة ٦٥١ ملكها ازدشير الثالث ، وفتحوا بلاده ونشروا دينهم بين اهاليها ، فدامت سيادتهم لذلك القطر ، بدرجات مختلفة من اتساع نطاقها ، نحو ستة قرون الى سنة

١٢٢٠ . تبل تلك الحقبة الطويلة كان الفُرس من امدن شعوب العالم ، ذوي ثقافة اعلى جداً من ثقافة العرب ، وقد نبغ مئات منهم في العلوم والآداب والفنون الجميلة ، ولا سيما النحت والتصوير الملون والموسيقى . فلا بدع بكون فاتحي بلادهم قد اقتبسوا حصة وافرة من ذلك التمدن واقترضوا من الكلمات الفارسية اكثر مما اقترضوه من سائر اللغات . نجد بين تلك الكلمات الآتي جدولها ، مما يدل على المعاني التالية وما يتعلق بها : ١٥ للطعام والشراب ، ١٥ لمواد الحياكة والملبوسات ، ١١ للبناء والمساكن ٩٦ للآنية ، ١١ للآلات ، ٢١ للحِرف والوظائف ، ٩ للموسيقى ، ١٢ للحيوانات ، ٣٩ للنباتات ، ١٤ للمعادن والكيميا ، الى غير ذلك مما هو اقل عدداً . لا نلقى ما يوازي هذه الكثرة مع شدة تنوع المعاني في الكلمات المقتبسة من لغة غير الفارسية .

من جهة اخرى يسهل على من قرأ بانتباه الجدول الآتي ان يلاحظ كون حرف الكاف في الكلمات الفارسية — وهو يُلفظ مثل الحرف g في الكلمة الفرنسية guerre — يكثر تحوله في لغتنا الى كاف او جيم . من امثلة التحول الاول ان لكن صارت لكَن ، وبازركان بازرگان ، وپركار پرگار . ومن امثلة الثاني ، وهو اشد تواتراً ، ان بادنكان صارت باذنجان ، وبنگ بنج ، وگلاب جُلّاب ، وگوهر جوهر . فنستنتج من ذلك ان العرب كانوا يلفظون الجيم مثل الكاف الفارسية ، كما يفعل المصريون في لغتهم العامية .

نلفت ايضاً نظر القُراء الى كون الهاء المنتهية بها آلاف كلمات فارسية — ولفظها يشبه ﻩ الفرنسية — تتحول في لغتنا على عدة وجوه . تصير تارةً تاء (روزنة من روزنه) وطوراً جيماً (بنفسج من بنفشه) او قافاً (دلق من دله) او قافاً وتاء (بوتقة من بوته) ، الى غير ذلك مما يطول شرحه .

إبريسم (حرير) من أبريشم .
إبريق من آبريز المركبة من آب (ماء) وريز جذر المصدر ريختن (سكب) .
آذربون (زهرة صفراء) من آذرگون āzargoun التي معناها الاصلي «بلون النار» فانها مركبة من آذر āzar (نار) وگون goun (لون)
أرجوان من أرجُوان .
ازدَرَخت (شجر) من آزاد دَرَخت . معنى آزاد حُر ، ومعنى درخت شجرة .
إسباناخ (البقلة المعروفة) من سِاناخ .
إسبيداج و إسفيداج (كربونات الرصاص الابيض اللون) من إسفيداج المشتقة من سَفيد (أبيض) .
استاذ من استاد ostâd .
أُسرُب (رصاص) من اسرب باللفظ ذاته .
اسطوانة (عمود) من استوانه ostovâné .
الإستانة (اسم إستنبول) من آستانه (عتبة) لان تلك المدينة قد عُدت كعتبة اوربة .
أنجر (رمساة) من لنگر .
إيوان من إيوان eïvân (رواق) .
بابوج من پاپوش (حذاء) المركبة من پا (رجل) وپوش جذر المصدر پوشيدَن (لبس) .
بابونج من بابونه .
بأج (ضريبة على الغنم) من باج (ضريبة) .
بادزَهر (عجسد مرضي كُروي او بيضي الشكل ، يتكون في بعض الحيوانات) من بادزَهر .
بأذَق (ما طُبخ من عصير العنب ادنى الطبخ) من باذه (خمر) .
باذنجان (البقلة المعروفة) من بادِنگان .
بازار (سوق) من بازار .
بازدار (حامل البازِ او نحوه في الصيد) من بازْدار المركبة من باز (بأز) واللاحقة (suffixe) دار (صاحب) .
بازرگان (تاجر) من بازارگان المركبة من بازار واللاحقة گان الدالة في الغالب على الاهلية لعمل من الاعمال .
باشا من پادشا (ملك) .
برسام (التهاب الحجاب الذي بين الثاب والكبد) من بَرسام المركبة من بر (صدر) وسام (التهاب) .
پركار (آلة ذات ساقين لرسم الدوائر) من پَرگار .
برنامج من برنامه (مثال يُقتدى به) .
بستان من بوستان المركبة من بو (رائحة) واللاحقة ستان الدالة على مكان يوجد فيه الاشخاص او الاشياء .
بِسْتخته (صندوق صغير) من پيش تخته (منضدة مستطيلة في مخزن او نحوه) المركبة من پيش (أمام) وتخته (منضدة) .
بمّ (اغلظ اوتار العود او اصواته) من بم اغلظ اصوات الغنى) .
بنج (نبات مخدّر) من بَنْك .
بنجرة (كرة المدفع) من پنجره pandjereh (نافذة) .
بند (فصل او فقرة في كتاب) من بند (قيد ، فقرة) .
بندر (ميناء ، مدينة بحرية) من بندر (ميناء ، مدينة تجارية) .
بُندُق من بُندُق .
بنفسج من بنفشه bénafché .
بُنْك (اصل الشيء) من بُنَك bonak (اساس) .
بهلوان من پهلوان (بطل ، شخص ممتاز بقوته) .
بوتقة وبودقة (وعاء تذاب فيه المعادن) من بوته .
بوريا (حصير من القصب) من بوري

(نوع من القصب ينبت في المستنقعات) .
بولاد من پولاد .
بَيدق (الماشي ' قطعة من التي يحركها اللاعبون بالشطرنج) من بيدق bédagh المشتقة من پيادہ piyâdé التي لها معنيا بَيدق .
بيمارستان (مستشفى) من بيمارستان المركبة من بيمار (مريض) واللاحقة ستان .
تخت (سرير ' عرش ملك) من تخت .
تنباكو من تنباكو (نبغ ايراني مختص بالنارجيلة) .
جام (كأس) من جام .
جاموس من جاموس التي اصلها گاويش ' وهي كلمة واحدة مركبة من گو (بقرة) وميش (نعجة) .
جبخانة (مخزن مواد الحرب) من جبه خانه djabékhané المركبة من جبه (درع) وخانه (بيت) .
جرموق (حذاء يلبس فوق غيره لوقايته من الطين) هي على المرجح من چرم (جلد مدبوغ) .
جزدان (محفظة الدراهم) من جزدان المركبة من جزء (قسم) واللاحقة دان الدالة على الاحتواء .
جزر (البقلة المعروفة) من گزر .
جلّ (ورد ياسمين) من گل gul (ورد) .
جلاب وجُلّاب (ماء الورد) من گلاب golab المركبة من گل (ورد) وآب (ماء) .
جُلنار (زهر الرمان) من گل نار المركبة من المضاف گل (زهرة) ' الذي علامته الكسرة في آخره ' والمضاف اليه نار (رمان) .
جلنجبين (معجون مصنوع بالورد والعسل) من گل انگبين golanguébin المركبة من گل (ورد) وانگبين angabin (عسل) .
حناح (ذنب) من گناه gounâh .
جندار (حرس ملك او امير) مشتقة على الارجح من جان (نفس) واللاحقة دار الدالة على صاحب الشيء او حافظه .
جنزار (خضرة تعلو النحاس) من زنگار .
جنزير (سلسلة) من زنجير .
جوالق وجوالق (كيس من صوف او شعر) من جوال djoval (كيس كبير) .
جوردب (لفافة الرجل) من جوراب .
جومك (مرتب موظف الحكومة) من djamégui (اجر) .
جوهر (كنه الشيء ' الحجر الكريم) من گوهر gowhar .
خام (نسيج من القطن غير مقصر ' اي غير مدقوق ومبيض) من خام (شيء ' غير منقى) .
خان (فندق حقير) من خان .
خانة (مقطع من الصوت في الموسيقى) من خانه (بيت) .
خديوي (لقب امراء مصر الحاضرين تسلطين تركية) من خديو khadiv (ملك ' امير) .
خردق (قطع كروية دقيقة من الرصاص) من خرده khordé (قطعة دقيقة) .
خشكار (خبز السحالة) من خشكار التي اصلها خشك (يابس) وآرد (طحين) .
خفتان (نوع من الثياب) من خفتان .
خندق من كنده (محفور) . . .
خواجه من خواجه khadjé (استاذ ' رجل ممتاز) .
خوان من خوان khân (مائدة) .
خوذة (ما يلبسه المحارب على رأسه ليقيه) من خود .
خيار (الشر المعروف) من خيار .
خيار شنبر (شجر له ثمر كالقرنبوب) من

حيار چنبر . معنى چنبر : حلقة ، دائرة .

دانگ (سُدس الدرهم) من دانگ dâng .

دبّوس (عصا من خشب او حديد ، في رأسها كُرة) من توپوز topoz .

دَربان ودربان (بواب) من دَربان المركبة من در (باب) واللاحقة بان الدالة على حافظ الشيء .

درويش (زاهد ناسك عند المسلمين) من درويش (فقير) .

دست (في التعبير « الدست لي » بمعنى غلبت ، المختص بلعب الشطرنج) من دست (يد ، انتصار) .

دستان (وتر من العود او نحوه) من دستان (لحن) .

دستجة (حزمة) من دسته ، مع اضافة اللاحقة چه الدالة على التصغير .

دستور (قاعدة) من دستور dostour .

دسكرة (ضيعة كبيرة) من دسكرة daskaré (مدينة ، حصن) .

دفتر من دفتر باللفظ ذاته (كتاب ، سجلّ حساب) .

دُكان من دكان dokkân .

دلَق (حيوان اصفر اللون بحجم القط) من دله dalé .

دُهقان ودِهقان (حاكم اقليم ، تاجر) من دِهقان (حاكم بلدة ، فلّاح) المركبة من ده (ضيعة) واللاحقة گان التي بمعنى ياء النسبة عندنا

دهليز من دهليز باللفظ ذاته ، وهي على الارجح مشتقة من دهله (جسر) .

دُوادار ودُرَيدار (كاتب) ترجح اشتقاقها من دَوات (دواة) واللاحقة دار الدالة على صاحب الشيء .

دُولاب ودَولاب (كل آلة تدور على محور) من دُولاب (ناعورة) المركبة من دول (سطل) وآب (ماء) .

ديباج (نسيج سداه ولحمته حرير) من ديبا (نسيج حرير مطرّز باسلاك ذهب او فضة) .

دَيدُبان (حارس) من ديدبان المركبة من ديد (نظر ، فحص) واللاحقة بان .

رانيج (صمغ الصنوبر) من رانيانج المشتقة من ῥητίνη rétini اليونانية .

راوَند (نبات) من راوند .

رخت (ما يوضع على الحصان من مرج ونحوه) من رخت .

رزدق (صف من الناس او النخل) من راسته (صف) .

رهنامج (كتاب يهتدي به الملاحون في البحر) من راهنامه (كتاب يدل على الطريق) المركبة من راه (طريق) ونامه (كتاب) .

رهوان (حصان معتدل السير) من راهوار (معتدل السير) المركبة من راه واللاحقة وار الدالة على ميزة شخص او شيء .

روزنامة من روزنامه المركبة من روز (يوم) ونامه (كتاب) .

رَوزنة ورَوشن (كوة) من روزنه rowzané (نافذة) .

زرفين (حلقة من الشعر) من زُرفين .

زركش (طرّز بخيوط او اسلاك ذهبية) من زركش (نسيج فيه خيوط او اسلاك ذهبية) المركبة من زر (ذهب) وكش جذر المصدر كشيدن kéchidan (جر) .

زلزلت : راجع ازدرخت .

زنجار (صدأ النحاس) من زَنگار .

زنجبيل (نبات) من زنجبيل zandjébil

زنجَفر وزُنجُفر (معدن متفتت احمر) من زنجَرف المشتقة من ζιννάβαρι kinnavari اليونانية .

زيج (خيط البنّاء) من ريكْ .
ساذج (بسيط) من ساده .
سختيان (جلد الماعز المدبوغ) من سختيان باللفظ ذاته .
سُرادق (خيمة) من سُرادق (حائط او حاجز من نسيج غليظ حول خيمة) .
سرجين (زبل) سَرگين .
سرداب (بناء تحت الارض) من سَرداب وهي مركبة من سرد (بارد) وآب (ماء) ، ومن معانيها مستودَع جليد .
سرسام (التهاب في حجاب الدماغ) من سَرسام المركبة من سر (رأس) وسام (التهاب) .
سرّق (شُقق من الحرير الابيض) من سره saré (الجيّد من البضائع) .
سرقين (زبل) من سَرگين .
سرموج (نوع من الاحذية) من سرموزه .
سروال من شلوار .
سُفتجة (كمبيالة في لغة لبنان ومصر العامية) من سِفْت (متين ، مُحكَم) .
سكباج (مرَق يُصنع باللحم والخل) من سركه با serkéba المركبة من سركه (خل) وبا (مرَق) .
سلاحدار (حامل السلاح) من سلاحدار التي تدل فيها الخاتمة دار على صاحب الشيء .
سلجم (نبات) من شلغم .
سُلحفاة مشتقة على الارجح من سُولاخ پاي ، وهي كلمة ممانة مركبة من سولاخ (ثقب) وپاي (رِجل) تدل على ان ارجل السلحفاة تظهر خارجة من ثقوب غلافها العظمي .
سمنجوني (بلون السماء) من سمانكونه المركبة من سمان (السماء) وگونه gouné (لون) .
سميذ (دقيق ابيض) من سميد (حجر ابيض) .
سنباذج (حجر المسَن) من سُنباده .
سُنبُك (طرف حافر الحصان ونحوه) من سُنبُك ، معرّب سُم (حافر) .
سنبوسَق وسنبوسك من سنبوسك .
سنجة (ما يوزن به كالرطل) من سنجه (وزن) .
سنديان من سنديان sendiyân .
سيخ (سكين كبير) من سيخ (سفّود : حديدة يشوى بها اللحم) .
سيرَج (دهن السمسم) من شيره (عصير) .
سيكاه (لحن من الحان الموسيقى) من سه گاه (علامة او لحن في الموسيقى الايرانية) المركبة من سه (ثلاثة) وگاه (زمان او مكان) ، ومعناها المقام الثالث .
شاكري (اجير ، مستخدَم) من چاكَر (عبد) .
شاه (ملك ؛ هي ايضاً اسم بيذق في لعب الشطرنج) من شاه .
شاهَ بلّوط (شجر الكستنة في لهجة لبنان) من شاه بلوط بدون تشديد اللام ، المركبة من شاه وبلوط (سنديان) .
شاه بندر (رئيس التجار) من شاه بندر (قنصل ، مدير او موظف في مركز كمرك) المركبة من شاه وبندر (ميناء ، مدينة تجارية) .
شاهين (طير من جنس الصقر) من شاهين .
شبيط (نبات كالسمرة) من شود chéved
شِطرنج من شطرنك المركبة في الاصل من شش chech (ستة) ورنك (لون) دلالةً على كون القطع التي يحركها اللاعبون من ستة انواع .
شمدان من شمدان التي تدل فيها اللاحقة

دان على الاحتواء .
شَندر وشندور من شُفُندر chofondor (سلق) . هذان النباتان من نوع واحد .
شهتَرَج وشاهتَرج (نبات) من شاهترَه المركبة من شاه وتره taré (كرّاث) .
شوبك (خشبة يسوّى بها الزغيف قبل خبزه) من چوبك tchoubak مصغّر چوب (قضيب) .
شَوكران وشَيكران (نبات سامّ يشبه البقدونس) من شوكران choukrân .
شيرَج : راجع سيرَج .
صابون من صابون .
صاروج (الكلس واخلاطه) من ساروج (ملاط) .
صرم (جلد مدبوغ) من چرم tcharm .
صرنايَة (آلة طرب) من زرنا zornâ .
صك (كتابة للاعتراف بدين او غير ذلك) ترجع اصلا من چك tchak (جملة مكتوبة) .
صنار وصنّار (شجر الدلب) من چنار tchénâr
صنج (آلة طرب) من سنج .
صَوبج وصَوبج : راجع شوبك .
صَولجان من صولجان sowladjân .
طاق (بناء بشكل قوس) من طاق .
طابَر (سلاح بشكل فأس) من تَبَر (فأس) .
طَبرزذ (السكر الابيض الصلب) من تبرزد .
طبرزين (سلاح بشكل فأس) من تبرزين .
طِراز (نمط) من تراز téräz (هيئة) .
طربوش من سربوش المركبة من سر (رأس) وپوش جذر المصدر پوشيدَن (لبس) .
طرخون (نبات) من ترخون .
طست (اناء من نحاس لغسل الايدي) من طشت .
طُنبور (آلة طرب باوتار نحاسية) من تنبور (عود) .
طواشيّ (خصيّ) من طواشي .
فالوذَج (حلوى من دقيق وماء وعسل) من فالوده (شراب مصنوع من النشاء المخثّر والمصور بشكل خيوط) . فالوده مشتقة من پالوده (مصور) .
فِرزان (الملكة في لعب الشطرنج) من فرزين .
فرسخ (مقياس لطول المسافات) من فَرسَنك .
فرمان (امر سلاطين تركية للولاة) من فرمان (امر ، امر مالك) .
فِرند (نوع من الثياب) من پرند parand (حرير موشّى او متموج اللون) .
فستق[1] من پسته pesté .
فنجان من پنگان pengane .
فهرس من فهرس باللفظ ذاته (جدول ، جدول مواد كتاب) .
فولاذ من پولاد .
فيلجة (بيت تنسجه دودة الحرير) من پيله .
قبج (طير يشبه الحجل) من كبك (حجل) .

---

١) كون الكلمة فستق من اصل فارسي لا يناقض تأكيدنا في مقالة سابقة ان لغات اوربة قد اقتبستها من العربية . البرهان على ذلك ان اسمها pistache في الفرنسية ، pistacchio في الايطالية ، pistachio في الانكليزية ، fistachka في الروسية ، fistiki في اليونانية الخ ؛ وكل هذه الاسماء اشبه بفستق منها بالاصل الفارسي pesté . هذه الملاحظة تنطبق على عدة كلمات عربية اخرى .

قَمقم (قنينة لماء الزهر او نحوه) من قُمقمه .
قند (عسل قصب السكر المجمَّد) من قند (سُكر) .
قهرمان (وكيل ، وكيل الدخل والخرج) من قهرمان (محارب ، بطل) .
قيروان (قافلة) من كاروان kārvâne المشتقة منها الكلمة الفرنسية caravane .
كاخية (معتمد الوالي وكاتم اسراره) من كُدخُدا (حاكم مدينة) .
كاغد وكاغَد (الورق الذي يُكتب عليه) من كاغذ kâghaz .
كامَخ (إدام) هي على الارجح من كامه kâmé المائة .
كرباس (ثوب خشن) من كراس (نسيج خشن من القطن) .
كُرْبج (حانوت) من كُوبه المائة .
كُرج الشيء جيئة المُهر يُلعب عليه) من كُرَيّ (القسم الثاني في مقدم السرج) .
كُشتُبان مِن انگشتوانه angochtvâné المركبة من انگشت (اصبع) واللاحقة وانه المحرَّفة عن بان الدالة على حفظ الشيء او حراسته .
كشك (ماء الشعير) من كشكاب .
كوشك (قصر) من كوشك (بيت ، قصر) .
كمر (بناء فيه عقد) من كمر (منطقة) .
كمنجة من كمانچه .
كُنار (نبق ، وهو ثمرة شجرة السدر) من كُنار (سدر) .
كهرباء من كهربا المركبة من كاه (قش) وربا جذر المصدر ربودن roboudane (خطف الشيء ، الذهاب به) ، دلالةً على اجتذاب الشيء المكهرَب للقش .
كوخ وكاخ المائة من كاخ (مسكن ، دار ، قصر) .
كوز (اناء كالابريق واصغر منه) من كوزه .
كوسج (الذي لحيته على ذقنه ، لا على العارضين) من كوسه (خفيف اللحية) .
لازَورد (معدن يُتخذ للحلى) من لاجَورد .
لعل (حجر كريم احمر) من لعل .
لگن (اناء من نحاس للغسل والعجن) من لگن lagane .
لوزينج (حلوى كالقطائف تُؤدم بدهن اللوز) من لوزينه lowzîné .
ليمون من ليمون .
ليوان : راجع ايوان .
مانج (آلة يطين بها) من ماله .
مالق (مالج ، خشبة عريضة تسوّى بها الارض) من ماله .
مردقوش (نبات عطري) من مُرزنگوش المركبة من مُرز (قأدة) وگوش (أذن) ، أسماها الحرفي اذن الفأرة .
مرزُبان (والٍ عند الايرانيين القدماء) من مرزبان المركبة من مرز (ارض) واللاحقة بان الدالة على حفظ الشيء او السهر عليه .
مهتار ومهتر (امير ، والٍ) من مِهتر (اكبر ، اكبر سنا ، رجل عظيم) ، وهي بمعنى افعل التفضيل من مه meh (كبير ، متقدم في السن) .
مومياء (جثة محنطة على طريقة المصريين القدماء) من مِيوميا (حنوط) المرجح اشتقاقها من مُوم (شمع ، مادة عطرية) .
نارَجيل (جوز هندي) من نارگيل .
نارَنج ونرنج من نارنج .
ناي (آلة طرب) من ناي (قصبة ، آلة طرب بالمعنى العربي) .
نرجس من نرگس .

نرد (لعبة تسمى الطاولة في لهجتي لبنان ومصر) من نرد .
نسرين (ورد ابيض عطري الرائحة) من نسرين .
نشا ونشاء (مادة مستخرجة من الحنطة) من نشاسته néchasté .
نشادر (مادة قلوية) من نشادر néchâder
نصبرشت (مشوي نصف شيّ) من نيم برشت المركبة من نيم (نصف) والمصدر برشتن (شيّ) المقتضب .
نوروز (اول يوم من السنة الشمسية عند الايرانيين) من نوروز nowrouz ، المركبة من نو (جديد) وروز (يوم) .
نيزك (رُمح قصير) من نيزه nizé (رمح) .
نيلج ونيلنج (دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضرّ) من نيله .
نيلوفر ونينوفر (نبات مائي) من نيلوپر التي ترجع انها مركبة من نيل (نبات يستخرج منه صبغ ازرق) وپر (جناح)، فيكون معناها الحرفي ذو جناح نيلي .
هنداز (قياس) من أندازه .
هندسة من أندازه .
هندام (حُسن القامة) من أندام (قامة) .
يارَج (السوار ، حلية النساء) من ياره .
ياسمين من ياسمين باللفظ ذاته .
يشب (حجر كريم) من يشب باللفظ ذاته .

الفصل الثاني : بعض الكلمات المقتبسة من اليونانية

لم يفتح العرب بلاد اليونان ، بيد ان كثيرًا منهم قد خالطوا على توالي الاجيال فئة من اكبر فلاسفتها وسائر علمائها بقراءة مؤلفاتهم في لغتها الاصلية او في ترجمتها السريانية . وقد نبغ بينهم الفارابي ، المتوفى سنة ٩٥١ ، الذي طالع كل كتب ارسطاطاليس ونشرها مع كتب افلاطون لمعاصريه وشرحها لهم ، ثم ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧) واضع كتاب الشفاء في ثمانية عشر مجلدًا جمل فيها خلاصة العلوم الفلسفية .

من جهة اخرى قد ظلت اليونانية العامية مدةً طويلةً بعد نشأة النصرانية ، لغة يتكلم بها وبلغاتهم الخاصة اهالي جميع اقطار الشرق الخاضعة للرومان وقسم كبير من اهالي الغرب ، ولذلك قد كُتبت بها كل اسفار العهد الجديد ، ما عدا الانجيل القديس متى المكتوب بالآرامية . فلا بدع بكون نصارى سورية ومصر وغيرهما من بلاد الشرق الادنى التي فتحها العرب ، فصاروا ينطقون بلغة الضاد ، قد اقتبسوا من اليونانية عشرات الكلمات المختصة بدينهم .

نجد بين الكلمات اليونانية الآتية ، المندمجة في لساننا ، مما يدل على المعاني التالية : ٢٨ مختصة بامور مسيحية ، ٢٨ بالنباتات ، ٨ بالحيوانات ، ١٣ بالمعادن والكيمياء ، ٢٠ بالفلسفة وسائر العلوم .

هاكم بعض الملاحظات على شيء من غرائب التغير الحادث لتلك الالفاظ اليونانية عند تعريبها. كثيرًا ما اضيفت همزة الى المبتدئات منها بحرف ساكن، كما نرى في اسطول، اسفنج، إسكيم، اقليم، إقليد، اكليرس. حرف χ اليوناني، الذي يلفظه المعاصرون كالخاء او بما يشبه الشين، على حسب موقعه، يتحول في لغتنا الى شين (ابرشية، افشين، بطرشيل، شدياق)، او خاء (أخيون، خلقين، ملوخية)، او هاء (درهم)، او كاف (إسكيم، كندُر، كيلرس)، او قاف (انقليس، قلرن)، او جيم (منجنيق). اما حرف κ الملفوظ كالكاف، فكثيرًا ما يصير قافًا كما نرى في فندق، قانون، قرميد، قُلقاس، قِلّيَة، قُنبيط، قُنــداق، قندلفت، قنديل، اسقف، اغاريقون، اقاقيا، اقليم، اقنثوس، اوقيانس، ايقونة، بطاقة.

ابرشية من eparchiya ἐπαρχία (ولاية، اقليم).

إبريز (ذهب خالص) من ὄβρυζον ovrizon.

ابنوس (شجر) من ébénos ἔβενος.

اثير (مادة لا تقع تحت الوزن، منتشرة في كل الفضاء) من éthir αἰθήρ (هواء اعلى طبقات الجو).

أخطبوط (حيوان) من ὀκταπόδης oktapodhis التي معناها الحرفي ذو ثماني ارجل.

أرغن من orghanon ὄργανον.

اخيون (نبات) من échion ἔχιον.

ارثذكسي من ὀρθοδόξος orthodhoxos (صحيح الايمان).

ارز (نبات) من oriza ὄρυζα.

اركون (رئيس) من arkhon ἄρχων.

اسطُرلاب (آلة فلكية) من ἀστρόλαβος astrolavos.

إسطقس (عنصر من عناصر الكون الاربعة عند الاقدمين) من στοιχεῖον stichiyon.

اسطول من stolos στόλος

إسفنج من sponghos σπόγγος

اسقف من épiskopos ἐπίσκοπος

إسقنقور (نوع من الضب) من σκίγκος skingos.

إسكيم (ثوب الراهب او ما يلبسه على رأسه) من skhima σχῆμα (شكل، زي؛ وفي اليونانية الحديثة ثوب راهب).

اغاريقون (نوع من الفطر) من ἀγαρικόν agharikon.

إفسنتين (نبات) من apsinthion ἀψίνθιον.

١)- قد دللنا على لفظ الكلمات اليونانية بالحروف اللاتينية، كما يلفظ بها الآن اهل اليونان، وذلك لاختلاف آراء العلماء في شأن لفظ اليونانيين القدماء. الحرفان dh يُلفظان كالذال، th كالثاء، gh كالغين، kh كالخاء.

اقشين (اسم يعني الصلوات) من εὐχή eíchi (صلاة) .

افندي من αὐθέντης alithendis (سيد امير) .

افيون من ὄπιον opion .

اقاقيا (شجر) من ἀκακία akakiya .

إقليم من κλίμα klima .

اقنثوس (نبات) من ἄκανθος akan-thos .

إكليد او إقليد (مفتاح) من κλείς klis .

اكليرُس من κλῆρος kliros .

الماس من ἀδάμας adhamas .

الُوَة (نبات) من ἀλόη aloī .

إنجيل من εὐαγγέλιον évangélion (بشارة) .

انقليس وانكليس (سمكة بشكل حية) من enchélis ἔγχελυς المشتقة من الكلمة اللاتينية anguilla (حية صغيرة) .

انيسون (نبات) من ἄνισον aniçon .

اوقيانس من ὠκεανός okéanos .

اونقيّة من οὐγγία ounghiya .

اوكسيجان من ὀξυγόνον oxighonon .

ايقونة من εἰκών ikon .

ايكونوستاس من εἰκονοστάσιον ikonostasion .

بابا (الحبر الاعظم) من πάππας pappas (اب ، في لغة الاطفال) .

بارود من πυρίτης piritis (من نوع النار ، مزيج كيماوي للكبريت بمدن) .

بـال (حوت) من φάλαινα faléna المشتقة منها baleine الفرنسية .

بامية (بقلة) من βάμια bamia .

برج (بناء) من πύργος pirghos .

برفير (ارجوان) من πορφύρα porfira .

بطاقة على الارجح من πιττάκιον pitta-kion (لوح رقيق للكتابة) .

بطرشيل من πετροχήλι pétrakhili المركبة في الاصل من السابقة ὀpi ἐπι (فوق) و τράχηλος trakhilos (عنق) .

بطريرك من πατριάρχης patriarkhis .

بقدونس من μακεδονήσι makédho-nici .

بنس (شجر) من πύξος pixos .

بيرمون من παραμονή paramoni .

بِطار من πεταλὰς pétalas .

ترمس من θέρμος thermos .

ترياق (دواء يدفع السموم) من θηριακός thiriakos (دواء لمعالجة عضة الوحوش) المشتقة من θήρ thir (وحش) .

تلغراف من τηλεγραφεῖον tiléghra-fiyon المركبة من السابقة τῆλε tilé (الى مكان بعيد) و γράφειν ghra-fein (كتابة) .

تلفون من τηλέφωνον tiléfonon المركبة من السابقة المشار اليها و φωνεῖν fonein (تكلم) .

جاثليق (متقدم الاساقفة) على الارجح من katholikos καθολικός (عام) دلالة على كون رفعة مقامه او سلطته عامة .

جغرافية من γεωγραφία yeoghrafiya .

جمشت (حجر كريم) من ἀμέθυστος améthistos .

جنس من γένος yénos .

جيولوجية من γεωλογία yéoloyiya .

حوت (سمك كبير جدا) من κῆτος kitos .

حلقين (مرحل كبير) من χαλκεῖον khalkion (شيء مصنوع بالنحاس).
خورس (محل الكنيسة المختص بترتيل فرض الكهنة) من χορός khoros (غناء في تمثيل مأساة) .
خوري من ἱερεύς yèrefs (كاهن) .
دُرّاقن (نوع من الخوخ) من ῥοδάκινον rodhanikon .
درهم من δραχμή dhrakhmi (وحدة وزن ، قطعة نقد) .
دفلى (نبات) من δάφνη dhafni (غار).
دُلفين (سمك) من δελφίν dhelfin .
زرنيخ من ἀρσενικόν arsènikon التي معناها الاصلي « مختص بالذكور » مما يدل على قوة مفعول الزرنيخ .
زُمرّد من σμάραγδος zmaraghdhos .
زُنار من ζωνάρι zonari .
زيزفون من ζιζυφιά zizifia (عنّاب)[1].
سفسطة من σόφισμα sofizma .
سنكسار (مجموع سير القديسين) من συναξάριον sinaxarion .
سيماء (علامة) من σῆμα sima .
سينودُس (مجلس كنسي) من σύνοδος sinodhos (مجلس) .
شدياق (شماس انجيلي) من ἀρχιδιάκονος archidhiakonos .
شرطنَ (رقّى شخصاً الى رتبة من الرتب الكنيسة) من χειροτονῶ chiro-tòno .
طغمة (جماعة) من τάγμα taghma (فرقة عسكرية) .
طقس (بالمعنى الكنسي) من τάξις taxis (ترتيب) .
طِلسم من τέλεσμα télezma (قبول اشتراك شخص في طقوس سرية لبعض الاديان الوثنية القديمة) .
فانوس من φανός fanos .
فسفور من φωσφόρος fosforos .
فلسفة من φιλοσοφία filoçoliya .
فنار (مشعل ، منار) من φανάρι fanari (مصباح) .
فُندُق من πανδοκεῖον pandhokiyon .
فيلسوف من φιλόσοφος filoçofos .
قانون (قاعدة) من κανών kanon .
قُبرُس (اجود النحاس) من Κύπρος Kipros (جزيرة قبرس) .
قرميد من κεραμίς kèramis .
قرنفل من καρυόφυλλον kariofillon .
قُلقاس (نبات) من κολοκασία kolo-kaciya .
قلم من κάλαμος kalamos (قصب) .
قلمون (حيوان) من χαμαιλέων khaméléon المركبة من χαμαί khamé (على الارض) و λέων léon (اسد) .
قلّية (حجرة نامك او راهب) من καλιά kalia (كوخ) .
قُنّب من κάνναβος kannavos .
قُنّبيط (نبات) من κουνουπίδι kou-noupidhi .
قُنداق (نص قصير حاوٍ مختصر موضوع العيد اليومي في بعض الطقوس) من κοντάκιον kondakion .
قندلفت من καντηλάφτης kandi-laftis ، التي معناها الحرفي مُشعل القناديل .

---

١) يتضح للقُراء تغير معنى الكلمة اليونانية بعد انتقالها الى لغتنا .

قنديل من κανδήλα kandila (مصباح زيتي) .
قيثارة (آلة طرب ذات اوتار) من κιθάρα kithara .
قيراط من κεράτιον keration ، التي معناها الخرنوب قرن صغير .
كاتدرائية من καθέδρα kathedra (كرسي) لان الكاتدرائية كنيسة الكرسي الاسقفي .
كاثوليكي من καθολικός katholikos (عام) لان الكنيسة الكاثوليكية تضم العالم .
كُرُنب (نبات) من κράμβη kranvi .
كِنّارة (نوع من العود) من κινύρα kinira .
كُندُر (نبات) من χονδρίς khondhris .
كيلوس (عصير الاطعمة المهضومة) من χυλός khilos .
لُبان (كُندُر) من λίβανος livanos .
لوياء (نبات) من λουβί louvi (بِسْنة وهي الفطاء المستطيل الذي فيه حب بعض النباتات) .
مِتر من μέτρον métron (قياس) .
مجوسي من μάγος maghos (ساحر ، كاهن من كهنة ايران القدماء) .
مرمر من μάρμαρον marmaron .
مصطكى (شجر) من μαστιχιά mastikhia .
مغناطيس من μαγνήτης maghnitis .
ملنخوليا (السوداء) من μελαγχολία melankholiya (السوداء) و μέλας mélas (مرّة الكبد) .
مُلوخيّة (نبات) من μολόχη molochi .
منجنيق (آلة حربية لرمي القذائف) من μηχανικός mikhanikos (ميكانيكي) المشتقة من μηχανή mikhani (آلة حربية) .
ميرون من μύρον miron .
ميكروب من μικρόβιον mikrovion .
ميل من μίλιον milion (الميل الروماني بطول الف خطوة) المشتقة من الكلمة اللاتينية mille (الف) .
ناووس (حجر منقور لدفن ميت ، مقبرة النصارى) من ναός naos (معبد ، كنيسة) . ربما كان سبب تطور معنى الكلمة العربية وجود معبد في المقابر .
نردين (نبات) من νάρδος nardhos .
نطرون (مادة كيماوية) من νίτρον nitron .
نفط من νάφθα naftha .
نوتي من ναύτης naftis .
هالة (دائرة تحيط احيانًا بالقمر) من ἅλως alos .
هدروجان من ὑδρογόνον idhrogonon .
هرطقة من αἵρεσις érécis .
هرطوقي من αἱρετικός érétikos .
هيولى (المادة في الفلسفة) من ὕλη ili .

الفصل الثالث : بعض الكلمات المقتبسة من السريانية

اللغة الآرامية الغربية ، المشتق اسمها من آرام ، اسم سورية في العبرانية ،

قد انتشرت بلهجات مختلفة في الاناضول ، سورية ، لبنان ، فلسطين ، مصر وشبه جزيرة العرب ، ولا يزال يتكلم بلهجاتها الجديدة اهل ضيعة معلولا الواقعة في شرق دمشق وسكان بقعة من العراق مجاورة لمدينة الموصل واهالي ناحية اورمية في ايران . السريانية لهجة من لهجات الآرامية الغربية ، وقد بلغت آدابها اوج الكمال من القرن الثالث الى الثامن . في تلك الحقبة كانت لهجة الرها[1] السريانية اللغة الادبية الوحيدة لكل نصارى الشرق الادنى . ثم ضاق نطاقها شيئاً فشيئاً بعد الفتح العربي ؛ فصارت لغة كنسية ، لا غير ، تتلى بها بعض صلوات القداس في طائفتي الموارنة والسريان . حين الفتح العربي كان ادباء سورية دائبين على ترجمة اشهر مؤلفات اليونانيين الى السريانية ، وقد حفلت ادياره رهبانهم بتلك الترجمات النفيسة ، فتردد اليها كثير من ادباء العرب ونقلوا الى لغتهم قسماً كبيراً من كنوزها .

مع ذلك لم تخلف السريانية مئات الكلمات الا في لغة لبنان العامية ، وقد ذكر كثيراً منها الخوري يوسف حبيقه في الجزء الثالث من مجلة المشرق لسنة ١٩٣٩ . اما العربية الفصحى فلم تقترض من السريانية سوى عشرات الالفاظ. في الجدول التالي نجد منها ٢١ مختصة بالدين المسيحي ، و١٠ لتسمية اشهر السنة لم تنتشر في مصر . لدقة الدلالة على لفظ تلك الكلمات وعبرها قد استعملنا الابجدية اللاتينية المضافة اليها عدة حروف مختصة باللغات السامية ، وهي التي استحسنها معظم المستشرقين .

آب (الشهر) من ʾāb .	bo'outo (صلاة ، طلب) .
الآب (في الثالوث الاقدس) من ʾabā .	برّاني (خارجي) من ḥūṣā baroyo .
آذار من ʾūḏā odor .	برشان من فورشون fourchon (نقدمة ، خبز القربان المقدس) .
اقنوم (شخص) من qnūmā qnoumo .	ترعة (قناة عميقة) من ʾarḥā tour'to .
ايّار من ʾiyyār iyor .	تشرين من tešrīn techrin .
ايّل (حيوان) من ʾaylā ailo .	تلميذ من talmīḏā talmido .
ايلول من ʾaylūl ailoul .	تموز من tammūz tamouz .
باعوث (صلاة لثاني عيد الفصح) من ḥuḥmā	

١) الرها مدينة قديمة عتية توجد آثارها في جنوب تركية الشرقي ، وقد صار اسم المدينة الواقعة بقرب تلك الاثار اورفا .

تنّور من ܬܢܘܪܐ tanouro .
حبْرون وجبْروت (قدرة عظيمة) من ܓܒܪܘܬܐ gaboronto .
جَوّاني (داخلي) من ܓܘܐ gawoyo .
حزيران من ܐܝܪ izirone
دشْن (اعطى) من ܕܟܝ dachen .
دُمْية (صورة ، صنم) من ܕܡܘܬܐ dmouto .
دنح (عيد الغطاس) من ܕܢܚܐ denho (إشراق ، ظهور) .
دَير من ܕܝܪܐ daïro (مسكن ، دير) .
رسْم (كتب) من ܪܫܡ reham (رسم ، كتب) .
زبون من ܙܒܘܢܐ zobouno (مشتر) .
زفَر (اكل اللحم) من ܙܦܪ zfar (توسخ[1]) .
زيّاح (زياح القربان او غيره) من ܙܘܝܚܐ zouyoho (تطواف) .
زيّح (زيح القربان او غيرهِ) من ܙܝܚ zayah (طاف) .
سكّر الباب (اغلقه) من ܣܟܪ skar (اغلق) .
سُلّاق (عيد صعود السيد المسيح) من ܣܘܠܩܐ souloqo (صعود) .
سليح (رسول) من ܫܠܝܚܐ chliho .
شباط من ܫܒܛ chbot .
شيّت (كافل الطفل في العماد ، شاهد سر الزواج) من ܫܘܫܒܝܢܐ chouchbino .
شحيم (كتاب فرض الكهنة عند الموارنة والسريان) من ܫܦܝܡ chhimo (بسيط) .
شلّح (عرّى) من ܫܠܚ chalah .
شمّاس من ܫܡܫܐ chamocho (خادم) .
صنم من ܨܠܡܐ salmo (صورة ، صنم) .
عربون من ܥܪܒܘܢܐ 'arbouno (كفالة ، رهن) .
عمّد (منح سر العماد) من ܐܥܡܕ a'med (اغطس ، عمّد) .
قدّان وقدّان (ثوران يُقرنان للحرث) من ܩܕܢܐ fadono .
قرزل (قيد) من ܩܪܙܠܐ farzlo (حديد ، آلة من حديد ، قيد) .
قُبّعة من ܩܒܥܐ qoub'o .
قُدّاس من ܩܘܕܝܫܐ qoudocho .
قسّيس من ܩܫܝܫܐ qachicho (شيخ ، كاهن) .
كانون (شهر) من ܟܢܘܢ konoun .
كبرح (بيت ناسك او راهب) من ܟܘܪܚܐ kourho (كورخ ، مسكن حبيس) .
كرْفس (نبات) من ܟܪܦܣܐ krafso .
كنيسة من ܟܢܘܫܬܐ knouchto (اجتماع ، جمع ، كنيسة) .
كهنوت من ܟܗܢܘܬܐ kohnouto .
لاهوت من ܐܠܗܘܬܐ alohouto .
مار (بمعنى قديس) من ܡܪ mor (سيّد) .
مطران من ܡܛܪܢ metran .
مُعمّدان (القديس يوحنا معمد السيد المسيح) من ܡܥܡܕܢܐ ma'mdono .
معمودية من ܡܥܡܘܕܝܬܐ ma'moudito .
ملفان من ܡܠܦܢܐ mallono (استاذ ، معلّم) .
ملكوت من ܡܠܟܘܬܐ malkouto .
ميمر (ترتيل قبل قراءة الرسائل في القداس الماروني) من ܡܐܡܪ mimar (عظة ، نشيد ، كتاب) .
ناسوت (طبيعة السيد المسيح البشرية) من ܐܢܫܘܬܐ nochouto .

1) سبب التوسخ هنا ما يبقى في الاصابع من آثار اللحم .

باطور (حارس الكرم او غيره) من נָטַר natour (حارس) .
ناقوس (قطعة طويلة من حديد او خشب يضربونها لدعوة النصارى الى الكنائس ، وقد استعملت هذه الكلمة بمعنى جرس) من נָקַע noqouche (جرس صغير) .
نبراس (مصباح) من נֹחַם nabrechto
(ذو) نيب شمعدان ذو عدة فروع) .
نيسان من נִסָּן niçon .
يبروح (نبات اللفاح البري) من מַחֲמָל yabrouho المركبة من מַי (ماء) وחֹמֶל (روح) ، وهما بمعنى منشّ او منبّه دلالةً على خواص اليبروح الطبية .
يوناني من יָוָן yawnoyo .

﴿ الفصل الرابع : بعض الكلمات المقتبسة من لغات اخرى ﴾

القسم الاول : بعض الكلمات المقتبسة من العبرانية

لم يكن للعبرانية تأثير يذكر في القاموس العربي ، فما اندمج منها فيه سوى كلمات قليلة يدل اكثرها على امور مختصة باليهود ودينهم . قد دلنا على لفظها الاصلي بالحروف اللاتينية لزيادة فائدة قراء المشرق الذين يجهلون الابجدية العبرانية .

افود (ثوب يلبسه الكهنة اليهود في بعض الاحتفالات) من אֵפוֹד efod .
آمين من אָמֵן amèn (في الحقيقة ، على وجه اكيد ، فليكن هكذا) .
اسرائيل هو الاسم المنسوب الى اسرائيل بن اسحاق ، وهو من יִשְׂרָאֵל yisràel .
تلمود (مجموعة تقاليد العلماء اليهود في شرح شريعة موسى) من תַּלְמוּד talmoud (تعليم) .
توراة من תּוֹרָה tora (شريعة ، تعليم) .
جهنم من גֵּי הִנֹּם gué Hinnom (وادي هِنّم) . هذا الوادي في جنوب اورشليم ، وقد كثر فيه قبل مجيء السيد المسيح احراق الاطفال في النار تضحيةً بهم لمولوخ اله العمونيين .
حاخام (كاهن يهودي) من חָכָם hâkhâm (رجل عاقل ، فيلسوف) .
سارو فيم (طبقة من طبقات الملائكة) من שְׂרָפִים seuràfim ، التي معناها الاصلي الاشراف .
سبت من שַׁבָּת chabbâth (يوم الراحة ، السبت) .
سوسن (زنبق ابيض) من שׁוֹשַׁן cho-chân .
شبور (بوق) من שׁוֹפָר chofâr .
شيطان من שָׂטָן sâtân (عدو ، مشتك) .
صباؤوت (مجد الله تعالى) من צְבָאוֹת seubâoth (جيوش) ، وهي جمع צָבָא sâbâ .
عنصرة من עֲצֶרֶת aṣârà (محفل ، عيد) .
فردوس من פַּרְדֵּס pardès .
فريسي من פָּרוּשׁ pârouch .
فصح من פֶּסַח peçah .
كروبيّة وكروبيم من כְּרוּבִים keurou-bim (طبقة من طبقات الملائكة) .
كمون (نبات) من כַּמּוֹן kammôn .

لاويّ ، الاسم المنسوب الى لاوي بن اسحاق بن يعقوب ، من לֵוִי Lewi .
منّ (طعام اليهود القدماء حين سفرهم من مصر الى ارض الميعاد) من מָן man .
يوبيل من יוֹבֵל yobel (صيحة فرح ، رنة بوق) .

القسم الثاني : بعض الكلمات المقتبسة من التركية

سلطان الاتراك سليم الاول قد حارب المماليك وانتصر عليهم سنة ١٥١٦ ، فاستولى على سورية ، لبنان ، فلسطين ، ما بين النهرين ومصر . منذئذ الى زوال السلطنة العثمانية سنة ١٩١٨ بعد انكسار الاتراك في الحرب العالمية الاولى ، قد ظلت تلك البلاد خاضعة لسيادتهم وانتشر فيها لسانهم ، على الاخص بين موظفي الحكومة ، واندمجت مئات كلمات منه في اللغات العامية . مع ذلك لم تقتبس العربية الفصحى من التركية سوى كلمات قليلة توجد كلها تقريباً في الجدول الآتي ، وقد اضطرتنا الظروف الى طبعها بغير الابجدية التركية الحديثة .

إسكلة (ميناء من موانئ البحر المتوسط في البلاد التي كانت قبل سنة ١٩١٨ خاضعة لسلاطين تركية) من iskélé المشتقة من الكلمة الايطالية scala (سُلّم) .
بارة (جزء من اربعين من القرش التركي القديم) من para المشتقة من الكلمة الفارسية پاره (قطعة) .
برتقان من portokal التي هي ايضاً اسم بلاد البرتغال ، فقد كثر استيراد ذلك الثمر منها .
برغي من bourghou المشتقة من المصدر bourmak (لَوَى) .
بُقجة (صُرة من الثياب او غيرها) من boghtcha (حزمة ، كيس صغير) .
بك من bei (سيد ، امير) .
بوغاز (مضيق في البحر بين ساحلين) من boghaz (حلق ، مضيق) .
بيرق من baïrak .
تِنبَل (كسلان) من tembel .
تنك (صفيحة حديد رقيقة منشأة بالتصدير) من téneké .
تونيا (معدن الزنك) من toutia .
جوخ (نسيج الصوف) من tchokha .
خاتون (امرأة شريفة الاصل او عالية المقام) من khâtoun .
دَوزن العود او نحوه (شد اوتاره المرتخية) من duzen (ترتيب، تآلف الاصوات).
دَوشك (فراش) من deuchek .
سراية (قصر) من sarai المقتبسة من سراي (بيت) الفارسية .
طَبَنجة (سلاح كالمسدس يطلق رصاصة واحدة) من tabandja .
طرخان (لقب عواهل تركستان القدماء ، وئيس) من tourkhân (شخص من الاشراف) .
طُغراء (كتابة مشتبكة الحروف في فرمانات سلاطين تركية وسكوكاتهم) من

طنبرة (قدر من نحاس) من tendjéré .	طنبر ذات وتر واحد بشكل إجاصة) .
قاووق (قلنسوة طويلة) من kavouk .	لُغم (جهاز حربي ينفجر بالاصطدام) من laghem .
قبّان (ميزان للاشياء الثقيلة) من kapan .	قُبر (آلة طرب) من kopouz
وُحاق (موضع النار) من odjak .	

فضلاً عن الكلمات السابقة المندمجة في لساننا قد انتشرت فيه عشرات الفاظ اقتبسها الاتراك منه واستعملوها بمعنى غير عربي ، ثم عادت اليه بذلك المعنى الجديد ، فشاع بين غير المتضلعين من لغتنا ، وهم آلاف مؤلفة . قد ادرجنا في الجدول التالي بعض تلك الكلمات ووضعنا بعد كل منها معناها التركي ثم العربي .

كلمات عربية	معناها في التركية	معناها في العربية
استحصال	الحصول على شيء	هذه الكلمة غير عربية
استحكام	توطيد ، تحصين	ضرورة الامر متقناً
استكشاف	اجتهاد للكشف	سؤال شخص ان يكشف شيئاً
اشتياء	لصوص ، عُصاة ، ثُوار	تمساء
اعتباراً من	ابتداء من تاريخ كذا	الاعتبار بالامر : الاتعاظ به
انفعال	استياء ، غضب	مطاوع فعل
ايراد	دخل	إحضار المورد ، الاحضار مطلقاً
تبخير	تحول الى بخار	تطييب بدخان ما يُحرق
تبييض	نسخ نص بعد تنقيحه	جعل الشيء ابيض
تحرير	كتابة ، تسجيل	تحرير كتاب : تحسينه ، تصحيحه
تحصيل	درس ، تعلم	الحصول على شيء
تشريف	وصول ، انطلاق ، زيارة	منح الشرف
تعجيز	إضجار ، إزعاج	جعل شخص او عده عاجزاً
تعصب	تعلق مفرط بالدين	غيرة على الدين ، الدفاع عنه
تفليد	تشبه	وكالة عمل او وظيفة الى شخص
حظ	لذة ، فرح	نصيب
رسم	مكس	الامر بشيء ، تمثيل هيئته
فريق	قائد فرقة كبيرة من الجيش	جماعة
قصور	عيب	نقص الخ .
مغايرة	مكاتبة ، تبادل اخبار	منازعة شخص بمشاطرته وجهه
مرخص	مندوب	مجعول رخيصاً

كلمات عربية	معناها في التركية	معناها في العربية
معاش	مرتب موظف او غيره	ما نعيش به من طعام وشراب
مفاولة	عقد ، اتفاق	مباحثة ، مجادلة
موسم	وقت ، فصل من فصول السنة	عيد كبير الخ
نفر	شخص ، جندي بلا رتبة	الناس كلهم ، جماعة رجال من ٣ الى ١٠
هوس	ميل ، شهوة	شيء من الجنون ، خفة العقل

القسم الثالث : بعض الكلمات المقتبسة من اللاتينية

هذه الكلمات قليلة جدًا ، ولا رابطة بين معانيها ، ونرجح ان اكثرها قد اندمج في العربية بواسطة اليونانية او الايطالية .

أُسطُبَّة (شاقة الكتان) من stuppa .
إسطبل وإصطبل من stabulum .
إفريز (طنف بناء) من phrygium الاسم المنسوب الى Phrygia ، وهي قُطر كان يسكنه شعب قديم في آسية الصغرى .
امبراطور من imperator .
دينار من denarius (نقد من الفضة عند الرومان) .
سِجِلّ هي على الارجح من sigillum (ختم) بسبب عادة وضع الختم على ما قُيد في السجل من العقود ونحوها .
سجنجل (مرآة) هي على الارجح من sexangulum (مسدّس الزوايا) ؛ النمت الدال على شكل بعض المرائي .
فِسقِيّة (حوض) من piscina (حوض ماء لتربية السمك) المشتقة من piscis (سمكة) .
قَلَنسُوة (نوع من ملابس الرأس) هي على الارجح من calantica (ملبس للرأس من نسيج مختص بالنساء) .
قِنطاريون (نبات) من centaurium .
قيصر (لقب عواهل الرومان القدماء) من caesar .
كِلس من calx .
كُمرُك من commercium (بضائع ، سوق) .

القسم الرابع : بعض الكلمات المقتبسة من الايطالية

قد تواترت العلائق التجارية مدة عصور بين دُويلات ايطالية المستقلة واقطار الشرق العربي ، فنتج عن ذلك شيوع مئات كلمات ايطاليـة بين شعوب تلك البلاد ، ولا سيما المتعلقة بالتجارة والبضائع . بيد ان اكثرها قد ظل محصورًا في اللهجات العامية ولم يندمج في لغتنا الفصحى . ها كم بعض الامثلة عليها من لهجة لبنان :

بسكوت من biscotto ، بندوره من pomodoro ، بوسطه من posta ، تياترو من teatro ، بيره من birra ، جيرو (تحويل شك او غيره) من giro ، سيكورتا (تأمين) من sicurtà ، صالون من salone ، طاوله من tavola ، فانوره من fattura ، فبركه ، fabbrica ، كبوت (رداء) من cappotto ، كرّوسه (عربة) من carrozza ، كريزه (ازمة) من crisi ، كلسه (جورب) من calza ، كمبيو (صرف) من cambio ، كونتراتو من contratto ، مركه (علامة مختصة ببضائع معمل) من marca ، مكنه من macchina ، موبيليا (اثاث) من mobilia .

اما الكلمات الايطالية المستعملة في العربية الفصحى ، فاكثرها في الجدول التالي :

إفرنج (سكان اوربة ما عدا الاتراك) من franchi (بالفرنسية francs) ، وهم ابناء القوم الجرماني الذي استوطن غالية من القرن الثالث الى الخامس ، ثم أطلق اسمه عليها فسميت فرنسة .

بالة (كيس قطن او غيره) من balla .

بركان من vulcano .

برميل من barile .

برنيطة من berretta .

بسلى (بقلة) من piselli .

بطاطة من patata .

بنطلون من pantaloni .

بنك (مصرف) من banco .

بورصة (سوق) من borsa .

بوقال (كوز بلا عروة) من boccale .

بوليصة (سفتجة ، بيان) من polizza .

ترسانة (مستودع ادوات وذخائر حربية) من darsena (رمى السفن في ميناء) .

خارطة وخريطة (رسم بلد او بلاد) من carta .

سمسار من sensale .

سنورة (نوع من السمك المقدد والمملح) من salamoia (ماء مملح الى الحد الاقصى لصيانة اللحم والاسماك من التعفن) .

شوكولاتة من cioccolata .

فاصولية (بقلة) من fagiuolo .

فرن (مخبز) من forno .

قرصان (لصوص البحر) من corsari .

قنصل من console .

كمبيالة (سفتجة) من cambiale .

مكرونة من maccherone .

موسيقى من musica .

---

١) اسمها في لهجة مصر طاطم ، وليس لها اسم في اللغة الفصحى لان منبتها الاصلي في اميركة .

القسم الخامس : بعض الكلمات المقتبسة من الفرنسية

كان ارتباط تجارة الشرق العربي بفرنسة منذ القرون الوسطى اقل جداً منه بايطالية ، ومن اسباب ذلك قرب هذا القطر من بلادنا . فلا بدع بان نرى للفرنسية تأثيراً لا يكاد يُذكر في العربية ولهجاتها العامية . هاكم اكثر الكلمات الفرنسية المندمجة في لغتنا الفصحى :

بروتستاني من protestant .
بكالورية من baccalauréat .
برلمان من parlement .
بوليس من police . .
تلفزة (الرؤية عن بُعد) من télévision .
جنرال (قائد جيش) من général .
دُكتور (طبيب ، اسم ذوي اعلى درجة من الناجحين في الفحوص الجامعية) من docteur .
راديو (مِذياع ، اذاعة) من radio ، وهي مختصر radiophone .
سردين (سمك) من sardine .
سينما من cinéma ، وهي مختصر ciné-matographe .
كرتون (ورق مقوّى) من carton .
كردينال من cardinal .
مارشال من maréchal .
ماسوني من maçon بمعنى franc-maçon .
مليون من million .
مِليار من milliard .

القسم السادس : بعض الكلمات المقتبسة من لغات شتى

لا شك في ان تلك الكلمات تُعد بالعشرات ، غيرانه يصعب جداً جمعها وتحقيق اصلها ، فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بذكر شيء منها بعدما تأكد لنا مصدره .

من الاسبانية

بلاتين (معدن ثمين) من platina المشتقة من plata (فضة) .
سيكارة (لفافة التبغ) من الفعل cigarar (لف بالورق) .
كنار وكناريّ (طير) من canario ، وهو طير موجود بكثرة في جزائر كناري الواقعة بقرب ساحل مراكش الجنوبي ، وقد سماها العرب الجزائر الخالدات .

من الانكليزية

ترامواي من tramway المركبة من tram (قضيب غير ناتئ عن الارض لسكة

حديدية) و way (طريق) ، فمعناها طريق مصنوع بقضبان حديد غير نائمة عن الارض.
شك (حوالة على مصرف) من cheque المشتقة من check (تحقيق حساب) .
فلم من film .

من الهولندية

يخت (سفينة فاخرة للنزهة او لبعض الاحتفالات) من yacht .

من الارمنية

زُبُرك (نابض) من zeushanag *ququshuly* المشتقة من المصدر zeushel *ququly* (قهر ، كبح) .
مكوك (وعاء حاو خيط اللُحمة يُمرّه الحائك بين خيوط السدى) من ma-*dukuryk* gouyg (زورق صغير) ، لان المكوك يشكل زورق دقيق .

نظرة عامة في الكلمات الدخيلة

قد ذكرنا في الجداول السابقة من هذه الكلمات ٢٢٠ فارسية ، ١٣٠ يونانية ، ٦٣ سريانية ، ٣٢ عبرانية ، ٢٥ تركية ، ١٣ لاتينية ، ٢٤ ايطالية ، ١٦ فرنسية ، ٩ من لغات اخرى[1] ، فيبلغ مجموعها ٥٢٢ ؛ تلك هي التي إيقنّا او رجحنا حقيقة اصلها الاعجمي . واذا فرضنا ان عدد كل الكلمات الدخيلة حول ثمانمئة ، فهو نحو جزء من ثمانين من قاموسنا ، فان الفاظه لا تقل عن زهاء خمسة وستين الفاً . من ثم يتضح ان لغتنا في مجموعها متجانسة العناصر كالارمنية والمجرية ، بينما نجد في معاجم الانكليزية والتركية والفارسية آلافاً مؤلفة من الكلمات الدخيلة .

قد ابدى العرب القدماء شدة ذكائهم وغيرتهم على لسانهم اذ اغنوه بثبات الالفاظ الاعجمية التي لم يكن فيه ما يؤدي معانيها ، غير انهم قد جعلوها على صيغ عربية او شبيهة بالعربية ، ولهم من المهارة في ذلك التحويل ما يُقتنى

---

١) في هذا الاحصاء قد غضضنا النظر عن وجود صيغتين في لغتنا بالمعنى ذاته لبعض الكلمات الدخيلة ؛ كما نرى في بولاد وفولاذ .

منه العجب . وايم الحق، هل يخطر ببال غير الخبراء كون كلمة بستان مقتبسة من الفارسية ، بُرج من اليونانية ، تُرعة من السريانية ، فصح من العبرانية ، طنجرة من التركية ، دينار من اللاتينية ؟

اما ورثاء لسان العرب المعاصرون فنرى فيهم نفوراً مفرطاً من اغنائه باقتباس الكلمات الناقصة فيه من لغات الاعاجم ، مع ان اغنى لغات الغرب بالكلمات والآداب ، كالفرنسية والانكليزية والالمانية ، لا تزال تزيد ثروتها اللفظية على ذلك الاسلوب الرشيد . الكلمتان تلغراف وتلفون اليونانيتا الاصل قد اندمجتا في قواميس اكثر لغات اوربة ، وقد اشتقت منهما افعالاً ونعوتاً وظرفيات (adverbes) . اما نحن فقد خفنا خوفاً غير معقول من تشويه لغتنا باقتباسهما ، فسمينا التلغراف برقاً والتلفون هاتفاً ، وهما اسمان مبهمان لا يدلان على المعنيين المقصودين دلالة واضحة . فعسى ان نقتدي برحابة عقل العرب الاقدمين وبغيرتهم الفطنة على لغتهم ، فنُغنيها كما فعلوا ، بثبات كلمات نُفرعها على مثالهم في قوالب الصيغ العربية بقدر الامكان . اما الاقتراض اللاج الناجع للعوز .

حبيب زيّات

١٨٧١ - ١٩٥٤

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

هو ذلك العالم الواسع الاطلاع المولع بالتنقيب والبحث ولم ينشر يوماً مقالاً مبتذلاً بل كان يدأب دائماً وراء مخطوطات العهد العباسي الذي كان يحبه عساه ان يجد فيه المادة التي تشبع روحه المتعطشة الى الحقيقة وعساه ان يستنبح الفرصة ليضبط اقوالاً تناقلها مؤرخو الادب بدون تحقيق اعتبروها صحيحة. ولم يكن هذا الرجل العلّامة يرتضي بان يردّد اقوال الذين سبقوه بل كان يعتبر ان مجال التنقيب ما برح فسيحاً وان ثمة حقولاً ، وان نقبوا فيها مرات عديدة، ما زالت تشتمل على امور جمّة تقتضي المنقّب الحقيقي طوال اناة وصبر وجلد.

ولقد عاشرت حبيب زيات واطلعت عن كثب على طويّته وذلك منذ سنة ١٩٤٦ وتمكنت ان اميّز في عقله المتعطش الى المعرفة ، في عقله الثاقب ، حبّ الاستطلاع وتحرّي الحقيقة التي لم يحترم سواها .

وحبيب زيات كان يضمر في قرارة نفسه حبّاً للناس اما اذا اقتضاه الامر للدفاع عن الحقيقة فلم يكن حبه لهم يثنيه عن البوح بها . وانني لا ازال اذكر يوماً كان يعدّها وما كان يعتريه من مخض اذا كان مضطراً للجهر ببعض الحقائق، فقد كنت احسّ ان في صدره قوّة تسوقه الى التصريح بها وان جرحت مؤلف الكتاب . وما قامت شهرته الا على حكمه الصائب وثقافته الواسعة وتضلعه من اقوال الادباء القدماء. ممّا كان يحمل الجميع على ان يعلّقوا اهمية كبرى على نقده .

والذي ينبغي لنا ان لا ننساه هو ان حبيب زيات قد بدأ حياته في التجارة ولم يستطع ان يتنبّا في اوضاع ربّما اقتضته ان يتسامح مع ضميره. ففضل اتخاذ الكتب اصدقاء له والفراغ الى التحدّث اليها باطول الاحاديث واشدّها جدوى على غرار الجاحظ ، فالكتاب صادق ولا ينتفض ، عند النقد ، انتفاض الانانية الجريحة العنيف ، وبالاستطاعة تقليب صفحاته بدون ان يعارضك معارض ،

ولذلك من المستحسن ان تعقد معه اواصر الصداقة . فجال في مدن اوروبا زائرًا مكاتبها مقلبًا مخطوطاتها وقاطفًا منها ما يروق ذوقه الصحيح والدروس التي وقف لها حياته فكان ينتقل من باريس الى ليدن الى الفاتيكان الى مدريد فالاسكوريال فلندرة الى غيرها من المكاتب الكبرى التي كان ينوي زيارتها للمرة الثانية او الثالثة ثلاثة اشهر قبل موته[1] . وكان يؤكد لي في تشرين الاول الماضي ان في نيته التنقل في مكاتب باريس وليدن والبريتش موزيوم للوقوف على بعض المصادر لدراسات مقبلة .

o

ولقد قلت ان حبيب زيات كان يحاول التعمق في تاريخ العهد العباسي وخاصة ان يتلخص الحقيقة فيما يتعلق بمسيحيي الشرق من جميع ما كانت تشتمل عليه تلك المخطوطات من وجهات نظر تستوجب الالتفات اليها ولم تُكتشف بعد . وكانت ادق التفاصيل تحتل مقامًا هامًا في نظره لان عهدًا لا يبعث حيًا في احداثه الجسام التي امتاز بها فحسب ، وانما يستمد غالبًا طابعه الخاص من احداثه الصغيرة . ألم يضع احد كبار المؤرخين الفرنسيس ، لنوتر (Lenôtre) ، سلسلة كتب عنون لها بكاملها « التاريخ الصغير في خدمة التاريخ الكبير » . ولئن قلت ان حبيب زيات كان يهتم لكل شاردة وواردة فلا يعني ذلك انه كان يهتم للتفاصيل فقط ويجعلها محلًا ممتازًا ويهمل الاحداث العظيمة .

ولا يستطيع من يتصفح « الخزانة الشرقية » الا ان يتحقق غزارة تفاصيله وفكراته الكبرى في شتى مقالاته في هذه المجموعة المشتملة على دراسات عديدة في موضوعات مختلفة .

وكان حبيب زيات يرتاح الى نشر مقالاته في المشرق ومجلة الشرق الادنى المسيحي ولاسيما مجلة المشرق التي كان يحبها ويحب ان يدعوها مجلته ، وكان يحب ان يذهب بمقالاته لمقابلة جميع المستشرقين في انائي اقطار المعمور ليطلعهم على شؤون يجهلونها .

ولئن اطلعنا على مجموعة الخزانة الشرقية وغيرها من كتاباته كخزائن

١) راجع مقال السيد حبيب سيوفي ، المشرق ، آذار ١٩٥٦ ، ٢١٦

الكتب في دمشق وصواحبها ، والعطيب في الاسلام ، وادبار دمشق وبرّها في الاسلام ، والديارات النصرانية في الاسلام ، وسمات النصارى واليهود في الاسلام ، وخبايا الزوايا في تاريخ صيدنايا ، والمكيون في الاسلام لتولتنا الدهشة من شدة دقة ملاحظته وغزارة علمه ولا سيما دقته الوجدانية اذا ما تعرّض للتمحيص في قراءة ما يشك فيها ، فيأخذ بتلابيبها ليرفضها او يسلم بصحتها .

*

لقد ذهبت يوماً لأراه في دمشق واتفقت معه على طبع مخطوط كبير الاهمية . فذهبنا معاً الى المكتبة الظاهرية ومكثنا هناك . اما هو فطفق يعمل واما انا فاخذت اقلب المخطوطة التي استحسنتها . بيد ان وفرة الاسناد فيها ، اذا ما طبعت طبعاً حديثاً ، تفضي الى الملل . فلم يرضَ بحذفه او بتره وطالب بالابقاء على الاسناد جميعه . واذ عدنا الى داره واستأنفت الحديث معه بالامر ضرب لي مثل احد اصدقائه الذي نشر مخطوطاً وبذل فيه لسوء الحظ كلمة على اعتقاد منه انه احسن في صنعه فما كان منه الا انبه تأنيباً مريراً .

وما هاتان الحادثتان الا مثلاً صغيراً من اعماله الكثيرة التي تدل جميعها على صفاء عقله وصدق علمه .

اما التنظيم فقد كان رائده في حياته الشخصية وفي مكتبته ليدل دلالة صريحة على سيطرته على نفسه سيطرة كاملة وعلى صيانة نظره وبعده في العمل .

ولشدّ ما زرته بمنزله في نيس وتحدثنا معاً عن مصنفاته التي كان مزمعاً ان ينشرها او عن شروح كان له ان يزيدها في دراسات عتيدة . فكان ينهض بكل سهولة نحو ادراج طاولته الفاصة بكل ضروب العلوم المكدّس بعضها فوق بعض منذ سنين عديدة او الى خزانة كتبه ويتناول منها مصنفاً مطبوعاً او مخطوطاً ويفتحه بيد مرنة في الصفحة التي كنا نتحدث عنها .

وما على القارئ الا ان يطّلع قليلاً الى خطّه المستقيم المنتسق والذي ظل كذلك حتى اخر ايامه . وما هي الا بضعة ايام بعد ان غادرته في شهر تشرين الاول الماضي حتى بعث اليّ برسالة لم يكن خطه فيها يختلف عما كان يكتبه قبل ذلك لسنين عديدة .

ولماذا لا نتحدث عن انشاء حبيب زيات . والانشاء هو صورة عن الانسان. لقد كانت لغته صافية وخالية من الشوايب ، وكلماته منتقاة وعبارته سيالة جزلة واضحة لانه كان متمكناً من مفرداته ليعرب عما يريد الاعراب عنه بدون زيادة او نقصان وبدون تشويش وحذلقة .

فمن قائل يقول : كل هذا تفاصيل وهنات !... فما اكثر الذين يعدون انفسهم سعداء اذا تميزوا بمثل هذه « الهنات » ليتركوا للخلق ما يحاكي تلك الاستقامة والدأب في العمل والنظر الثاقب والتعلق بالحقيقة على شاكلته . ان حبيب زيات سيترك بعده الذكرى .

=

لم يغب عن نظر ذلك الرجل الذي سبر غور العهد الذي درسه والبحوث التي دأب في متابعتها الامر الجوهري لانه لم يتفق الي قط ان صحبته مرة الا وحدثني عن القضية الدينية . ولقد احببت فيه تعلقه البنوي بامنا الكنيسة الكاثوليكية الشاملة المقدسة تعلقاً خالياً من التباهي والتصنع . فحبه لها كان حب ابن كريم صادق ويشجبه احياناً بعض الظاهرات الخارجية لامه الكنيسة بيد ان ذلك الحب كان مطرد النمو وحرًا .

واذا انضجته آلام سنيه الاخيرة ادرك حبيب زيات سر هذه الآلام التي تشهد ولادتنا وتصحبنا في شتى تقلبات حياتنا ولا تغيب ابداً عن افراحنا وشدائدنا ، فهي تصحبنا بين ذراعي الاب السرمدي لنقدم له وقائنا كعربون عن تعلقنا به ولنشفع بنا لديه .

وحبيب زيات كان ابناً للكنيسة مطيعاً . اما ما استطاع ان يكتشفه فيها من ضعف بشري فلم يثنه قط عن التعلق بها وسماعه لها واتحاده اتحاداً كاملاً بها . فانها كانت في نظره الام الحنون . وكفى .

وفي شهر تشرين الاول الماضي حدثني عن ذلك والدموع في عينيه فانه كان يشعر بدنو الاجل ... لا بل كان ، كما قدمنا ، يروم الذهاب الى الاسكوريال وكمبريدج وليدن وغيرها من المكاتب ... وما كان يفكر ان المنية ستعاجله بمثل تلك السرعة مع انه كان يعرف ان الانسان لا يستطيع البقاء الى الابد على هذه الارض فخف سيره للاقاة ربه الاخيرة الدائمة .

وهكذا كان شاعلا فكر حبيب زيات اولاً انه ما برح عليه ان ينجز في حياته اعمالاً اخرى وثانياً ان من واجبه ان يستعد استعداداً لكل لهذا اللقاء الاخير .

كان حبيب زيات عاملاً صالحاً في ميدان العلم وعاملاً صادقاً في سبيل الحقيقة التي تقول له بدون ريب : تعال ايها الخادم الامين فقد اخذت خمس وزنات واشتغلت فربحت خمساً اخر فادخل ملكوت سيدك .

وحبيب زيات سيبقى في نظرنا الرجل العالم الذي عرف ان يخدم ربه بوجدان مستقيم والعلم بوجدان لا يقل عن ذلك استقامة واخلاصاً .

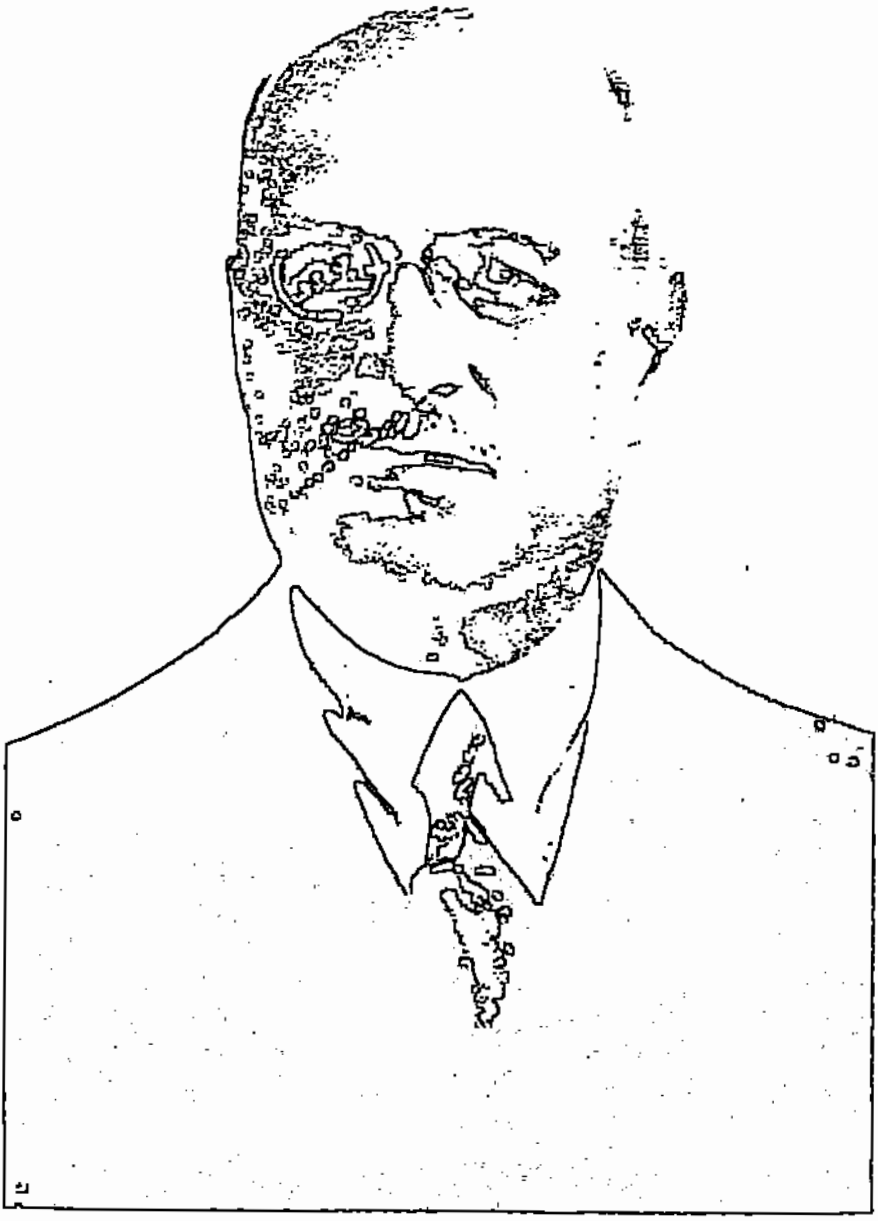

حبيب زيات

١٨٧١ – ١٩٥٤

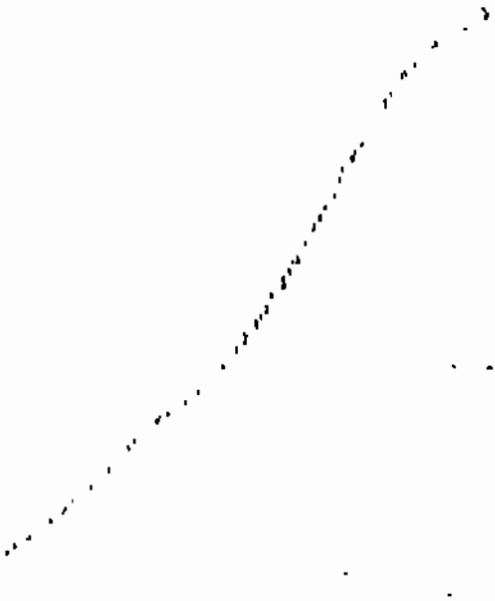

تعريف عن الكتب

الكتاب المقدس

العهد الجديد

نقله عن اليونانية وعلّق عليه الاب جورج فاخوري البولسي

مطبعة الاباء البولسيين – حريصا – لبنان ١٩٥٣

ان ما وقع فيّ وقعاً جميلاً حيال هذه الترجمة للعهد الجديد هو بساطة اللغة وضبط ترجمة العبارات اليونانية وتقسيم الفصول والفقرات . ولئن اطريت ترجمة سهلة قراءتها لها ذلك بالامر اليسير ، لانها تُدني المؤمن من الله ومن كلمته . وليس بالقليل ان نطرئ العبارات العربية الموفقة لتأدية معنى الكلمة اليونانية الاصلية. اما الاخراج فله شأنه الكبير ليحفزنا على مطالعة هذه الترجمة الجديدة. ولقد عرف المؤلف كيف ينبغي له ان يختار الفاظه العربية التي تؤدي معاني الكلمات اليونانية مع ما لها من قرائن في كل تعبير . واليك المثل على ذلك. فالفظة gnosis لها معنيان مختلفان ولقد احسن المؤلف بترجمتها «معرفة» لا «علماً» وباستطاعتنا ان نذكر امثالاً كثيرة .

ولئن سمّى المؤلف ترجمته جديدة فهي بمعظمها مقتبسة عن الترجمات السابقة . أجل لم يكن بمقدوره ان يفعل غير ما فعل لان جميع المترجمين الذين سبقوه قد سعوا ايضاً للاستناد الى النصّ الاصلي وان يتابعوه عن كثب .

وكنا نودّ ان يضع المترجم في آخر ترجمته جداول الطقوس الشرقية كلها للرسائل والاناجيل التي تقرأ في القداس الالهي وان لا يقتصر على ما يتعلق بالطقس البيزنطي فقط .

ونحن نتمنى توفيقاً كبيراً لهذه الترجمة .

ا. ع. خ.

سير قديسين وكتب دينية

Mgr Jean de Hemptinne, o.s.b. : *L'Ordre de Saint Benoit.* — 3e édit. revue. — Édit. de Maredsous. 1951. — 138 pp.

تضع الطبعة الجديدة الثالثة لكتاب الاسقف de Hemptinne في متناولنا النص الاساسي المنبثق من يراع حكيم بنوي . وقد ضمّت اليه ملاحق صغيرة.

ويطلعنا المؤلف بجلاء وحماسة كبرى على باطن روح رهبانية القديس مبارك. والاحداث الثانوية لا قيمة لها في نظره الا على قدر ما تشتمل عليه من الروح الصادق المنبعث من حياة الرهبانية . اما التاريخ فيمثل مقاماً ثانوياً في اعتباره بالنسبة الى روح القديس المؤسس .

والذي يشهد على هذا الامر هو كيفية عرض الكتاب الذي درس فيه قبل اي امر آخر كان مقصد القديس مبارك الاول، هذا المقصد الذي انبثق منه مفهومه للصلاة والشغل ، ومفهومه الخاص الذي يميّز رهبانيّته . وبالاستناد الى ذلك القى المؤلف نظرة عجلى على تنظيم الدير وخلص الى لمحة تاريخية لبداءة الرهبانية والى حالتها الحاضرة .

ونحن لا يسعنا الا شكر المؤلف لانه عرفنا بشكل شخصي الى الروح التي تدبّ الحياة في هذه الرهبانية عبر الاجيال . فالقديس مبارك يحيا بالروح التي تعيش ابناءه .

ا. ع. خ.

Dom I. Ryelandt : *Saint Benoit, sa physionomie morale.* — Édit. de Maredsous, 1952. 123 pp.

هذا الكتاب الصغير الغزير المادّة ليس الا من اربعة فصول . ولقد استنبط المؤلف من صورة المؤسس القديس المعنوية دراسة حيوية للرهبانية التي شيّدها . فحاول اولاً متشبّياً على القواعد التي سنّها القديس مبارك نفسه دراسة الروح التي تنبعث منه ، ومن ثم بحث في اقوال القديس غريغوريوس ليستنبط منها سمات الرجل الرئيسية الذي هيمن على الحياة النسكية في العصور الاولى .

وقارن المؤلف عقب ذلك بين روح القديس فرانسوا دي سال والقديس مبارك فوجد وجوه شبه عديدة بين ذينك العلّامتين . علّامتي الحياة الروحية ،

وعلى رغم ان اولها كتب للرهبان وثانيها كتب للعلمانيين فالقرابة الوثيقة بينهما قائمة على وحدة المبادئ وعلى طريقتها الاعراب عنها .

واننا لنشكر المؤلف لتوفيقه في دراسة النفسية الدينية لاننا لا نفهم كتاب احد ما لم نربطه ربطاً صحيحاً بصورته الشخصية وبالحوافز الباطنية التي شحذت عزيمته ليضعه . ا. ع. خ.

Rev. Joseph Eid. D.D., Ph. D.: *The Hermit of Lebanon Father Charbel.* — Paulist Press, New York. 1953, 110 pp.

يطيب لنا ان نقرأ كتاباً حسن الاخراج ككتاب الاب عيد المطبوع على ورق صقيل والمخرج اخراجاً انيقاً . ولسنا نستغرب هذا الامر اذا ما رأينا جميع المطبوعات الاميركية لما وراء البحر . ومع هذا فامر اناقة الطباعة ليس ذات اهمية في نظرنا على قدر ما يطيب لنا ان نثني على المؤلف لانه جلب انتباه القارئ الى «قضية القديس شربل» في الفصول الاولى . وانما هناك قضية ثابتة . وانا من نكد الحظ بعد هذه البداءة الرائعة يقع نظرنا فوراً في بسط الموضوع على خلل في التنسيق لا يبعث الى الارتياح - فما الداعي لمكان فهرست مؤلفات الكاتب والصلاة لتطويب الراهب القديس الذي ما برحنا في سياق الحديث عنه ؟ وممّا نرغب فيه هو ان يعمد المؤلف في الطبعة الثانية الى تنسيق افضل لكتابه الذي يحتوي دون شك على براعة نبيلة لتعريف بطله .

واننا لم نعثر على شيء جديد لم نكن نعرفه من كتاب الاب شربل القيم. اما المؤلف فكان بمقدوره ان ينتحي وجهة نظر تؤول الى توحيد اقواله ومكتشفاته واما ما جئنا به من نقد فلا يقلل شيئاً من قيمة هذا التأليف.

والامر الاكيد ان الكتاب ادّى شهادة رائعة في الاوساط الاميركية على قداسة الراهب اللبناني الزهدية الانجيلية . ا. ع. خ.

P. Daher : *Vie, survie et prodiges de l'Ermite Charbel Makhlouf.* — Edit. Spes. 1953, 143 pp. — in-8°. Paris.

الكتاب محاولة شيقة في دراسة النفسية الدينية وهو دراسة كان يقتضيها تعمق اوسع وبحوث اوفر . وما كان اشدنا رغبة بان لا يتردد المؤلف الذي اراد ان يعاني هذا الضرب من الدراسة عن الاقدام على تحليل الاقوال التي

نقلت لنا عن شربل نفسه ويرى اساسها النفساني والديني . وعنوان الكتاب يعلن انه قسمين وهما متفاوتتان في طولها .

لقد كنا نرغب بان تكون لغة المؤلف في تاريخ حياة دينية ابعد عن الشعر كما كنا نودّ ان تكون بعض مباحثه التاريخية اشد توسيعا لانها توشك كما هي ان تخدع القارئ (راجع مثلاً الصفحة ٢٤٤) . وبالاستطاعة ان نفكر بما نزيده بصدد المقارنة التي اقامها المؤلف بين سيدنا يسوع المسيح ورجل الله شربل . لذلك كنا نودّ ان لا يكون لها محل في هذا الكتاب لان ايقاعها غير مستحب بسبب بعض المقالات التي تفسح لها مجالا . فكرامة شربل قائمة على كونه عاش بحسب الارادة الالهية فتمشقها بفرح وتجرّد ، وعلى كونه ذهب بتجرده عن كل مخارق وبروح الصلاة حتى البطولة وعلى كونه قد اقتدى بروح يسوع المسيح .

ا. عبده خليفه

MARIE ANDRÉ : *Sœur Rosalie.* — Apostolat de la prière. Toulouse. 73 pp., 1953.

انها نفس مضطرمة عرفت ان تقف كل ما اوتيت من وزنات على خدمة الله والفقراء البائسين الذين قلب لهم الدهر ظهر المجنّ فلم يستطيعوا ان يعيشوا حياة انسانية رافية باسمة .

ولقد استطاعت الراهبة روزالي ان تكون بلسم القلب وتعزيته فتكسو فقراء عديدين وتهديهم طريق الحياة السويّ . وقد عرفت ان تخلق لها من يساعدها ويهبها ويتحمس في خدمة اولئك الفقراء الذين كان مجرد دنوهم من يساعدها كافياً ليبدّل حياتهم .

ولم يترب عن واضعة هذا الكتيّب ذي الفقرات الغزيرة المادة والباعثة على التفكير ان تصوّر ذلك الوجه الآخذ بجوامع القلوب بما تجلّى به من مروءة اذ كان خيالها وحده كافياً في وسط الثورة والرصاص ان يعيد الهدوء والسلام .

فانه لكتيّب جزيل النفع يحث بعضهم على القيام برسالة اجتماعية تدعو الحاجة دعوة ملحّة للقيام بها في شرقنا العزيز .

ا. ع. خ.

JOHN GÉRARD : *Vie et passion d'un Jésuite Elizabéthain.* — Préface de Graham Green, Plon, Paris, 1953. — XVI-291 pp.

انه لعهد يحيا برمته بهذا التاريخ ؟ الا وهو الحقبة التي سعت فيها انكلترا

البروتستنتية لتدفع عن نفسها مَنْ كانت تدعوهم الخاضعين للبابا الذين وفّرت لهم ضروب اضطهاد وتعذيب حقيقة بالقرون الاولى .

واننا لنرى كيف عرف المجاهدون في سبيل المسيح والمدافعون عن حقوق الكنيسة ان يحبطوا حيل حكومة سريعة التأثر وملكة صخرية القلب .

واننا لا نجد في هذه الصفحات ما يقلّ عن الوسائل التي يلجأ اليه الفاتحون في يومنا من حصون حصينة . ولقد تمكن جيرار استخدام خديعة كأنها من ابتداع امس الدابر . وهذه رسائله المكتوبة بعصير الليمون الحامض او بشراب البرتقال . . . مما يدلّ على ان الانسان لا يعدم الدهاء اذا اقتضاه الامر ان ينقذ حياته .

ولاشك في اننا واجدون فائدة جزيلة من مطالعتنا لهذا الكتاب. ا.ع.خ.

Geneviève Duhamelet: *Mère Marie-Xavier Voirin, fondatrice de la Congrégation des Sœurs de la Providence et de l'Immaculée Conception de Champion.* — Desclée de Brouwer, 1953, 366 pp.

لقد وفّق المؤلف المختص بتدوين السير في بعث عهد بعيد وبهناء النفساني والفائق الطبيعة العميق كل العمق. ولئن نستطيع التحدث عن نفس كابدت الآلام وامتحنها الله تعالى لا بد لنا من ان تكون لدينا نفس تحاكي في اختبارها تلك التي نتحدث عنها .

وبعد ان تتتبع المؤلف تقلبات نفس ممتازة لم يلاق اقل صعوبات ليستعرض الرئيسات العامة اللواتي توالين على رأس جمعية تميزت دائماً بروحها الرسولية وقوة نشاطها .

ولئن اسفت على شيء فاسفي على ان المؤلف لم يحطنا تتعرف عن كثب من وقت الى خر بتفكير الراهبات العظيمات اللواتي ادرن الجمعية. ا.ع.خ.

Missel quotidien des fidèles, par le R. P. J. Feder s. j. — Tours-Maison Mame 1953.

نعمّ العمل الذي جاء ناجحاً نجاحاً حقيقياً سواء أكان ذلك من حيث الاخراج ام من حيث احكام الترجمة وجدتها حتى كان الكتاب برمّته اسداء خدمات جلّى الى اعمال المؤمنين التقوية ، ولقد نفد بسرعة كليّة . اما الطبعة الثانية فستكون جاهزة للبيع في مطلع شهر تشرين الاول من هذه السنة .

وانه لمن الامور المهمة ان نسهّل على المؤمنين حضور القداس والاشتراك فيه . لان اللغات الطقسية مهما بلغت ضرورة استخدامها فانها غالباً تقوم بين المؤمنين وفهم معانيها .

ومما لا سبيل للريب فيه ان كل ترجمة ليست صالحة لان الواجب يقضي بان لا تنفر القارئ كما انه ليس من السهل ترجمة كلام الوحي بالضبط لذلك نثني ثنا، طيباً على هذه الترجمة التي نقرنا عنها تقريراً لنشير باقتنائها على الذين يريدون متابعة الطقوس الشرقية ان يستفيدوا من المجهود المبذول في وضع كتاب صلوات القداس فيستلهموا منه وينتفعوا من اللغة العربية وما فيها من غنى انتفاعاً مؤدياً الى اداء جليل الخدم للمؤمنين ، وكتاب « دليل المؤمن » ليس الا مثلاً على هذا الباب .

ا. ع. خ.

Mgr Breynat : *Évêque volant. Cinquante ans dans le Grand Nord Canadien.* — Amiot-Dumont. Paris, 251 pp.

الكتاب هو رواية الاعمال الارسالية في الاسكا الكبيرة حيث يقضي المرسل ايامه مع الله مصلياً ومضحياً بنفسه ومبتهجاً بخدمته بين الجليد والثلوج وهو يقاسي ضروب الحرمان ويرتعد خوفاً من المتوحشين الذين ينقلبون احياناً الى اصدقاء مخلصين .

وهذه الرواية الطويلة احياناً تضع نصب اعيننا تقلبات احدى النفوس التي وهبت ذاتها برمتها لله تعالى . ولقد كنا نرغب بأن يدع المؤلف الاحداث تتكلم من ذاتها اكثر مما اظهر نفسه في كتابه .

ا. ع. خ.

لغة

Hans Wehr : *Arabischen Wörterbuch für di Schriftsprache der Gegenwart.* — In-8°. 986 pp. en 2 vol. — Leipzig — Harrassowitz, 1952.

لقد سدّ الاستاذ فهر ثلمة كبيرة تجره المكتبة العربية بمعجم للغة الحديثة وتحمّل مشاق الغوص بين النصوص لانتقاء عبارات مما اقتضاه زماناً طويلاً أبرم فيه ابراماً . وبوبها دقيق اتمّ الاستاذ فهر عمله ولكنه لم يُشر الى المراجع التي عاد اليها وهي لا شك النصوص الكثيرة التي درسها واستدّ الفاظه منها .

وعمل الاستاذ فهر له مبرراته لان ثمة لغة عربية حديثة تثبت يوماً فيوماً شخصيتها ، لغة حديثة تحاكي القديمة باحتفاظها بصرفها واعرابها اي بكل نحو اللغة المدرسية وان اختلفت عنها بمفرداتها وتركيب جملها من جزاء تأثرها كل التأثر باوروبة .

وعلى شاكلة كل شباب لا تطمع هذه اللغة الحديثة بان تحل محل اللغة المدرسية بل انها ما برحت تبحث عن طريقها فان المستقبل سيساعدها على التطور والثبات . ومن الصعوبة بمكان الوصول الى نتيجة بسن قوانين توحدها في جميع هيئاتها وتطبيقاتها فان البلدان العربية المختلفة لها اساليب مختلفة لتقل قريبة من اللغة القديمة ، فتزين المؤلفات العربية الحديثة بمفردات قديمة الخ . ولا بد من ايجاد مجمع علمي تكون اعضاؤه من البلدان العربية في سبيل الوصول الى توحيد لغة تستخدم كوسيلة رائعة لنقل الافكار والعلوم الحديثة . ولئن شئنا الحكم على الصعوبة التي تثيرها اللغة الحديثة وعلى العمل الشاق الذي يتطلبه اختيار المفردات فلا مندوحة لنا عن الاستعانة بدراسة المؤلف نفسه وهي :

Entwicklung und traditionelle Pflege der arabischen Schriftsprache in der Gegenwart, in ZDMG, (XLVII, 1943, pp. 16-46).

وعلى رغم صعوبة هذا العمل لا بد لنا من الاعتراف بان المؤلف قد حققه خير تحقيق اقتضاه مطالعة واسعة وفكر واضح لم يستغن معها عن اللجوء الى ادباء العربية ليأتي بالقول الفصل بصدد كلمة اختلفوا حول اصول معانيها . فقام المؤلف بجميع هذه الامور ولم يتردد عن اطلاعنا على ما وقع عليه اختياره الشخصي . وانه لعلى حق بذلك ويحق لنا ان نسأله عن القاعدة التي استند اليها ليبدي رأيه في هذا الاختيار .

لقد أوجبت عليه ضرورة الساعة ان يتخذ قاعدته النصوص المصرية . وهو عامل الآن على اعداد ذيل يشتمل على اللهجتين اللبنانية والسورية .

ولا يسعنا إلا الثناء على الناشرين للعناية الكبرى التي بذلوها في اخراج هذا الكتاب الذي يستحق اخراجاً رائعاً .

ا . ع . خ .

اربعة آلاف عرباوية اي تعبير مختص باللغة العربية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

مطبعة الاحسان في حلب سنة ١٩٥٦ ، حجم وسط ١٢٨ صفحة

اعتاد الاب نخله ان يضع في متناول الطلاب والاساتذة موجز عمله الطويل الذي كان نفعه عميماً بفضل تضلعه من العربية ودقائقها وبفضل الخبرة الطويلة التي اكتسبها من التعليم .

ولقد شاء ان يجمع بصورة معقولة اربعة آلاف عرباوية نعثر فيها على كل ما في اللغة من غنى نكتسبه من ممارستها لكي يسهل العمل فيها ويبعث تذوق لغة شغف بها . وانها لخدمة جلى يسديها المؤلف للغة العربية . اما الطلاب وغواة الادب فيحسنون صنعاً بمطالعتهم كتابه واقتنائه في مكتباتهم .

وطبيعي اذا شئنا التمكن من الكتابة الصحيحة ان نعرف وجوه التصرف بالكلام والتعابير التي تشتمل على ثروة قرون اوجدتها عشرات الاجيال .

ولا يسعنا الا شكر الاب نخله على ما يبذله من اهتمام في سبيل خدمة المتعلمين .

ا. عبده خليفه

شعر و ادب

Julien Harb : *Feuilles éparses ; Poèmes.* — Edit. An-Nafir. Tripoli, 1950. Préface de Camille Klat, 89 pp.

انه شاعر فتي يصطبغ شعره بما للفتوة من ميزات كالعفاف والنضارة ورحب الخيال والتحليق صوب اللانهاية .

والذي هزني في قصائد جوليان حرب هو احساسه الروحي بما وراء الحياة ولاسيما بالحب وعدم سدّ المخلوق لفراغ قلبه ، فنفسه تجتذبنا لانها تهزنا بحقائق تفوق الطبيعة ما وراء المخلوق .

والذي هزنا ايضاً نغمة الحزن الطافية فوق مجموع قصائده لان الشاعر الجدير بحمل هذا اللقب يشعر دائماً بضيق عالم لا يشبع نفسه .

وقضى الاستاذ كميل خلاط في مقدمته ان تدرك عبقرية الشاعر طور الرجولة

فلن نخالفه في رأيه . بيد اننا نرغب بان يسير هذا النضج في نفس الاتجاه هنا . فالشاعر يبحث عن الجمال ويتغذى بالجمال ، فلا يصح له ان يسف او ان يحط الحقائق التي يتحدث عنها لكي يفكر تفكير عصره وانما عليه ان يكون سيدًا لعصره وان يحلق فوقه .

واننا لنتمنى لشاعرنا الشاب توفيقًا وازدهارًا ينسجم ومواهبه الكبيرة .

ا . عبده خليفه

قصّة تريستان وايزلت

جدّد وضعها جوزف بيديه من الاكاديمية الفرنسية — نقلها الى العربية يوسف غصوب — ابتكرت صورها للنصّ العربي خاصّة السيدة غيليه نابولي

المنشورات العربية ، حجم كبير

ليس بمقدورنا الّا اطراء اخراج هذا الكتاب الذي تشفّ كل صفحة من صفحاته عمّا فيه من ذوق وانشا شعري انيق .

ولا مندوحة لنا عن امتداح المترجم الاستاذ يوسف غصوب لتخيّره القالب اللغوي الميّال الجذاب والكلمات التي تخلب منا اللب وترجع بنا الى العهود القديمة التي وضعت فيها القصّة ، اما اسلوبه فسهل على جزالته . والفكرة الرئيسية من ترجمة هذا الكتاب وممّا يليه هي ان يضعوا في متناول القرّاء مآثر لغة اجنبية ، فيعمّ الفكرة . بيد ان الترجمة مهما قدرها حتى ولو كانت كالتي بين ايدينا فانها لا تستطيع ان تقوم مقام الاصل . فقد تظل هناك نقطة لا يوفق فيها المترجم لتأتي محكمة احكام الاصل . وفضلًا عن ذلك ان المآثر الادبية العربية لا يقرأها الا المثقّفون الذين يعرفون اللغات الاجنبية ولاسيما اللغة الفرنسية . فعن اية شيء تعوض الترجمة اذًا ؟ وما هو الفراغ الذي تسدّه ؟ وهذا ما نتساءل عنه .

ا. عبده خليفه

علم اللاهوت

JEAN COLSON : *L'Évêque dans les Communautés primitives.* — Tradition paulinienne et tradition Johannique de l'Épiscopat des Origines à Saint Irénée. Édit. du Cerf, 1951, Paris, 131 pp.

اقتصت بالسيد كولسون مباحثه الى التثبت من وجود تقليدين نُقلا عن الرسولين

بولس ويوحنا الانجيلي وذلك بصدد تأسيس منصب الاسقف. فالاول قد ازدهر بواسطة كليمنتس في روما وراعي هرماس والثاني نرى تفرّعاته لدى اغناطيوس الانطاكي ورؤيا يوحنا .

ولكنّ المؤلف ، على ما يبدو لنا ، قد اصرّ اصرارًا تامًا ان هناك تقليدين ازدهرا بدون اية اتصال واحتكاك بعضها ببعض . فان الادلة على تقليد بولس للاسقفية الملكية موفورة ، واننا لنتذكر فورًا اسمي تيتس وتيموثاوس ، فقد توليا ابرشيات وكانت لهما جميع الميزات التي تميّز الاسقف ولاسيما وضع اليد.

وهذه الادلة القليلة جدّ القلة تحدو بنا الى القول ان التعليم الواحد كانوا يعرفونه في الأصل وكانوا يعيشونه وانما لم يشعروا بالحاجة الى اعلانه برمّته رسميًا وزد على ذلك اننا لا نجد لدى بولس ويوحنا مواقف صريحة وتعليماً واضحاً كاملاً بل دقائق كافية وافية . وهذه الدقائق تحملنا الى معرفة الفعليتين، وقد قال بولس : الرب واحد والوحي واحد .

وعلى رغم هذه الايضاحات يبدو لنا ان كتاب السيد كولسون لا يبرح مفيدًا ولذلك لم يكن الاسقف بلانشه الّا مقسطًا في الثناء عليه. إ.ع.خ.

ROMANO GUARDINI : *Vie de la foi* ; Collec. « foi vivante ». — Éd. Revue des jeunes. Paris, 1951, 124 pp.

الايمان هو المسألة التي تقضّ مضجع الانسان قضًا والكتب العلمية التي توضح نقاط هذه المسألة المهمة كثيرة . بيد ان ما برح هناك فراغ ليده علماء يرغبون في التفكير تفكيرًا عميقاً بايمانهم في الاوضاع الراهنة لوجودهم ليقفوا علمهم على خدمة جميع الناس .

ولئن كان الايمان واقعيًا فمن الواجب ان يبعث الحياة في جميع الفعالية الانسانية . فينبغي له ان يتناول الانسان برمّته وان لا يترك شيئاً من الفعالية الانسانية يخرج عن نطاقه الخلاصي .

ولقد اضطلع المؤلف بهذه المهمة الشاقة في كتابه الصغير الجزيل في بلاغته. والعملي جدّ العملي اذ حاول ان يُلقي اضواء ساطعة على نقاط جوهرية من الحياة الانسانية مستمدًا المعونة من ايمانه وذلك في فصوله العشرة بعد ان حلّل في الفصلين الاولين مفهوم الايمان بصورة موضوعية وبالاستناد الى الكتاب المقدس.

ولقد حاول على وضع هذا الايمان الذي ينير الطريق بعض النقاط الجوهرية: الرجاء والحياة العملية والمحبة والعقيدة والسر ولم يهمل الالتفات الى الصعوبات العديدة التي تعتري الانسان في اقرار ايمانه والتي تكوّن عظمة الانسان وبؤسه. وجهد المؤلف جهده ليقرّر ما المعرفة والعلم من دور في الايمان. فالكتاب مفيد جدّ الفائدة وهو لحيرتنا المضطرب ومن واجب الجميع ان يطلعوا عليه. فكأننا بالكتاب المقدّس يستردّ حياته في مؤلف أسسه كتابيّ. ونبيّ واضع هذا الكتيّب فانه عاش بايمانه الذي تشف عنه بقوة كل كلمة من كلماته. ا.ع.خ.

GEORGES TAVARD : *L'Angoisse de l'Unité*. — Bonne Presse — Paris, 69 pp., 1952.

بمقدمة وجيزة بليغة غزيرة المادة يلفت المؤلف القارئ الى مسألة الانقسام بين الاخوة المسيحيين الباعثة على الشجى في الكنيسة ويلقي بذهنه مذكّراً رغبة السيد المسيح في توحيد جميع المؤمنين به ومن ثمّ يتحفنا بعدد من النصوص المختارة من كتابات الرسل وآباء الكنيسة والكتّاب الاكليريكيين المحدثين. وقسمها الى خمس نقاط تفضي ممارستها الى ايجاد وحدة اعمّ بين المؤمنين: الندامة، الصلاة العقلية والطلب والاقتداء والتأمل.

وجمع المؤلف في ملحق بعض الصلوات التي تتلوها في اسبوع وحدة المسيحيين. ا. ع. خ.

DOROTHY DOHEN : *La Sainteté des Laïcs*, traduit de l'anglais par A.-M. Rognet. — Les éditions du Cerf, 1953 — Paris — 293 pp.

يضع هذا الكتاب في متناولنا تجربة مسيحية فؤلفه علماني جاء يعرض على العلمانيين المبادئ المسيحية وكيفية تطبيقها في مختلف ظاهرات الحياة. ولئن كانت المبادئ تظهر من خلال كل كلمة وجملة ولئن استوحى واضعه استيحاء كبيراً في بعض تزعاته من القديس توما الاكويني فان مطالعة الكتاب لا تنفر العلمانيين ذوي الاشتغال ولا تبعث في انفسهم الملل الذي يعترضهم عند عرض المبادئ في كل سانحة.

واستعرض المؤلف قضيّة اتحادنا بالمسيح اتحاداً يجعلنا منقذين معه لاخواننا كما استعرض ايضاً قضيّة اوليّة المحبة والفقر الذي يعتنقه الكثيرون بمحبة صافية

وقضية التجرد والصلاة والانفراد وخيبة الآمال والسرور والسلام والنضج الروحي.

وختم هذا الكتاب بفصل خصه بروح المحبة وبسيدتنا مريم العذراء. ومما امتاز به الكاتب مداركه الدقيقة وانباءته الجلية ولذلك لا ريب في ان كتابه سيفضي الى خير جزيل. ا. ع. خ.

JOSSE AIZIN : *Jésus incognito, le premier essai sur les prêtres-ouvriers.* Téqui, 1953. in-12: 23 pp.

انها واتم الحق لشهادة. فالمؤلف بلجيكي تنقل في حرف عديدة وقد كان كاهناً من العمال لذلك اعرب في كتابه عن عطفه الصادق على عالم العمال الذي تأكد ابتناسه الروحي والمادي كما تأكد الاسباب التي كانت في طليعة الاسباب التي افضت الى ايجاد الكاهن العامل.

ولقد كان من الافضل ان لا يتعرض لهذه المسألة الشائكة ويكتب فيها. فالذين تتعلق بهم انما برحوا يفتشون عن طريقهم وهم انفسهم قد طلبوا اليه ان لا يكتب شيئاً. فمن الواجب ان لا نقدم للناس افكاراً لم يتأهبوا لفهمها خشية عدم بلوغنا الهدف المتوخى.

وما خلا هذه الشهادة التي تدل على حسن نية المؤلف فالكتاب من النوع الخطابي الذي تحتسه صاحبه كل التحسس. اما المعضلات فرويت تفصيلاً واوجد لها المؤلف حلاً. ولقد كان من المستحب ان يشتمل الكتاب على تعاليم اكثر يسعنا على نوردا رؤية المعضلات واظهارها بوضوح ابين فكانت شهادة المؤلف اشد جدوى. ا. ع. خ.

CHARLES JOURNET : *Primauté de Pierre dans la perspective protestante et dans la perspective catholique.* Alsatia — Paris, 153 pp. 1954.

يبدو كتاب المونسنيور جورنه الصغير الانيق كاساس يرتكز عليه المجاورة القائمة في مشكل وحدة الكنائس. والمحاور فيها اوسكار كولمان (O. Cullmann) الذي اصبح كتابه « بطرس تلميذ ورسول وشهيد » موضوع احاديث المجلات وادلة الكتب في الاشهر الاخيرة.

وجرياً على القاعدة المتبعة في مثل هذه الموضوعات لقد كانت نقطة الانطلاق الايمان المشترك : المسيح اله حقيقي ومخلص عاش بيننا، مكوناً في الزمن

والتاريخ الحدث الوحيد والحادث الجوهري لدي يتنظم معه كل شيء ضمن المقصد الالهي .

وينطلق من هنا نظر المؤلف الثاقب حالاً الى ما افضى الى الانقسام والى ما هو في نظره اساس الخصام الحقيقي وموضوع المحاورة الحقيقي. ويرى بعضهم ان الحادث ليس الا ذكرى علينا ان نعثر عليها في الصفحات القليلة التي حفظت لنا بصدق بعض آثارها. فنحن يستلهم المسيحيون اليوم وينشرونها ويعيشونها تحت تأثير الروح . ويرى غيرهم ان الحادث يستمر حياً في كنيسة منبثقة من المسيح وقد اخذت منه شكلها الجوهري المتطور مع الروح القدس .

فمن جهة ، يحيا الانسان الاله في الكنيسة بذكراه وتعليمه الذي ارجعه اكتشاف الاناجيل بعد اربعة عشر جيلاً . ومن جهة ثانية ان الانسان الاله مستمر بتدبيرها بواسطة الروح القدس بصورة غير منظورة وبشكل منظور بواسطة تسلسل الرئاسات التي اسسها هو برئاسة بطرس .

ومن ثم فيتابع المؤلف سرد افكاره. تتوالى الفصول اثنين اثنين وتتعارض حول مختلف المسائل كاستمرار عصمة التعليم الحبري من الخطأ ، وميزات بطرس ، وقوانين الخلافة ، والاراء البروتستنتية والعقيدة الكاثوليكية .

ونحن نسدي المونسنيور جورنيه شكرنا لانه اتبع خطوة خطوة المؤلف واشار بوضوح ودقة الى فروضه الاعتباطية: كشكل السلطان الرسولي المكن انتقاله بدون انقسام او غير المكن نقله وهذا الشكل هو ذو حدين، ونسيان الفصل الثامن عشر من انجيل متى ، وتفسير معنى الاساس تفسيراً مبتوراً.

ولا شك في ان الكثيرين، ما عدا المجادلة، سيقدرون عرض عقيدة رياسة بطرس عرضاً واضحاً . ولقد كان هنا الخصم فرصة لايضاح العقيدة كما كان في المباحث المدرسية في الزمن الغابر . وقد كدس العالم اللاهوتي في كتابه هذا المعرفة الواسعة المجموعة في الالفي صفحة من كتاب الكنيسة والكلمة المتأنس . فنحن لا نأخذ عليه بعض العبارات العلمية البحتة او الخاصة به وان كان اشد فائدة ان يعرض اللاهوت بلغة الانسان المثقف البسيطة .

ف. ده لانفرسان

Recherches Bibliques : *L'Attente du Messie*, par L. Cerfaux — J. Coppens — R. de Langhe — V. de Leeuw — A. Descamps — J. Giblet — B. Rigaux. Desclée de Brouwer et Cie. 1954. 188 pp.

يحتوي هذا الكتاب الذي اذيع عن صدوره منذ مدة طويلة على معظم الدروس التي القيت بلوفان « Louvain » في غضون الايام المخصصة بدراسة التوراة سنة ١٩٥٢ .

وقد وصفه الاستاذان سرفو « Cerfaux » وكوبانس « Coppens » اللذان جمعا حول هذا المبحث الجديد كل الجدّة دراسات طلابها ومساعديها ، ولهما في ذلك التقدير ومعرفة الجميل .

واننا لندهش اذا ما فكرنا بهذه الدراسات التي القيت سنة ١٩٥٢ من توجيهها وغزارة علمها ووفرة مصادرها التاريخية .

ومما لا شكّ فيه ان هذا المؤلف الذي يعاشي الظروف — الحزاً حتماً — ليس بالمركب الذي كنا نرغب فيه ليعوّض عن كتاب موڤينكل « Mowinckel » لانه لا يحدونا لنسى ذلك العدد الرائع لشهر نيسان سنة ١٩٥٣ من مجلة « Lumière et vie » المخصص « بيسوع ابن الله » فهو ليس بالواقع الّا تصحيحاً وتوجيهاً .

وما دراسة الاستاذ « B.Rigaux » الافتتاحية الّا بيان تاريخي منطقي قيّم للاعمال الحديثة ، فالعهد القديم قد عولج مباشرة وبسرعة كما نظنّ وتلخيص الاستاذ « J. Coppens » يصحح درس الاستاذ الغروجي ويوضح العناصر الرئيسية التي تتكوّن منها عقيدة اليهود بملك المسيح .

وانه ليعلق بذهننا القسم الذي وُفق بتخصيصه بامالهم السابقة بملك المسيح والمسمى « soteriologie » « طريق الخلاص » والاماني التي كانوا يضعونها « بملك يهوا » (ص ٣٦) . واذ تحدّدت هذه المبادئ فلا بدّ من الاكتفاء بدراستين خاصتين : هما نبوءة عمانوئيل ومبحث خادم يهوا .

اما العهد الجديد فعلى العكس قد أولي كل عناية . ففي بضع صفحات اتحفنا « L. Cerfaux » باحد هذه الدروس التي غدا معها لاهوت يوحنا عادياً مألوفاً منذ دراسات ج. هوبي ، ا. م دوبارل ، وك. ليون دفور ، واوسكار كولمان J. Huby, A.-M. Dubarle, X. Léon-Dufour et O. Cullman.

وقد ميّز بين « العلامات » و«الاعمال» في معجزات السيد المسيح بدون ان يفرق بينهما : وانه ليهمنا ان تعرض هذه القضية على القراء الفرنسيين بمثل هذا التشخيص الاكيد . — وعرض ا . دكامب « A. Descamps » دراسة ذات طابع خاص ، مبتكرة ودقيقة ، وذلك على « ملك المسيح العتيد في العهد الجديد » : واقام الحجة المكينة على ان المسيح لا يتمثل فقط «كابن الانسان» او « كمسيح الانقضاء » ولكن كالمسيح الحالي . واننا لنرى كيف يجمع على نقيض ر . بولتمان « R. Bultmann » بين سلطانه في اتيان المعجزات وعقيدة ملك المسيح العتيد وتصدّى بجرأة ج. جبله في الصفحات الخمسين من دراسته الرائعة لمعالجة عقيدة ملك المسيح العتيد للفِرَق « الانقضائية » ولاسيما لفرقة « العهد الجديد » وجعلها في مصاف « عقيدة ملك المسيح العتيد النبويّة » .

وهذه الدراسة الفريدة الطابع برمّتها هي احدى الدراسات التي تطبع — في عين القارئ — الايام المخصّصة بدراسة التوراة بلوفان سنة ١٩٥٢ بطابع خاص.

وانه ليسر ابنـاء الشرق الادنى ان يترأوا ر . دلانج لانه اوضح من نصوص رأس شمرا . فدراسته — التي ربما كانت تفتقر الى الوحدة اكثر من الدراسات الاخرى — صريحة كالسابقة .

ولوفان التي طفقت تهتم مؤخرًا بعلاقة الكتاب المقدس بالتعاليم الجدلية القائلة ان الانسان بمقدوره ان يفهم الله وصفاته والحياة الابدية قد عزمت ان تنظر باعتمام الى الادب السامي واليهودي ، ومـا الامثال التي ذكرها ر . دلانج وانتقاداته الجريئة التي ابداها الا الدليل على ذلك .

وصفوة القول انه كتاب لا يستغني عنه استاذ اللاهوت وطالبه الا بكل صعوبة . اما صفحاته المخصصة بالعهد القديم فبالاستطاعة ان تكون تأثرت بمناقشات مدرسة موفيتكل والصفحات المخصصة للعهد الجديد — وهي اشد جرأة في جزمها — تعدّ صراحة ذات طابع خاص . وعلى المستقبل ان يلفظ كلمة فيما اذا كان هذا الاتجاه سيوالي السير فيه . ل. ليجيه

CHARLES BECKER : *La nuit pascale*, avec une introduction du R. P. J.-A. JUNGMANN. S. J. — Traduction du R. P. BENOIT LAVAUD O. P., Desclée de Brouwer 1953, 206 pp.

يعدّ هذا الكتيّب بغلافه الكرتوني تحفة من تحف الطباعة ، فغلافه ودقة

ورقه وجلاء حروفه تدلّ على شدّة عناية دار الطباعة « Desclée de Brouwer » ولامشاحة فان ما يشتمل عليه لجدير بهذه العناية بالنظر الى غزارة مادته غزارة نادرة.

ولقد قدّم له الاب « Jungmann » اليسوعي المعروف لدى الجمهور الفرنسي بترجمته « Missarum Sollemnia » (Collection «Théologie». 2 vol.). اما شرح « Charles Becker » فبالغ حدّ الكمال : اذ استمد من تعليم آباء الكنيسة والتاريخ واللاهوت والطقسيات القسط الاوفر .

ولقد استفاد من مآثر ف . دولجر (F. Dölger) وڤيلبرت (Wilpert) و . ه . راهنر (H. Rahner) وآخر ما نشره الاب دانيلو (Daniélou) و ل . بويير (L. Bouyer) . واذا ما ترجم نصًّا لآباء الكنيسة المع اليه على قدر المستطاع وفق مجموعة « Sources Chrétiennes ». اما التعليقات فتردّنا إلى كتب افرنسية . اما معنى السرّ المسيحي فاصبح شفافا فيه ومستساغاً . وباستطاعة كل منا ان يقتد هذا المصدر .

ولماذا لا تجاري الترجمة الفرنسية سحر الشعر اللاتيني وجزالة النص الاناني؟ ان نسخة اصلية من هذا النوع جديرة بالمعالجة المتقنة العميقة . على حين اننا نحسّ من الصفحة الاولى المقطع الرابع، بتأويل ثقيل مزعج قلّما يتبدّل . فقوله « ترديدات مطاربات » « ritournelles jubilantes » عندما يتكلم عن ال « Exsultet » (ص ١٩) يتنافى مع الذوق . اما الترجمة في مواضيع كثيرة فعباراتها قديمة « la tant bienheureuse passion » (ص ١٧) . . . اما النصوص الطقسية فمن سوء الحظ ليست ترجمتها بافضل من ذلك لانها قد استوفقت فيها الكلمات القديمة : « ليبدد نور المسيح القائم بمجد من بين الاموات حالك القلب والروح » (ص ٣٣) وان حماسة ال « Exsultet » وشاعريتها تزولان : « ان ولادتنا لم تكن لتفيدنا شيئاً لو لم تفتدَ » « naître ne nous eût servi de rien sans l'a- vantage d'être rachetés » (ص ٣٧) وفي جملة واحدة خطأ املاء وغلطة بالترجمة فكلمة « Ascendit » في الصفحة ٣٨ كان من الواجب ان تكتب « Accendit » والعبارة « Jam columnae hujus praeconia novimus » قد تُرجمت : قد عرفنا مجد هذا العمود . . . » عندما كان من الواجب ان يُقال : نعرف من الآن وصاعدًا (او الآن) . . .

وتصارى القول كنا نودّ ان نعرف فيما اذا كانت هذه الترجمة قد قرئت على الشعب قبل الطبع . لانه من الصعوبة ان يقبلها جمهور المتكلمين بالافرنسية مما يشجبنا اذ اننا لا ننتدى جهود الناشر .

ل. ليجيه

PIERRE BLANCHARD : *Sainteté aujourd'hui*. — Un vol. 14×22 cms. 196 pp. Paris, Desclée de Brouwer, 1954.

قد يبدو من باب المتناقضات التحدّث في عصر الالحـاد عن الصبا الى القداسة . على حين ان المراقب اليقظ يتضح له كل الاتضاح احتلال هـذا الموضوع المقام المرموق في الادب والحياة العصرية : كالسينما والمسرح والقصة والتاريخ والفلسفة .

واذا كان القديس يلفت انتبـاه انسان القرن العشرين ويخلب عقله اكثر من الحكيم — الشديد الاريستوقراطية — ومن البطل الذائع الشهرة — فلانه يبدو له كأثبت حقيقة وجودية واسطعها واشدها وثوقاً . واننا نستمع اليوم الى مخاطبة الانسان والله .

وقد عرّف السيد المسيح القداسة وقدم عليها نموذجاً لا يُحكيه نموذج . فما هي تأثرات انسان اليوم حيال عناصر قاعدة الكمال الفريدة الجوهرية .

وتزانا في هذا البحث مسوقين الى ادراك جدلية التاريخي والازليّ وجدلية الكائن والفائق الكل وحضوره في اعماق الوجدان .

وتفرض القداسة مبدأ تنبثق منه في وجود كليم توّاق ويحـدونا الشوق لمعرفة الاوقات الحاسمة لهذه المغامرة الروحية والسفر الباطني لا في خطوط بنائها الشكلية العامة المثالية بل باختبارات موضوعية : من خوف الانسياق « J. Rivière » حتى نهاية تقديس الكائن .

ويدرس الكتاب دراسة واسعة مدقق الرفض عند « A. Gide » ورغبة بلوغ ما لا تبلغه الآمال عند «Saint - Exupéry» والاتحاد بالمسيح بدون واسطة الكنيسة عند « S. Weil » وقبول النعمة الطلبية والمغربة عند « Ch. du Bos » .

وحرص المؤلف على ان يجعل للتحاليل النفسية الدينية عن طريق الاستشهادات الكثيرة طابع الوضوح والدقة الموضوعية الذي من شأنه ان يضفي عليها القيمة العلمية .

والقداسة على ما فيها من صعوبة وعدم إكتمال ، مبدئيا وعمليا ، هي الحظ الوحيد للانسان الذي يفتش عن حقيقته في الظلام. فهي اذن خلاصهُ . واذا ما اراد ان يؤثر على تطور التاريخ فيعرف لنفسه اذًا دعوة ورسالة. د.د.ب.

P. R. Bernard, O.P. : *Le Mystère de Marie.* — Un vol. 12×20,5 cms. 346 pp. Paris. Desclée de Brouwer 1954.

انه واحد من اثنين او ثلاثة مؤلفات رئيسية مخصصة بمريم العذراء. يبين ان هناك « سرّ مريم » : اي امومتها بالنعمة .

ويعرض الكتاب هذا السر بكل حقيقته وعلى وضوح الاحداث الانجيلية.

وما الامومة العظيمة لامرأة من جنسنا الّا الامومة الروحية الحقيقية برمتها المتصلة باسبابها العميقة ، فمريم امّ المسيحيين لانها ام يسوع العظيمة كل العظمة. فهي لا تنزع من ابنها شيئاً بل تقتبس منه كل شيء. ولا تحط من قدره بل تنشر ما له من سلطان وقوة وهي اسمى عمل من اعمال السيد المسيح .

وتتأتى هذه الامومة الانسانية التي لا تحدها حدود من الامومة الالهية التي اضطلعت بها والدة يسوع .

ولقد بحث سر مريم ، الغالي على انفس كثيرة ، منذ بداءته واتّبعه المؤلف في كل عمل من اعمال امّ الاله العظيمة وتطورها : اولًا في تدرّجها بالنموّ على الارض تدرّجاً كلّي الاستحقاق ومن ثم اغتباطها الجيب السماوي والقوة التي تنبعث منها . وتلقي العقيدتين عقيدة الحبل بلا دنس والانتقال المجيد اللتان تحتفل بهما الكنيسة في هذه السنة انوارًا ساطعة على مرحلتي سر مريم .

ويجد في هذا المؤلف جميع الذين يتأملون بامتيازات سيدتنا مريم العذراء علم لاهوت واسع ومنعم حرارة يبعث في ذهننا استبشارًا لوجود مريم حياتنا ولذتنا ورجائنا . د. د. ب.

Angelo Colombo : *Le Origini della Gerarchia della Chiesa Copta Cattolica nel secolo XVIII.* Pont. Institutum Orientalium Studiorum. Roma, 1953. XIV — 253 pp.

ما برح تاريخ الكنيسة القبطية بجملته مجهولًا ولاسيما تاريخ انضمام قسم من ابنائها الى كنيسة روما .

ولقد التحفنا المؤلف بدراسة تماشي الظروف وافرة الادلة لم يسبق اليها احد اذ بسط امامنا نظرة اجمالية عن عصر غني بحوادثه من العصور المصرية عامة وعن احد عصور الكنيسة الكاثوليكية بصورة خاصة .

ومهد لكتابه بدراسة مقتضبة للاوضاع التي هيأت الارتداد والانضمام بعد ان استعرض بجلاء وضع مصر السياسي - الاقتصادي في القرن الثامن عشر .

ومن دون ان يهمل الالماع الى الصعوبات التي اثارها ذلك الانضمام تابع المؤلف دراسته مصورًا موقف الكهنة الذي رغبوا بالانضمام وما عانوه من اضطهاد كما صور موقف الاسقف اثناثيوس في تردده وموقف المرسلين . . . مستندًا في جميع تلك الاحداث الى ادلة لم يسبق اليها .

وفي سبيل الاطلاع على الاوضاع الصحيحة باحد العهود ، لا شك في ان هذه الدروس التاريخية هي ضرورية ولا مندوحة عنها .

ولا يسعنا الا ان نشكر المؤلف على عمله الذي نرغب اليه ان يتبعه باعمال اخرى من نوعه في سبيل استيفاء معلوماتنا حول فترة ما برحت تخفي عنا نقاطاً كثيرة في غموضها .

ا. عبدو خليفه

Ivan Kologrivof : *Essai sur la sainteté en Russie.* Beyaert. Bruges. 1953. 443 pp.

لقد رسم لنا المؤلف بريشة العالم القابض على ناحية موضوعه لوحة الحياة الروحية في روسيا فجاء كتابه مليئًا رغبتنا الباطنية في التعرف الى جميع قديسي روسيا الذين اعطوها صورتها الحقيقية في الماضي .

وكشف لنا هذا المؤلف الذي صدر عن خير مصادر مؤرخي القديمين الروس منذ مئة سنة عن النفس الروسية الدينية — المتأثرة طبعًا ببيزنطية — ذات الشعور العميق بتفاهة الاشياء المخلوقة ، وبحقارة الانسان ، وبالتجرد ، والنزاعة الى الحياة الثانية الى تبديل وتجديد الكون في آخر الزمان والى الخلاص الشامل .

وانه لمن المستحيل ان نقوى على اختصار مثل هذا الكتاب لان ما فيه من مادة وافرة يقصر عنه كل تحليل فلذلك لا مندوحة عن مطالعته .

ا. عبده خليفه

فلسفة

Averroès : *Tafsir ma bard at-Tabi'at* ; texte arabe inédit établi par MAURICE BOUYGES, S.J. — Notice, CCXVII pp. — in-8° raisin : 16×25 cms.

اصدر الاب بويج في الاجزاء الثلاثة الاخيرة التي نشرها (٢٢٠٠ صفحة) الطبعة العلمية للترجمة العربية لعلم ما وراء الطبيعة لارسطو الذي شرحه ابن رشد والطبعة العلمية لهذا الشرح. ولهذه الطبعات مقامها الهام جداً سواء أكان ذلك من حيث فلسفة القرون الوسطى (شروح ابن رشد) ام من حيث موضوعية علم ما بعد الطبيعة لارسطو ذلك النص الذي كانوا يشكون دائماً من عدم معرفته في العربية. اما الآن فزال ذلك المجهول بفضل كتاب الاب بويج وهو الطبعة الاصلية.

ولئن شئنا الحكم على قيمة هذا الكتاب فلا مندوحة لنا عن ان نعرف كيف كانت طريقة الاب بويج في التفتيش والعمل. ولقد اشار الى ذلك في الجزء الذي تركه ولم ينجز طبعه، الى الطريقة التي انتهجها والى حالة المستندات التي استخدمها (مخطوطة ليدن العربية اليتيمة غير المتجانسة مع اوراق مبعثرة او مبتورة او مفقودة) والى ما استطاع به من ترجمتي كتاب ابن رشد الى اللاتينية والعبرية في القرون الوسطى والى جميع المعلومات التي كدّسها حول مسائل عديدة تتّصل باصل الترجمة العربية (او بالاحرى الترجمات العربية) لعلم ما بعد الطبيعة اليوناني وحول الترجمتين اللاتينية والعبرية لشرح ابن رشد الكبير.

فلولا هذا المصنّف الكبير (٢١٧ صفحة) لظلّت المؤلّفات السابقة كلها مشوّهة.

ولقد انجز طبع هذا الكتاب بفضل الاب هنري فليش الاستاذ في معهد الآداب الشرقية.

ا. ع. خ.

H. URS VON BALTHASAR : *Le chrétien et l'angoisse.* — Traduction de Claire Champollion. Un vol. relié. 11,5×18.5 cms.120 pp., Paris. Desclée de Brouwer 1954.

وضع اساقفة اجيال الكنيسة الاولى علم اللاهوت للاجابة على اسئلة ايامهم وتعاليمها. اما الاوضاع الجديدة فتقتضينا اجوبة جديدة.

ومنذ امدٍ بعيد صوّر الرجال المفكّرون غصص ايامنا الآخذة دائماً بالازدياد.

ولئن كان الجواب اللاهوتي في هذا العدد ما يزح مفقودا فقد توفى اورس فون بالتازار سدّ هذه الثلمة ووضع درساً لاهوتياً يعالج قضية الاجابة على غصص الانسان واصدره في « Présence Chrétienne » مجموعة الشؤون اللاهوتية والدينية القائمة .

د. د. ب.

تاريخ

حول كتاب الهدى وتاريخ الطائفة المارونية -

بقلم الاب بطرس فهد

مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية – لبنان ١٩٥٤ ، ٢٧٠ صفحة – حجم كبير

لا نضنّ بالاطراء على طبعة « كتاب الهدى » الشهير اساس الحق القانوني للامة المارونية . فقد نال في وقته كل تحبيذ وثناء اذ ان حضرة الاب فهد قد بذل في سبيله كل ذكائه وافرغ في وضعه جميع شغفه بالعمل والدأب على البحث العلمي .

وعلى رغم كل هذه المجهودات ما برحت هناك بعض نقاط موضع الاختلاف فيها وغير واضحة كل الوضوح كالوقوف على واضع الكتاب واسمه الاصلي ، او كثبات المارونيين مثلاً على تمسكهم بالسدّة البطرسية وغيرهما .

ولقد تريث المؤلف ليقع على تعليقات اولي الكتابات بصدد ما جاء به من اقوال فجمعها في فصول مختلفة واجاب عليها في كتابه هذا . فمعظم الكتاب الذي نحن بصدده يدور حول الدراسة التي خصّها الاستاذ غراف بطبعة كتاب الهدى وتناول فيها قضية ثبات المارونيين على استمساكهم بالطريق القويمة ، ويلوح لنا ان هذه القضية قد تشغل وقتاً طويلاً العلماء بدون ان يوفقوا الى اجماع رأيهم بشأنها . ولئن وردت شهادات لا سبيل لدحضها على ثبات المارونيين في تمسكهم باهداب السدّة البطرسية فثمة من ينكر ذلك وينتقده بالاستناد الى نزعاته الخاصة . لذلك من رأينا اقفال هذا الباب . اما حضرة الاب فهد فقد أيد اجوبته حول هذه القضية بالبراهين المقنعة .

والقسم الآخر من الكتاب يشتمل على اجوبة سابقة ظهرت غداة صدور طبعة كتاب الهدى وهي ردود على كل من سوّلت له النفس التصدي الى

احدى النقاط التي يؤيدها المؤلف .

وقد جمع المؤلف في آخر كتابه شتّى الايضاحات التي نشرتها المجلات الكبرى .

ولكني لا اقوى على اهمال ذكر تلك الصفحات القيمة التي افرغ فيها المؤلف جميع ما يكنه فؤاده ولاسيما اذا ما تصدى الى الكلام على القديس مارون والمارونيّين والطوائف الاخرى .

ولا يسعنا الا الثناء على الكاتب الذي اقتضاه مؤلفه عملاً كبيراً كما انه يثلج صدرنا ان ينسج غيره من المؤلفين على منواله ليقفوا علمهم الواسع وجرأتهم على اسداء خدماتهم الى ما ورثناه من مآثر عن الاجداد . ا. عبده خليفه

ALY MAZAHÉRI : *La vie quotidienne des Musulmans au Moyen âge.* X^e au XIII^e siècles, 319 pp. Hachette, Paris, 1951.

لا نستطيع الا ان نشكر قيّم مخطوطات المكتبه الوطنيه الايرانية على هذا الكتيّب الرائع الذي اتحفنا به ، فهو كتيّب من المستحيل تلخيصه لانه معين معلومات لا ينضب يتناول حياة المدن الاسلامية البورجوازية ولاسيّما مدن الشرق الادنى من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر .

والعبارة المدوّنة على علافه « الف يوم ويوم لالف ليلة وليلة » تشير مدلّلة الى روعة هذه المجموعة ذات العلم الثرّ .

اما ما ورد من التفاصيل وقد اشير اليها اشارة خاطفة فمجموعة في لوحات : العيلة ، حياة المدينة ، الحياة الصناعية . على حين ان المستندات قليلة بعد ايضاح نوع الكتاب وحذرها في آخره وذلك مما يبعث على الاسف لانها لا تذلّل عمل من يتصفّحه . اما ثبت الكتب الموجز كل الايجاز لجميع هذه الثروات التي ينبغي التعمّق في معرفتها فانه لا يعيد ذكر المؤلفات المشار اليها في المستندات مما جعلها غير كاملة . وعلى رغم هذه الشوايب التي يسهل تداركها في الطبعة الثانية فالكتاب لا تستغني عنه مكتبة اي اديب كان ليطلع من وقت الى آخر على فصل من فصوله . هـ. ش.

IDA-MARIE FRANDON, Docteur ès-lettres : *L'Orient de Maurice Barrès, Étude de Genèse.* in-4°, VIII — 494 pp. — Société de publications romanes et françaises. XXXV, Genève et Lille, 1952.

بارتياح كبير تلقّينا هذه المأثرة الرائعة التي زانها عنوان لطيف باسم احد

باء هذه الجامعة ، جامعة القديس يوسف ، التي استقبلت بارس (Barrès) واطلق عليها في كتابه الـ Enquête الاسم الذي اصبح تقليدياً رائجاً الا وهو : « منارة البحر المتوسط الشرقي الفكرية » . وقد احتفر له اثر تذكاري اعترافاً بذكراه.

واذا ما اطلعنا على هذا المؤلف توّلتنا الدهشة حيال الاهتمام والدقة الوجدانية اللتين وضعت بهما الدكتورة فراندون هذا الكتاب من دون ان تهمل شخصاً او نصاً او رأياً . فنيه الف مقارنة دقيقة وطويلة النفس.

والذيول والتعليقات مع استشهادات المراجع والفهرست وتلخيص الفصول وكلها موسعة توسيعاً كافياً قد جعلت في آخر الكتاب وباستطاعة الباحث ان يتبصّر بكل الوجوه دون عناء ، امّا اذا كان لديه بعض متّسع من الوقت فان اول ما يصادفه فيه من الكنوز يقوده حتماً الى مطالعة الكتاب من أوله الى يائه .

ولسنا من اولي الادب والفلسفة والتاريخ لندّعي انه باستطاعتنا تقدير هذا الكتاب ومع ذلك نرى من واجبنا ان نشير الى كونه انسانياً آخاذاً والى تحليلات نفسانية بارس المتنوعة الالوان وقد اوضحت بفنّ عرف ان يصهر بالنص الاستشهادات الكثيرة التي لا مندوحة عنها . ولقد اماطت اللثام عن الشعر الشرقي وخاصة الفارسي الذي نقله بارس وفسّر تفسيراً مدققاً. وكل هذا يظهر انا رجلاً عميقاً ورقيقاً كنا نعرفه ولكن لم نكن نحسّه الاحساس المرهف الذي ظهر هنا .

ولئن استسمحت لنفسي ان اعرب عن شيء طبعاً لا عن انتقاد ولكن عن اسف لرؤية اقتضاب الفصل المخصص في نهاية هذا المؤلف بكتاب الـ Enquête . فان هذه الدراسة الدقيقة البحث كان عليها ان تسمو به الى ارفع الذرى .. . ومهما كان هذا التحليل الذي جيء به في هذا المقام دقيقاً فانه ما برح يفتقر على الاقل الى شيء من الحيوية بالنسبة الى الفصل السابق. فانه لم يرو لنا غليلاً.

ولكن عُرضت علينا صوفية بارس بشكل شديد الخلابة فانها لو أُوضحت بالالوان وانعشت بالشعور الذي خطه كتابه الـ Enquête لكانت اشد خلابة وباتت ذات قيمة جلّى ، كما نراه في تصويره منخفضات ادونيس او جبال النصيرية او رقصة راقصي قونيه وقد اعتراهم منها الانذهال وسط انسجام الحركات.

ولقد حشد امامنا حدس المزلفة في الفصل السابق المعنون « في نهاية الحلم» ميزات اورونت (Oronte) وايزابل وما ذلك الا لنبرز لنا هيام العليي الضعيف وخيانته من دون دناءة » . امـا بالنظر الى التوسع في دراسة un Jardin sur l'Oronte وما ترمي اليه فقد كان بمقدور ايدا ماري فراندون ان تنتهي اليها . افليس باستطاعتنا ان نعتبرهـا حقاً آخر مأثرة لبارس ؟ افليس ال Enquête من قبل الحرب ؟

ان دراسة un jardin sur l'Oronte هي ايضاً كالقصة نفسهـا في دائر صغير ، وحلية حية نابضة ومؤثرة ورائعة كفرخ العصفور الصغير الغريب . فبهذه الحياة وبهذا الفن ان لم تبلغ الصوفية الحقيقية فالى أعمق انغام موسيقى بارس الشعرية الباطنية على الاقل . ه. ش.

VICE-AMIRAL GODEFROY: *L'aventure de la force X à Alexandrie(1940-1943)*. — In-8° ; IV+532 pp. — Plon. Paris, 1953.

لا شك في ان الجميع في الشرق الادنى، صديق فرنسة، سيقبلون على مطالعة هذا الكتاب تحدوهم الرغبة في معرفة « سبب » المواقف التي اتخذها اسطول الاسكندرية ابّان الهدنة وفي معرفة سرّ جوده المتطاول على رغم المثل الذي ضربته الباخرتان « اوبانيو واتيين دورف» (Aubagneau . Étienne d'Orves) ؟ وعلى رغم نزول القوات في افريقيا الشمالية واجتياح فرنسا وطولون .

والظاهر ان عنوان الكتاب « المناصرة » لا يدل مطلقاً على الواقع بعد جمود الاساطيل طوال ثلاث سنوات الحرب . وفي سبيل ذكرى الاوامر التي اصدرها مفوض بحرية حكومة الجزائر واقال من الخدمة بموجبهـا اميرال القوة واحاله على التقاعد للجمود الذي ابداه اسطول قتاله واستمرّ عليه على حين ان السرّ اندروس كنيجهام واسطوله كانا يبذلان مجهوداً فوق طاقة الناس فان اضبارة هذه المستندات والتعليقات الشخصية الكبيرة هي قبل كل شيء «مرافعة ودفاع شخصي » .

ويمهّد لهـذه المرافعة بمقدمة نشكّ بموضوعيتها . فانه لم يكن موضوعياً الاخذ بذرائع سنة ١٩٤١ في عام ١٩٥٣ بشأن الطائرات الالمانية على المطارات السورية . فلقد انقضى اثنتا عشرة سنة على التحقيق الذي قام به السيد هنري

سيريج (Seyrig) وذكره بدقة وجدانية معروفة واوضح بالاستناد الى برقيات الجنرال دنتز (Deniz) عدم صحة تلك الحقائق المبتورة .

وما يمضنا في هذه الصفحات التنكيل الذي يقوم به الاميرال غودفروا بتلك الحركة التي يرفض ان يسميها فرنسا الحرة والمحاربة . ولقد كان اولى بقائد كبير اكثر من غيره ان يفهم عظمة المهمة التي اضطلع بها الجنرال ديغول طوال مدة المأساة وثابر عليها في تلك السنوات السوداء . فعلى ظهر الباخرة دوكن (Duquesne) كانوا يجهلون الشعار القائل : « اصعب امر في فرنسا المقاتلة وان نتمكن من الوصول الى القتال». وفي غضون الانتظار الطويل بين معركتين وفي اثنا. تعيين « الدوائر » لقد كان كل فرد متطوعاً ويجدد دائماً تطوعه للقتال . اما الاميرال وضباطه وبحارته فقد كان تحت امرتهم بوارج حربية ومدافع مصنوعة للقتال ولم يشاؤوا ان يستخدموها على حين ان«المغامرين» رجال المغامرة الحقيقية الرائعة، كان عليهم ان يستجدوا وقتاً طويلاً واحياناً ان يعيدوا خلفاءنا– وكانوا غير مؤهبين بالذخائر – اعتدة وحتى القطع المفككة من السيارات او من البوارج . فقد عاشوا مغامرتهم لا كما يعيش اولاد جوقة المرتلين بلا بتفكيرهم كقرصان . وانا اتحدث عن بحارة عرفتهم كانوا يحرصون الحرص كله على الشرف العسكري وعلى القانون الذي ينص على ان من يلقي سلاحه قبل ان يستنفد جميع ما لديه من وسائل للحرب يعد مجرماً . واذا ما طلب تسامح الاجيال الطالعة للتراث بالاستناد الى الزعم انهم انقذوا الاثاث فمن المناسب ان تفهم تلك الاجيال المقبلة وتكرم الذين دفعتهم مروءتهم الى ان يضحوا بانفسهم في سبيل انقاذ الشرف فان هؤلا. قد قضت لهم الحرب بان الحق في جانبهم .

واذا كان الاميرال قد انصف في تأويلاته الطويلة الذين خاطبوه من رجال الاسطول البريطاني لسمة نظرهم وكياستهم وصداقتهم القيمة ولا سيما السر اندروس كنيجهام فانه ولا ريب غير منصف لرفضه الاعتراف بنبل تشرشل ذلك الرجل الحاد الطباع والذي نزل عند رغبة بحارته وانتظر حتى نهاية ١٩٤٢ ليسمع عن اسطول الاسكندرية ... تفقاته الشخصية .

وبلغ اذ ذاك ضيق نظر الاميرال غودفروا مبلغاً قلب ضده في اثنا. نزول

الحلفاء في افريقيا الشمالية جميع الآراء بالاجماع وحتى رأي اصدقائه كنيجهام ورفاق جيرو (Giraudiens) بالجزائر. ولقد اتهم جميعهم بانهم لم يفهموا صعوباته التي كان يلاقيها ليطيعه ضباطه ورجاله ، بيد ان الذي يحمل على الدهشة هو انه كان قد جعل من النظام الفضية المسيطرة على رجاله الذين كانوا قابعين في كنف الراحة . وكيف لم يتدبر الامر مبكرًا ولم يوسع نظره منذ مونتوار (Montoire) ليتقيد الآن بامر ضيق النظر . ولربما كانت ذرائعه وحججه التي تذرع بها منذ تشرين الثاني ١٩٤٢ حتى ايار ١٩٤٣ مقبولة ومجدية قبل وقوع الحوادث المنتظرة ، فتذرعه بانه قد اطاع اوامر مارشال قد سجنه العدو وعدم تمكنه من فرض معنوياته الفردية بازاء رأي المجتمع ليستا الا حجة عليه . فلو كان نقى موقف رجاله المعنوي من الشوايب مسبقًا لكانوا ذللوا بسهولة صعوبات اعداد بوارجهم للقتال .

وبعد استماعنا الى هذا الدفاع يقدورنا الاستمرار في الاعتقاد مع الحكومة التي كان يمثلها السيد جاكينو (Jacquinot) « ان ذلك التريث ما زاد في غنى المواصلات البحرية الفرنسية » . واننا لنوافق بل. ارادتنا على الحكم الذي اصدره السيد و . وياكيه في المؤلف One World : « هو ضابط افرنسي كفو. ... يكاد يكون غافلًا عن كل معنى للحرب فيما خلا دائرة رتبته كضابط ولقد تأتى خوفه من اعمال البحرية البريطانية ضد بوارجنا ورجالها عن غفلته هذه . ولئن جرح بحري افرنسي فذلك امر مألوف . اما القائد المطلع على الستراتيجية البحرية فعليه ان يتوقع ان القضية هي قضية موت او حياة . وان بوارجه قد قذهب ببضع دنائق الى قعر اليمّ ، وان على حلفائنا ان يتخذوا الاحتياطات لسلامتهم وان يحافظوا على التوازن في البحر الابيض ، ذلك التوازن الذي كان واهنًا وان الانكليز بعقليتهم القصيرة والفطرية لا يفترضون البتة ان القوّاد — بينما يفرضون احكامهم — وهم وحدهم الحكم في المأزق الحرج ، يرفضون مقترحات مقبولة وان لم تكن الّا اللجوء الى الماريشيك كما يقترح الاميرال غودفروا نفسه على دولان سنة ١٩٤٢ .

ورأى حلفاؤنا انفسهم قبيل انتهاء مدة الانذار ليتقلوا بوحشية الى التقتيل لان قائدًا بحريًا اعوزته القوة ورباطة الجأش فابرق يستمد الاوامر ويدافع عن

نفسه . اما سمرفيل (Somerville) وجنسول (Gensoul) فانكفأ عن العمل كقائدين في مرس الكبير وما كانا الا منفذين : وتمثلت ادوار المأساة المخيفة بين لاڤال وتشرشل . واما القوة X فكان نصيبها ان يصبح على رأسها احد القوّاد مع ضباطه فيضطلع وحده بالمسؤوليات فكان من حظها ان يرابط بالاسكندرية كضيف على رجل بحر كبير ، اميرال بكل ما في هذه الكلمة من معنى واميرال حسب التقاليد البحرية التي لا فناء لها . فعرف الاميرال كنينجهام بسعة نظره ورحابة صدره ان يجد الحلول المقبولة لرفاقه القدماء في القتال الذي نال منهم البؤس منذ بسبب هزيمة بلادهم . ويوصف هذا الاميرال الانكليزي قائداً للبحر تمكن بما لديه من اخلاق ان يستخدم نفوذه كسيد بعد الله وان يفرض حلّه ويضع رئيس حكومته تشرشل نفسه امام الامر الواقع وان يحافظ على هذا الحلّ بارادة حازمة وصبر لا هوادة فيه وكياسة سمحاء على رغم الضغط القوي .

وحري ان يطلق اسم « المغامرة » الذي اختير لهذا الكتاب على هذا الرجل النبيل الذي تجسّمت فيه صداقة الاسطول البريطاني للبحرية الفرنسية . واذا استطاعت فرنسا وحلفاؤها ان تستخدم في سنتي الحرب الاخيرتين اسطولنا واسطول قناصة البحر فالفضل في ذلك عائد الى نبل هذا الاورد وحكمة قاهر تارنت (Tarente) وماتابان (Matapan) وقوته . اما قيمة الصفحات التي كتبها الاميرال غودفروا فاعراب فرنسا وبحريتها له عن جميله امام التاريخ .

هنري شارل

RÉGIS BLACHÈRE : *Histoire de la Littérature arabe des origines à la fin du XV^e siècle de J.-C.* — Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, Maisonneuve, 1952, XXXIII — 186 pp. grand format.

لقد شرح صدرنا اسلوب المؤلف وغزارة موضوعه في هذا الكتاب الذي اعتذر في مقدمته تكراراً ويبرّر نفسه عن اعتماده هذا الاسلوب في عمله ، وما ذلك الا صدق العالم او بالحري تواضعه .

ولا سبيل للريب في ان تواضعه ليس الا تواضع العالم الحقيقي الذي لم يحل بينه وبين اتخاذه موقفاً صريحاً حول غير نقطة من النقاط التي درسها كتعريفه

الادب في معنى ضيق لا يتناول حتماً كل ميدان المكتوب وكاقترحه تقسيماً جديداً لعصور الادب العربي مقتبس من اعتبارات ادبية اكثر مما يستند الى ثورات الاسر المالكة او الى الحوادث السياسية وان كانت عظيمة الاهمية ، لان مثل تلك الحوادث قد تؤثر على اديب او على غيره بيد ان الذي يبعث الفترة في القوالب القديمة التي لها محلها في تحول التيار فاشعاع المراكز العقلية وظهور تيارات فكرية .

ولم يهمل المؤلف الموضوعي في تبسطه التفكير في ان اصطناع اللغة بتطورها ، وان الوسط الجغرافي والجنسي والاجتماعي كل هذه تؤثر كل التأثير على شتى الادباء وتُبدع عصر ادب جديد .

ويخيل الينا أن هذا من عمل المؤلف الشخصي الذي ولج به الادب العربي واسترشد به في دراسته ، اما عمله الآخر فيقوم على اهتمامه الشديد الاهتمام باللغة وبادخال الكتابة .

ويبدو لنا ان طريقته هذه هي خير الوسائل لشهد ازدهار الادب ان كان عليه ان يماشي اتساع اللغة .

وهذا المصنف الذي اخذنا على عاتقنا امر تحليله مؤلف من دراستين تشتمل اولاهما على ثلاثة فصول وثانيتهما على فصلين فقط . اما فصوله فعرض جزيل المعاني تتناول قروناً وعصورات وشؤوناً حاول المؤلف ان يحلها . . . اما لوائح الكتب الغزيرة المناهل والملحوظات العميقة الفوائد فضمان على ما جاء به من اقوال .

ونحن على احر من الجمر بانتظار جزئه الثاني من تاريخ الادب العربي الذي سيكون بدون شك جزيل الفائدة لباحثي الغد .

ويا ليته لم يهمل الحاق فهرست بتراجمه في آخر الكتاب وثبت بالاعلام تاماً للفائدة .

ا. عبده خليفه

Bibliotheca græca Aevi posterioris, *I Studies and Documents relating to the History of the Greek Church and People under Turkish Domination*, by Theod. Papadopoulos, M. A. (Lond.) Gr. in-8°, XXIV-507 pp. 2 pl. Sealdis, Wetteren — Belgique, 1953.

ما برحت مجهولة حقبة تاريخ الكنيسة اليونانية الممتدة من سنة ١٤٥٣ الى

١٨٠٠ ، ولا تزال المستندات التي تتعلق بها قليلة ومبعثرة فلذلك نشكر المؤلف على الماعه الى اسماء الكتب والمصادر اليونانية« للمستندات » و«السلطات الاولى» بيد انه ما زال هناك امور جمة بعد ثبت « E. Legrand » وهو الثبت الوحيد الشهير للمراجع اليونانية .

وفي صفحاته الاولى البالغ عددها ١٨٥ صفحة وكلها توطئات وصف المؤلف وصفاً خاطفاً استئناف الكنيسة اليونانية لسلطتها الخارجية والروحية عقب سقوط الامبراطورية البيزنطية (والامتيازات التي منحها محمد الثاني) ومن ثم وصف تنظيمها الاداري وتقسيمها الجغرافي لمراكز الاساقفة وكراسي البطريركيات وعواقب النظام الاكليريكي (الذي حلّ محل الامة) بالنظر الى مصاير الكيان اليوناني .

وشرع الاستاذ Papadopoulos بعد عرض الميزات العامة عرضاً جلياً بمعالجة غرض موضوعه الاساسي فنشر القصيدة الشعرية المحفوظة في المخطوطة الاضافية ١٠٠٧٧ بالمتحف البريطاني وعنون لها بما تقوى على تسميته « بعمق الانشقاق » .

اما صاحب تلك القصيدة الهجائية فما برح مجهولاً غير ان التحليل والنقد الباطني فيدلان على انها وضعت حوالي سنة ١٧٥٠ ويحتمل ان يكون احد العلمانيين الذي كان يعمل مستخدماً في البطريركية ابان احتدام ذلك الخصام الذي قسم اليونانيين حول قضية سر المعاد بعد ان اوجبه البطريرك كيرللوس الخامس على كل لاتيني ينضم الى الكنيسة الارثوذكسية .

وذلك الهجاء الذي تظاهر بانه من انصار البطريرك كان تلميذ خصمه اللدود متروبوليت بريلاف (Priilav) كالينيكوس (Kallinikos) فحمل من طرف خفي على فرقة « الاناباتيست » .

وما اشعار المخطوطة الاولى وعددها ١٥٨٠ بيتاً الا تشنيع بحق اوكزنيوس (Auxentius) (احد الرهبان المتطرفين من انصار البطريرك كيرللوس الخامس). اما من الشعر الا ١٥٨١ الى البيت ٣١٧٩ فخصّه بالبطريرك كيرللوس وبشجب نظريته .

ومما يوضح ما المحت اليه تلك القصيدة ، المجادلات التي كانت محتدمة آنذاك ، ومناهضة كبار رجال الكنيسة الرسمية لتدخل رسالات القسطنطينية وحلب

اللاتينية في عهد كيرلوس الخامس (١٧٤٨—١٧٥٧) والمكايد السياسية .

ويوضح الكتاب (Critical Introduction) هـذا الموضوع ايضاحاً كافيا ويشتمل على تقدير مؤرخي ذلك العصر (تفضيل ماكرايس على فندوتيس) ومن ثم الى احكام كيرلوس الخامس والى نقد بلانوسباراكتيس (Planosparaktès) من وجهة النظر التاريخية .

وهذه الدروس والمستندات هما من وضع مؤرخ علماني وقومي يدفع عن يوناني القرون المظلمة تهمة الجهل ويستصوب مناهضة الاكليريكيين لتـدخل « اللاتين » ويـرى انقاذ الكنيسة للغة اليونانية فتُعدّ بذلك الحماسة اللاهبـة للاستقلال الذي اخذ يشجبه كيرلوس الخامس تحت الضغط التركي .

وهذا المؤرخ هو من المعجبين مع ماكرايس بكيرلوس الخـامس ضدّ جدعون مؤرخ البطريركية الشاملة الشهير فهو اعمى كما نقرأ ذلك في الصفحة ٢٤٣ ، فجيال هذا الامر قد تطوّرت عقائد الكنيسة مها بدت ثابتة وتبدّلت الظروف التاريخية وذلك اما عن طريق الاضافة اليها واما عن طريق تأويلهـا تأويلا مرناً . ولئن صدّقنا الاسطر التالية : « ان ما نسميه انشقاقاً » ليس الا مماشاة للظروف و« شكل تنظيم اكليريكي جديد » .

أفليس من الباعث على الاسف ان يُقدم مؤرخ ليس بلاهوتي على ابـداء رأي جري في شؤون لاهوتية ؟ ر. م.

MARIUS CANARD, Professeur à la Faculté des Lettres d'Alger: *Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie.* Tome I. in 4° de XVIII-864 pp. avec 10 cartes ou plans hors-texte. Publication de la Faculté des Lettres d'Alger 1951.

تقع في هذا المجلّد الكبير الجزيل الفوائد على تاريخ وصول قبائل الصحراء السورية الى اعتلاء كرسي السلطة وكيفية بسط سيادتها في غضون الفترة الفاصلة بين عهد انحطاط الخلافة العباسية وبين الامبراطورية السلجوقية في القرن العاشر المسيحي .

ولقد مهّد المؤلف لوصف الحوادث بدرس انتقادي لمراجع موضوعه ومصادره وخصّص خمسة واربعين صفحة بذكر المؤلفات التي تتصل عن كثب بموضوعه .

وهذا المؤلف العلمي التاريخي ينقسم الى خمسة ابواب هي : المحيط الجغرافي ،

ونشأة الاسرة الحمدانية ، وامارة الموصل وامارة حلب والحرب بين العرب والبيزنطيين وطليعة الحروب الصليبية .

ويستحق الامراء الحمدانيون ولاسيما اشهرهم سيف الدولة المحبوبون الى قلب السوريين ان يكون تاريخهم اوسع انتشاراً .

وان ما تحلى به اولئك التغلبيون من عزيمة وشجاعة ومن ثقافة اكتسبوها وهم ابناء الصحراء السورية ، وذلك عقب الفتح الاسلامي الذي كان مفاجأة كبرى لهم ، وان ادراكهم الزهيف للسياسة في غضون العهد العباسي قد خولهم تأسيس دولة حقيقية من ولايتين متجانستين تضم جميع البلاد التي كانوا يقطنونها اولاً وارتجلوا عنها . ولقد عملوا في القرن الرابع الهجري اكثر مما عمله الامويون واصلهم من الحجاز لنشأة الوطن السوري .

واننا لنرجو ان يرسم لنا الجزء الثاني الحياة السياسية والاجتماعية في سورية الشمالية على ضوء الوقائع التي تصدى لها في هذا الجزء بذلك العهد وان يصور الحياة في جانب عاصمتهم الشديدة الزهو والفتنة .

واذ نحن ننتظر قريباً صدور هذه الدرة اليتيمة لا يسعنا الا شكر السيد كاتار على بحوثه التي استوجبت منه تنقيبات طويلة واعية. هنري شارل

اجتماعيات

مم يشكو الناس ، مصير العالم ، رهن مصير العامل

مطبعة العمال اللبنانيين – الحازمية – بيروت ٢٢٢ ص قطع ٢١ × ١٤٫٥٠ س

لا تزال المؤلفات التي تعالج المعضلة الاجتماعية قليلة باللغة العربية مع ان الحاجة شديدة اليها ولذلك لا نستطيع الا ان نبتهج اذا ما رأينا كتاباً ككتاب الاستاذ صقر يصدر ويتحفنا بتاريخ الحركات الاجتماعية ، ويحكم عليها على ضوء التعاليم الروحية السديدة . وقد اعطى المؤلف الواسع الاطلاع على الكتب الاوروبية في هذا الشأن في كتابه الصغير الحجم والمشحون بالافكار تلخيصاً لدراساته ولاسيما لاختباراته وتفكيره .

ولا اود ان اغالي بتقدير قيمة كتاب يفرض نفسه فرضاً في بابه غير اننا لم نتعود الا قليلاً الكتابات الاجتماعية لنمر بها فلا نكاد نوليها اهتماماً كبيراً .

وما تفتيشه عن الوسائل التي اتخذتها الافكار لشقّ طريقها وما ابرازه بكل جلا. ووضوح مسؤوليات رأس المال والكادحين في بلدان غيرنا الا استشارنا للاوضاع الراهنة الذي يجنبنا الثورات والانقلابات التي رافقت في البلدان الاوروبية تناحر الطبقات او الربح الذي تجنيه الطبقة المالكة من الطبقة العاملة . فينبغي ان يكون كتاب الاستاذ صقر موضوع تفكير الكثيرين من قادتنا وان يكون في اساس تكوين الناشئة الطالعة تكويناً اجتماعياً .

ا. عبده خليفه

LE GÉNISSEL : *Proche-Orient Moderne — Perspectives Sociales.* Éditions « Les Lettres Orientales ». Beyrouth, 1952. 190 pp.

لقد اعرب عنوان الكتاب الذي نشره الاب لوجنسيل مدير معهد الاداب الشرقية عما يقصد منه تماماً ، اذ اراد ان يوضح اشكال مجتمع الشرق الادنى الاساسية ومجمل تطورها بخطوطها الكبرى في غضون السنين الاخيرة . وفائدة هذه الدراسة قائمة على كونها مستجدّة لان المعضلة الاجتماعية في الشرق الادنى لم ينظر فيها حتى الآن بمجموعها . واستطاع المؤلف بصرفه النظر قصداً عن تفاصيل هذه القضايا ان يبين جلا. اتمّ ملامح كتلة الشرق الادنى وان يوضح ان معضلة التنظيم الاجتماعي واحدة فيه على رغم اختلاف اجناس شعوبه واديانها واشكالها الاقتصادية والسياسية . وعلى رغم مجهودات بعض حكوماته البارزة وهي المجهودات التي لا تفتأ تبذلها فان هذه المعضلة لم تجد بعد حلّا وافياً .

وتسمح لنا النتائج التي فازت بها مختلف حكومات الشرق الادنى ان نقيم المقايسة بين شتى ضروب تشريع العمل فيه. فيخيّل لنا بوضوح ان العمل الاجتماعي ما برح في اوله وانه يتقدم تقدماً بطيئاً. ولا يقوم الامر بتطبيق قواعد مفهومة ضروريتها المنطقية سلفاً وانما يقتضي الواجب بان يحقق الامور الضرورية، فعلى الحكام ان يقيسوا البرهان على تحليلهم بفكرة وطنية واعية حكيمة وبالعزم على فهم الوقائع فهماً سرهفاً. وميزة مؤلف الاب لوجنسيل هي كونه خير معوان للمسؤولين للاستزادة من ادراك الواجبات التي تقع على عاتقهم بانجازه في الغاية التي توخاها الا وهي مساعدة امم الشرق الادنى على ايجاد توازن داخلي افضل منه الآن لتزويد شعوبه العاملة بالرفاهية والطمأنينة اللتين ما برحتا مفقودتين . ا. ع. خ.

Naissance du prolétariat Marocain. Cahiers de l'Afrique et de l'Asie. III. chez Peyronnet et Cie — 33 rue de Vivienne — Paris. 291 pp. — 61 planches hors-texte.

للمجلد الثالث من « الدفاتر » الافريقية الاسيوية المخصص لنشأ الطبقة الكادحة المراكشية اهمية كبرى لا للعلماء الذين يكبون على دراسة تطور الطوائف الاسلامية الحاضر فقط بل لكل علماء الاجتماع . والقضية التي تناولها بالدرس هذا المجلد من « الدفاتر » ليست القضية المراكشية وحدها بل هي القضية ذات المسألة المتشابهة على جميع ضفاف حوض البحر المتوسط الجنوبي الشرقي . ولقد اسفر التحقيق الذي استمر سنتين بادارة السيد ر. مونتانن (R. Montagne) وقام به زملاؤه الكثيرون عن عناصر معلومات قيمة في جميع الحقول : من عنصرية واقتصادية وثقافية واجتماعية الخ . . . وهذا التحقيق لا يدّعي انه قد تناول الواقع المراكشي برمّته ، بيد انه يتصل باحد اشكال الحياة المراكشية الحضرية البارز : الا وهو هجرة السكان من المنطقة الجنوبية صوب مدن الشمال والساحل الاطلسي .

وان سبب هذه التنقلات الرئيسي مردّه الى ما يلاقيه الفلاحون في الجنوب من صعوبة في حياتهم آخذة دائماً بالازدياد، لان عدم انتظام الامطار جعل الزراعة بدون انتظام ، ولان زوال الغابات من على القمم قلل من تبطالها وصيّرها من الندرة بمكان فلذلك ازدادت الهجرة في سني الجفاف ازدياداً عظيماً . ولئن قلنا الهجرة فنريد بها هجرة الشبان الوقتية قبل كل شيء. فهؤلاء الشبان يؤمّون المدن ليكسبوا ما يقوم بارود عيالهم التي ظلت في الدارة « دوار » حتى يجيء موعد الموسم الجديد .

والى جانب هذه الهجرة الموقوتة ثمة هجرة ثانية تزداد يوماً عن يوم الا وهي الهجرة التي لا عودة بعدها . ونعني بها هجرة عيال برمّتها تنتمي الى قبيلة واحدة لتزم رساتيق المدن الكبرى وتبني لها فيها مخيمات صغيرة من الخشب وتقيم فيها . فتألف على هذه الصورة احياء جديدة من هؤلاء الكادحين ، أحياء محرومة الطرقات المنظمة والماء ويسمونها « الرساتيق » (bidonvilles) .

وفي هذه الاحياء الجديدة لا تعرف الحياة استقراراً . اما شروطها الصحية فسيئة واما الاخلاق فيها فقد تراخت تراخياً عظيماً .

ورد على ذلك فان العدد الجمّ من هؤلاء المهاجرين يفضلون السكن في رستاقهم على الاقامة بالمدن المكتظة بالسكان لانهم ينعمون برساتيقهم بقسط اوفر من الحرية . وليس بمقدور هذه الجماعات التي غادرت مواطنها ان تبقى على هامش الامة وانما عليها ان تندمج شيئا فشيئاً بجمهرة المدينة اندماجا يسفر عن معضلة الحياة بمراكش في الساعة الراهنة .

والتحقيق الذي عرضه السيد مونتاين لا يكتفي ببسط احصاءات الهجرة وانما قد اجتهد بتصوير مراحل تطوّر هؤلاء المدنيين الجدد تطوراً نفسياً واجتماعياً اذ ضرب لنا امثالاً على ذلك استمدها من الافراد وانتزعها من الحياة وبواسطة تصوير كل عيلة على حدة .

ولقد اوضح لنا كيف توزّع هؤلاء المهاجرون في وسط شتى المهن : كعمال مصانع ، وتجار صغار ، وصناع ، ومستخدمين تحت ايدي غيرهم في المصالح البلدية الخ ... وافهمنا الاسباب التي حملتهم على اختيار هذه الاعمال .

وثمة امر مهم قد اوضحه لنا ايضاً الا وهو محافظتهم في قلب فئاتهم المقتلعة من مواطنها على تقاليد القبيلة . ولم يقبل بدون صعوبة بربر الجنوب العادات التي استمرّت عليها طويلاً حياة هؤلاء الاقوام القبلية وهي احرى بالمدن الاسلامية ولم يذعنوا لها بسهولة . ولقد كان لاحتكاكهم بالاوروبيين وبالحياة الغربية اهمية عظمى بالنسبة الى تطوّر الفرد والعيلة .

وكان اسرع الناس تطورا خاصة المرأة اذا ما عملت عند الغربيين . اما العيال الفتيّة المقيمة في رساتيق المدن فقد اكتسبت بسرعة كليّة استقلالاً وشخصيّة تبعدان بها شيئاً فشيئاً عن حياة القبائل التي خرجت منها . اما الصعوبة الجدية للاندماج مجدداً بالقبيلة فهي التي تعترض الشبان البالغين الذين ذهبوا الى فرنسا ليشتغلوا في مصانعها وذلك بعد عودتهم منها على حين ان الكثيرين من ذويهم لا يتورّعون عن الذهاب للسكن في ضواحي المدن الكبيرة .

ولقد اثارت هذه التنقلات الداخليّة قضيّة صعبة في وجه حكومة المخزن لانها كوّنت حدثاً اجتماعياً لا سابقة لاتساعه .

ويبلغ عدد هؤلاء المدنيين الجدد زهاء السبع مئة الف في المدن الساحلية وكأنهم من الارياف والرعاة . واذ كان من الواجب ان لا تضرّ هذه الهجرة

بحياة السكان الاقتصادية وبالاوضاع الصحية والسياسية والطبيعية فقد شرعت الحكومة تهتم لايجاد حلول تحد من هذه المهاجرة نحو الشمال وذلك عن طريق تحسين اوضاع حرائة الأرض في الجنوب فاخذت تبذل مجهوداتها لتحسين حياة المهاجرين المادية : انها انتهجت سياسة تحسين المسكن عن طريق تحويل هذه المضارب رويداً رويداً الى احياء سكنى طبيعية — باستخدام اليد العاملة وبالعمل الثقافي والاجتماعي (فانشأت مدارس جديدة ومراكز طبية اجتماعية الخ . . .) وبايجاد تشريع اجتماعي اشد ملاءمة — وبتثقيف هذه الجماهير النازحة تثقيفاً مدنياً واخلاقياً . اجل انه لعمل كبير لن يقدّر له ان يتحقق استقراره الا في غضون ذريات كثيرة ، ويجدر بالملاحظة ان هؤلاء الكادحين الجدد يؤلفون شعباً سليماً من الوجهة السياسية . ولم تستغل منهم التعاليم المتطرفة الوافدة من الخارج الا عدداً قليلاً ، فالذي يبغونه هو العمل والخبز وبعض الرفاهة . ولا ريب في ان تطور البلاد نحو شكل اشد ديموقراطية يسير شيئاً فشيئاً ومن دون اصطدام بعقبات.

وقد اخذ القادة الذين اصبحوا موضع ثقة حكومة هذا الشعب الصغير الريفي يبذلون مجهوداتهم باتخاذ التدابير التي لا بدّ منها ليجعلوا شكل النظام المراكشي القديم اشد تماشاة للعصر ولينتزعوا هذه الجمهرة من عاداتها القبليّة التي ما برحت قوية وليغرسوا فيها مفهوم الامة الاجتماعي الحديثة فتحتشد هذه العناصر الشديدة التباين التي تؤلف الشعب المراكشي في السلم والتآخي .

ا. لوجنيسل

ROBERT MANTRAN et JEAN SAUVAGET : *Règlements fiscaux ottomans.* 140 pp., (avec Index et bibliographie). — publié par l'Institut français de Damas. — Adrien - Maisonneuve — 11, Rue Saint - Sulpice. Paris (VI^e^) 1951.

يشتمل كتاب الاستاذين منتران وسوفاجه على مستندات جديدة لم يسبقا اليها وذلك بصدد حياة الولايات السورية الاقتصادية في القرن السادس عشر .

ولم تنحصر فائدته بالشؤون الاقتصادية فقط وانما قد تمّت الرسوم الاميرية عن مجمل حياة الشعوب السورية الاجتماعية من فلاحين ومدنيين وكشفت عن الشكل الاداري وعن مختلف الاجناس والمذاهب وضروب حرائة الفلاحين والمنتجات الصناعية والعوائد الدينية وطرقات النقل والتجارة في المدن والطبقات

الاجتماعية الخ ... ولا يسع مكتبات المؤرخين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين الا ان ترحب بهذا الكتاب كل الترحيب .

اجل انه لتاريخ وجيز يحدثنا بالارقام عن حياة العهد العثماني الجميل ويمثله بشكل لا شك انه يبعث الارتياح في نفس علماء الاحصاءات المعاصرين .

وتظهر الرسوم الامرية دقة الادارة العثمانية وعدم تناسقها في آن واحد لانها كانت تختلف بعضها عن بعض بحسب الولاية لكون السلطة كانت تحترم آنذاك كل الاحترام التقاليد الموضعية وتماشيها بكل مرونة .

اما جميع تلك الانظمة فلم تكن مستقرة بل كان كل سلطان يمرها بطابعه فيلغي منها ما يريد ويضيف اليها الجديد من عنده . والذي لا مندوحة لنا عن اخذه بعين الاعتبار هو ان الدين كانت له كلمته ليقولها حتى في الامور الغريبة عنه . وفي سبيل تعزيز تلك الانظمة كان السلطان يعلن انطباقها على الشريعة القرآنية اما اذا اتفق له واراد ان يلغي منها شيئاً مما اقره سلفاؤه فكان يقول عنه انه ابتداع جديد آثم . اجل انه لمظهر ان حمل على شيء بالاقل فانه يحمل على تصوير مبلغ سيطرة الشرع القرآني الشاملة على حياة الجماعة العثمانية .

وزد على كل هذا فان الكتاب يشتمل على مراجع عدة مفيدة . وفيه ملحوظات على هامش النص هي من خير الذرائع القيمة في متناول العلماء الذين يهتمون بعض الاهتمام لماضي الشرق . ولقد اوقظ فينا الكتاب ذكرى ذلك العلامة المنقب الذين لم تهن له عزيمة الا وهو جان سوفاجيه الذي لم نقرأ ما اطراه به من ثناء استحقه الاستاذ مترانن في توطئته له من دون ان نشعر بتأثرنا عليه .

ا. لوجينسل

فن

CHARLES HANIN : *Algérie... terre de lumière*. gr. in 8° de 336 pp. sans jaquette avec des dessins de S. Hanin et de nombreuses illustrations h.-t. en similigravure. Paris, Alsatia. 1950 — 750 frs.

اننا نقع في هذا الكتاب على وصف ادبي محض الطابع بكل معنى الكلمة للاماكن الاثرية والتاريخية واشهر مشاهير الجزائر . وهذه الصفحات التي تحاول بعث الحياة في ماض غامض صاخب واستجلاء مستغلق اوضاع

حاضر غير مستقر كانها تهيب بنا قبل كل امر اخر الى زيارة البلاد. ه. ش.

PIERRE FROMENTIN : *16.000 Kms. à travers l'Afrique*. in-8° 248 pp., 16 pp. de similigravures et 1 carte. Paris, Plon, 1951.

مدينة الجم ، الرأس ، عبور ١٣٢ سابقاً جميع افريقية من الشمال الى الجنوب على ٤٢ سيارة ، انقضاء سنتين في المفاوضات لاجتياز عشرة حدود ، واعداد المحروقات ، كل ذلك هو المغامرة الرائعة الرياضية التي قصت علينا بشكل مفكرة يومية .

انها لمرجع مع ما يتعلق به من شعر ودراسة شعوب ، وهزل ، وصداقة ، ودين ، وصفوة القول انها دراسة عميقة شيقة للجغرافية الانسانية . ه. ش.

Y. et E.-R.-LABANDE : *Rome*. 246 pp., 222 héliogravures, couverture héliochromie d'après une aquarelle d'yves Brayer. Paris, B. Arthaud, éditeur — 1951, 17×23 cms .

ان هذا الكتاب الجديد الذي يتناول بالبحث « رومة » وان كان ليس كتاب ذكريات تاريخية او دليلاً اثرياً دقيقاً استوعب كل شأن من الشؤون فهو لا يشبه في شيء اي كتاب آخر كان .

وانه لكتاب لم يفته منظر من المناظر الا تناوله فقد عدّد روابي المدينة الخالية التي توهج بضروب الجمال العديدة رابية فرابية والتي تأخذ بتشاعر النفس في الوقت نفسه ، اذ ان الحياة الروحية تظهر غالباً زاهية كل الزهو امام اعيننا من خلال القناع الخارجي .

للكتاب توطئة عن لون روما . وبعد ذلك مقدمة اخرى تتناول لمحة تاريخية وجغرافية عن شعوبها . اما نموّ المدينة الطبيعي فكان الصورة المشبعة في تنسيق فصول الكتاب المتتابعة . فقد احتلّ البلاتن رابية روما الام والكابيتول اللذان يقومان كانهما رقيبان يشرفان على انقاض الفورم — الحنوان المفككان الرازحان تحت اعباء التاريخ — المقام الاول. وجاء الفاتيكان الذي يمتد على جانبه حي البرغي Prati الجديد في ختام الكتاب موقظاً لدى الكثيرين من حجاج السنة المقدسة ١٩٥٠ بعض الذكريات العظيمة .

وعلى طول الطريق التي تنساب من حدائق البلاتن الى كنيسة القديس بطرس صور اتقن صنعها تزيد في دقة الكتاب. وان العين لترتاح اذا ما

توقفت عند مشهد عديد من مشاهد الفورم مستجلية وفرة مآثر كبار رجال الفن. والمدينة لا شك في انها من اعظم مدن الدنيا بتنوع اثارها التي تقع عليها العين من بين جديد وقديم .

وغلاف الكتاب يعطينا صورة من صنع ايف برير (Yves Brayer) تثير الذكريات ... ع . خ

R. Pottier : *Le Sahara*. 190 pp in-8°, orné de 150 héliogravures, couverture aquarelle de R. Pottier et une carte. Arthaud. Paris-Grenoble. 1950.

يشبه هذا الكتاب في شكله دليل السياحة ، وهو نشتمل بعد مقدمة من النصائح للمسافرين على ثلاثة فصول حول وسيلة السياحة في جانب الجزائر يليها ثلاثة فصول اخرى بصدد واحات المقاطعات في جنوب كولومب باشار وغواردايا ووارغلا ومن ثم الخلاصة وهي لمحة حول مستقبل الصحراء .

وتؤلف المعلومات التي يشتمل عليها بصدد حياة السكان وعاداتهم وبشأن تاريخ هذه السنوات الاخيرة من حيث ضبطها دراسة حزيّة بلغت النظر فهي توطئة من خير التوطئات لمدنية الصحراء التي ما برحت في الواحات شبيهة بمدنية الرعاة باستخدامها لغة الواحات العربية نفسها .

وما قلب الصحراء أي هوغار وأدرار ... الا للسياحة والتسلق وللاستثمار ايضا . وقد خصص لهذا البحث مؤلف اخر بقلم فريزون ـ روش Frison-Roche مع التعليق عليه لدى الناشر نفسه فتبعث هذه الصور رغبة في القارئ بالسياحة توقظ فيه الذكريات اذ هي جميلة رائعة كالتي يصورها ارتو .

وليس بمقدوري الا ان اشير الى ما تمكسه اشجار النخيل على مياه الغوليا في رسوم مواطني السيدين مارمونيه (Marmonnier) وريجو (Rijaux) وكشان الخط الكبير الشرقي في رسوم الدكتور اندو (Andoux) التي تضم في اطارها رسم امرأة زنجية من العبيد : فيا لها من بساطة داعية الى الاعجاب في هذه الخطوط وهذه الكتل من الظلال المشار اليها باثر وجود العبدة الوضيع وهي كذخيرة ساذة في طريق الاضمحلال .

هنري شارل

Edouard Schuré : *Sanctuaires d'Orient. Égypte. Grèce. Palestine.* — in-8°. XII — 136 pp. Librairie Académique Perrin — Prix 660 frs. — Paris 1953.

طبع هذا الكتاب للمرة الاولى سنة ١٨٨٩ . اما هذه الطبعة فالسابعة والعشرون . ولئن ظلّ مستمرًا الاقبال عليه فلكونه لم يكن بيانًا للسياحة لتبلى جدّته ، وانما هو سفرة روحية وحج للعقل والخيال والحبّ لانه قد احتك باديان مصر القديمة وبوذان الاجيال الغابرة والاراضي المقدسة وتدبّرها بالتأمل . ويشتمل هذا الكتاب تحت شكل مقدّمة على بعض نظرات في قيمة الاسلام . ولكنه ما برح على شاكلة كل خلط بين شتى التعاليم المتباينة الاصل التي يصعب التوفيق بينها فلذلك كان المؤلف سطحيًا في هذه المحاولة .

اجل لا بد للمرء الحكي يقوى على فهم الاديان الغريبة عنه من ان يعيش احدها ، اما المؤلف ، فعلى ما يبدو ، لم يتفق له ذلك وانما قد اتسم بسمة عهده المتصرم ليعتقد انه متحرّر بمحاولته ضرب التعليم القائل بقدرة العقل الانساني على معرفة كل حقيقة والتعصب الاكليريكي بعضها ببعض من دون ان يشعرنا لماذا هما على خطأ .

ولقد اعترف المؤلف مخلصًا بانه لم يرَ كيف يكون بالاستطاعة ان يتم مركب جديد من جميع هذه « الايحاءات » التي التقطها من حول البحر المتوسط الشرقي . والواقع انه لم يأتِ الا بما استشعره ورجاه فاعرب عن هذا الرجاء .

ولسنا نحن الا على شاكلته في هذا الرجاء وانما رجاؤنا في النور والمحبة اللذين لا يمحقان لذا اللثام عنها الا بتعميق ايماننا الحي وتمسكنا الكامل . ه.ش.

H. Harrer : *Sept ans d'aventures au Thibet.* — in-8°. 15,5×21 cms; 270 pp. 40 héliogravures h.-t. sous lisense en couleurs, avec une carte vue cavalière du Thibet Sud. — B. Arthaud. Paris. 1953.

هارير رجل نمساوي من غراتز (Gratz) ومن متسلقي الجبال قد تخصّص بذلك على سفوح الايجر (Eiger) مصالية وهو بطل من ابطال التزلج ووقع عليه الاختيار ليكون في عداد البعثة الالمانية التي عهد اليها باكتشاف طريق جديدة للوصول الى نانجا برباط (Nanga Prabat. 8114) . واذ دهمته الحرب بالهند فاعتقل بالسجن قام برحلة فعل يدافع طبائعه الجبلية فعمد الى الهرب ثلاث

مرات واجتاز مرتين سلسلة جبال حملايا وقطع ١٠٠٠ كيلومتر في اكام شائع تنغ الوعثا. واتخذ مقرًا في لاسا (Lhassa) وتمرس باعمال الادارة التيبتية وحظي بثقة دالاي — لاما (Dalaï - Lama) وصداقة كل الشعب.

ويجد غواة المغامرات فيه جميع ما يرتاحون اليه ويقع المولعون بدراسة خصائص الشعوب وكل الذين يعنون بالانسان على مستند نادر قيم كما يصادفون لديه خلقًا جميلًا ليتخذوا منه صديقًا لهم.

والرسوم الرائعة عنده ان هي الّا مستندات باعثة على الاعجاب لانها رسوم فنيّة ورسوم علم خصائص الشعوب. وهذا الكتاب لا يسلمنا مفتاح المغامرة فقط فان صوره الخلّابة كفلم حقيقي يدور امامنا تجعلنا نعايشها. ه.ش.

Le Louvre, La Nuit. — 15×19,5 cms. — fait en collaboration par Marcel Aubert, André Parrot, Pierre Verlet, Pierre Devambez, Jacques Vandier — Paris, B. Arthaud.

منذ وضعت الحرب اوزارها شرع اللوفر يفتح ابوابه بعد الظهر. ومن الساعة ٢١ الى الـ ٢٣ من كل يوم جمعة تستقبل خمسة فروع للنحت والمآثر الفنية غواة زائري تحفها التي تتدفق عليها الانوار الاصطناعية روعة اجمل من روعتها في النهار. ويتولى خمسة اشخاص من كبار الشخصيات ارشاد الزوار في فروعهم الخاصة بواسطة بيان غزير المادة يوضح تاريخ التحف الرئيسية ومزاياها. اما صناعة الايقونات الحفرية فتتمثل في عناصرها الجوهرية. ويسعنا بنظرة واحدة ان نتابع بكل سهولة عن طريق الذكرى فنّ صناعة التماثيل في العالم وعلى ممر العصور من عهد السومريين الى المصريين فاليونان فالرومانيين حتى القرون الوسطى والعصور الحديثة. اما الرسوم التي في درج الكتاب فليست دليلية فقط وتلبي رغبة المصوّر الفنّان ليمهر في اخراج الكثير من مآثره الرائعة بل تجعل من هذا الكتاب التام دليلًا ومصنفًا فنيًا. ب. ا.

Fosco Maraini : *Tibet secret*, in-8° carré de 316 pp., orné de 68 héliogravures. Collection « Exploration ». Arthaud. Grenoble — Paris, 1952.

لقد اثارت بلاد التيبت في كل آن وآونة غريزة حب الاستطلاع والاهتمام لدى الرواد لسبب عزلتها الجغرافية في قلب آسيا ووراء حواجز جبلية هي من ادهش مفاتن الكرة الارضية.

وجلّ ما كنا نعرفه عن تلك البلاد كان مقصوراً على ما كتب عنها في اثناء الرحلات السريعة اليها .

ويجد علما. خصائص الشعوب في هـذا الكتاب الذي ألفه احد زملائهم الذي تعم على السيد ج . توتشي الاختصاصي بالتيبت والذي ساعدته صور جميلة وليدة قريحة رسام ماهر يخوّلهم اجرا. مقارنات علمية حقيقية . والفهرست المسهب ونبت المراجع هما من خير الذرائع التي تقدم لهم المساعدات القيمة .

وهذا المجلّد هو في متناول الجميع بطريقته البسيطـة ومراجعه والريبورتاج الرائع الذي ترجمته بانشا. جذاب جوليت برتران Juliette Bertrand . ه.ش.

GEORGES MARÇAIS et LOUIS POINSSOT avec le concours de LUCIEN GAILLARD : *Objets Kairouanais, IX^e au XIII^e siècle.* — grand in-4°.— Notes et Documents, XI, fasc. 2 de la direction des Antiquités et Arts de Tunis ; pp. 367 à 596, avec 54 pp. d'index des objets, noms de lieux et de personnes, 138 fig. et LXIX pl. hors-texte. — Tunis et Paris 1952.

ها هوذا لدينا الجزء الثاني من المؤلف الاول واعني بذلك ما يتكلم عن الزجاج والفخار والخزف . أما الخلافات ودراسة الزخرف ووصف اجزائه واللوحات المصوّرة الخاصة بكل منها فستكون موضوع دراسة مجلد آخر . ويشتمل كل موضوع على دراسة اصل الاشياء المعروضة وعلى وصف مفصّل مع المقارنات التي تلقيها في الذهن . وثمّـة بضع صفحات للخلاصات تلفت النظر الى الابقا. على استخدام اشكال وزخارف قديمة في الصناعـة اليدوية العصرية : كضروب اطرزة اصلها مصري وسوري او من بلاد ما بين النهرين وقد ساهمت المدنية الفاطمية في نشرها . هنري شارل

J. L. MIEGE : *Le Maroc* ; in-4° de 230 pp. et 170 héliogravures sous couvertures en couleurs avec une carte en fiscuse. Collect. « Les Beaux Pays ». Arthaud — Grénoble — Paris, 1952.

يعجبنا في كتب هذه المجموعة وفرة رسومها الجميلة وتنوّعهـا وقد وضع معظمها السيد جاك بلين (Jacques Belin) .

ولسنا نستغني عن امتداح نصوص المقدمة التي تشتمل على خلاصة جغرافية مراكش وتاريخها واقتصادياتها . اما بقية الفصول فتتناول المدن والمناطق الشهيرة من كازا حتى جبال الاطلس وتمرّ بفاس ومراكش .

ان الملحوظات المتعلّقة بالسياحة وعلم الآثار واجناس الامم التي سيّتبهـا

للمؤلف البنايات والمناظر المختلفة اخذ بعضها برقاب بعض كانها قد انتضدت تنضيداً رائعاً كصور الكاليدوسكوب التي تتعب الناظر في تبيّنها .

وانه لمن الحيف ان لا تكون هذه المعلومات اشدّ تنسيقاً ... وعلى كل ان السائح وعالم الآثار والمؤرخ وعالم طبقات الامم يجد في مطالعة هذا الكتاب الفائدة والمتعة . ه. ش.

MAURICE RICORD: *Croisières en Méditerranée.* — 17,3×22,7 cms.: 128 pp 149 photographies. B. Arthaud — Paris – Grenoble.

ليس هذا الكتاب دليل رحلات واسفار . وانما ربما كان مرشداً وبياناً للمشاهد والابنية الاثرية التي تكوّن روعة البحر المتوسط واهميته ، فهو مجموعة انطباعات وذكريات وصور وملحوظات فنية وايحاءات خطته يراعة صحافي مثقف ثقافة جامعيّة مكينة قام حتى اليوم بمئة وثماني وثلاثين سفراً بحرياً وبرحلات عديدة في البلدان التي يُحيط بها « بحر المفاجئات » للدراسة والبحث .

ومجرد تعداد عناوين هذا الكتاب يؤلف خريطة البحر المتوسط : من ساحل بروفنسه الى كورسيكه فسردينيه فالمحطات الايطالية في البحر التيراني وطبقلية واسبانية القائمة على البحر المتوسط فافريقية الشمالية فالتطواف في الصحارى التي تشوقنا الى زيارتها فالمحطات الليبية والتطواف في البلاد اليونانية تطوافاً تؤذنيّاً فالمحطات التركية والسورية والاراضي المقدسة والسفر الى الجزائر الايونية وبحر الادرياتيك والسفر الى مصر من منارة الاسكندرية حتى سد اسوان . فان المؤلف لم يهمل مشهداً من مشاهد البحر الابيض فكتابه مجموع تاريخي وجغرافي ومجموع لتاريخ الفن لم يطّرح منه الشعر ولا الخيال اللذين احتلا مقامهما بين تعليق اقتصادي وسياسي وخاطرة ادبيّة وفنيّة. والكتاب يتجه الى كل رائد من قاطني ساحل البحر المتوسط والى كل جوابة خبير او الى كل سائح مقيم في خدعه يتوق الى تجواب مخيّلته .

وتزيّن هذا الدليل للاسفار والرحلات ١٤٩ صورة شمسية اختيرت من افضل المجموعات العصرية . اما هذه الطرقات المختلفة فلا تضع في متناولنا مشهد البحر المتوسط العام فقط بل توحي الينا في كل سانحة اموراً لم تطبع في كتاب فريدة في نوعها مفيدة في فنها . ب. ا.

Collection HÉLÈNE STATHATOS — *Les bijoux antiques*, par PIERRE AMANDRY. — in folio, 150 pp. 54 pl. 80 fig. — Strasbourg, 1953. — En dépôt chez l'auteur, Institut d'Archéologie de l'Université de Strasbourg.

هذا الكتاب الذي استوجب نفقات كثيرة هو واضح الفائدة الفنية والعلمية فالسيدة هيلانة ستاتوس لم تختر مما يعرضه بائعو التحف القديمة اجمل الجواهر واكثرها دلالة على الماضي فحسب بل حرصت في الوقت نفسه — في اثناء جمعها القطع التي هي من جنس واحد وكان بعثرها الباعون — على اعادة تركيب الكنوز وتحديد مصدر كل منها على رغم ما في عملها من صعوبة حيال المنقبين السريين الذين يغذون السوق بالتحف القديمة . فمنذ عشرين سنة (١٩٣١—١٩٣٥) تكونت مجموعة الـ Chalcidique عن طريق شرائين وهي تشتمل على ١٦٧ قطعة مقدونية من العصر الحديدي (C. III. pp. 35-72, pl. XI-XXIX) وهذه التحف التي عثروا عليها للمرة الاولى في مقدونية هي شهود « على حضارة توجد بعض اشكالها من الدانوب الى البيلوبونيز وفي ايطاليا » ولم تكن تعرفها الا عن طريق الاثاث الذي كانوا يضعونه مع رؤساء سكان ايليريا المائتين . وظل صناع الجواهر المقدونيين بعد ذلك طوال اربعة اجيال اوفياء لفنهم ، فاليهم منسوب صنع جواهر تنالها اليونانية (nn. 217-266) . على حين اننا لا نعرف الا النزر القليل من الفنون الصغرى في الاسكندرية وانطاكية وان صناعة الجواهر حتى القرن الثالث قبل المسيح لم تبلغ الا في روسيا الجنوبية . « ولذلك كانت المكتشفات في تنالها تقدم دفعة واحدة لشمالي بلاد اليونان ما يوازي اغنى الاثاث المكتشف في القرم وتمان » (Crimée et Taman) . واذ سبر السيد امانديري روحية المجموعة قرب بين تحف السيدة ستاتوس وتحف غيرها ربما برزت الى النور في الوقت نفسه ومن المخبآت عينها ودخلت متحف باناكي(Bénaki). ولقد بحث اصل كل قطعة بعد ان تابل المجوهرات والمفروشات الاثرية بالقطع التي عثر عليها في ميسان (Mycène) وارغوس (Argos) واولنت (Olynthe) وباتلي (Patéli) وفي مصر وفي بالسترينا وفتولونيا فيما يتعلق بالطراز المصور (filigrane) واخذ يناقش طابع كل منها . وثمة كتابتان على آنية بشكل ميسيني او هندسي بامضاء المأسوف عليه فرنان شابوتيه(Chapoutier) والدكتور فرومارك(Furumark) . اما المجموع فيدل على اطلاع المؤلف وصيابة حكمه .

ر . م .

A. T'SERSTEVENS : *Le nouvel itinéraire espagnol.* Petit in-8° carré de 432 pages de texte avec 1 carte et 32 planches en héliogravure noires SEGEP, Paris, 1952.

ان هذه « السفرة » هي طبعة جديدة من الدليل الاسباني الصادر عن بلون (Plon) ونفدت نسخه وقد نقّح برمّته وزيد عليه خمسة عشر فصلاً فتناول الاندلس وقشتاله (Castille) . ويوصف تيرستفن رائداً وكاتباً قصصياً وصديقاً كبيراً لاسبانيا لم يعجبها مرات عدة كسائح من غواة السياحة ولكن كمسافر حطّ عصا الرحال فيها وكعاشق لسحر فجرها الناعم فلذلك كان دليلاً مستحباً جداً . ومن ميزاته انه لا يُعنى بالعمارات والمناظر فقط بل بالناس واخلاقهم حتى اذا كان بمقدوره ان يحتكّ بهم لم يتورّع عن الاحتكاك بسكان المدن وسكان الارياف . ولقد احسن جدّ الاحسان في اختيار « كليشياته » وذلك بصرف النظر عن الموضوعات التي كان عليه ان يعانيها والتي عنّت له اتفاقاً ليجلنا اصدقاء للناس ومحبّين لامورهم . واننا لندرك لماذا يأسفون في فونتارابيه (Fontarrabie) وتفيض اعينهم بالدموع على تركهم ارض اسبانيا القديمة والاسبانيين ذوي القلوب الكبيرة .

هنري شارل

ANDRÉ MAUROIS : *Rio de Janeiro.* Images de Jean Manzon. In-4° carré de 46 pp. de textes et de 130 pl. en héliogravure commentées en 10 pp., avec 1 carte de Rio. Collect. de la France et du Monde. Nathan, Paris, 1951.

لئن عدت المآثر فهذا الكتاب الذي وصل الينا متأخراً هو مأثرة حقيقية اما فرضة الربو اعجوبة الدنيا فتستحق هذا الاخراج .

ومادة الكتاب على قصرها غزيرة وهي خفيفة طلية ، ففيه اللمحة والوصف والايجاز « الاجواء » المستحبة . اما رسومه ففي معظم صفحاتها موفقة جدّ التوفيق وتوضح تماماً وبدقة صافية — ما عدا اللون — جمال الطبيعة وقلة الاهتمام بنظافة مدينة كثيرة التناقض .

واننا لنتصفّح هذا الكتاب القيّم ونعيد قراءته بدون ضجر وملل . ويطيب للكثيرين من اللبنانيين ان يتعرّفوا بواسطته الى عاصمة بلاد يقيم فيها عدد كبير من ابناء وطنهم .

هـ. ش.

ALBERT CHAMPDOR : *L'Alhambra de Grenade*. Grand in 4° de 150 pages ornées de 128 photogravures d'Albert Guillot dont 13 en couleurs. Collection « les Hauts Lieux de l'Histoire ». Albert Guillot, Paris, 1952.

بدأ البرت شامبدور بيارر رسومه الملونة بلون واحد فني وبقوتها يجعلنا نعيش كفاح الصابات مظافر ضد ابي عبدالله . فبذا هو اصل الموضوع . ليبدأ وصف القصر الشهير الذي انشأ عزة غرناطة آنذاك وما هو بالوصف الذي يكوّن لائحة مصطلحات علم الاثار الاسلامية الجافة وانما هو بعث لتاريخ مفعم بالزهو والشعور بماض مجيد وبالاهواء والعظمة والجمال يمتّ الى هندسة الاقواس والحياض وتلبيس الابنية والكتابات على الرخام .

وتثير الصور المنقوشة باللون الاسود حافز الاعجاب ... وحسبنا الاشارة ما عدا شتى الكليشيهات المحفوظة في ردهة الاسود الى صور ميرادور دراكسا « Mirador de Daraxa » بدقائقها المفصلة تفصيلا وافيا حتى في الصفوف الاخيرة من الرسوم . ولئن جرأنا على الاشارة لنقص في تنقيح الالوان تنقيحاً يزيل بروزها المتناسق فان بريق خنادقها ليوأم كل المواءمة اجداء سيارانيفادا « Sierra Nevada » الشفّافة .

وفي الوقت نفسه الذي يطلعنا فيه البرت شامبدور على آثار غرناطة وتاريخها بما لديه من معلومات واسعة يمدقها علينا بغزارة يخبرنا عن الحضارة الاسلامية وفنونها وانظمتها وايمانها وتعصبها المحجف وشجاعتها واللذة الصادرة عن هوانها وفنها . وانه ليذهبي بنا المطاف الى نزهة ترافقنا الكآبة في حدائق الجينارالايف « Généralilfe » ولكنها نزهة تنسجم انسجاماً شديداً مروعة في ترنيمة عذبة تضاهي ترنيم المياه المتدفق في تلك الحدائق . وقبل ان نذهب الى غرناطة مستبقين فجرها لا بدّ لنا من الحرص على ان لا نفقد شيئاً من تذوقنا لكتاب البرت شامبدور .

هنري شارل

ARNOLD J. TOYNBEE. *Le Monde et l'Occident*. Traduit de l'anglais par Penrose Du bos. précédé de la *Pensée historique de Toynbee* par Jacques Madaule. 200 pp. in 8°. Desclée de Brouwer, Paris 1953.

مهما يكن وضيعاً الدور الاجتماعي والعالمي الذي نقوم به فاننا لا نعدم من ينذرنا عن تصرفنا السيء او عن اهمالنا فنقول لقد علّمونا تعليماً سيئاً واعدّونا اعداداً عاطلاً .

وهو نحن ذو نقوم وجهاً لوجه امام الصراع العنيف بين مدنيتنا الغربية والعالم . فجاء في ختام تعليق الناشر في المقدمة : « ما كان يوما يتطلب من المسيحيين ان يفكروا بمسؤوليتهم كمسيحيين كما نحن عليه اليوم ». فإن اقل ما يستحقه كتاب ارنولد توينبيه هو ان يلزمنا بان نستشعر هذا الاستشعار .

وتضع مقدمة ج. مادول بقوة ووضوح هذه المحاضرات التي اذاعتها الاذاعة البريطانية ، بين مجموعة افكار المؤرخ الانكليزي ، وينتقد ايضا عنده ما يدعوه نزعات التبني (adoptianistes) فيما يختص بالمسيح بيد ان ذلك ليس الا تحفظاً بسيطاً حول بعض فقرات الكتاب التي يستطاع تأويلها تأويلاً مناسباً على ضوء بعض اقوال القديس بولس بصدد المسيح في ختام هذا الكتاب الذي لا يضعه مع بعض زعماء الانسانية كإيزيس (Isis) وميثرا (Mithra) وبودهيساتفا (Bodhisattva) : « ان المسيح قد تجرّد من سلطانه ومجده الالهيين ليتجسّد ويحتمل الموت على الصليب لاجلنا » .

وانه لربما كان ذلك تناقضاً في نظر الماركسيين . اما توينبيه فيضع امامنا هنا تأيداً من اشد تأيداته وضوحاً عندما يطلب الينا ان نعتبر الشيوعية — على شاكلة الاسلام — وهو اليهودية بالاصل الا انه انكر مجيء المسيح الذي تنتظره اليهودية — كأحد انشقاقات المسيحية الشرقية ، اذ ليست الا مجموعة افكار حول الاخاء الشامل التي تحوّلت الى افكار علمانية محضة وقد استمد الشرق التعبير عنها من الغرب مع ما للغرب من الطرق الفنية ليعيش منها ويحاربه بها .

وفي مثل هذه الظروف فان الحظ الوحيد لانقاذ حضارتنا يقوم على استئناف العمل الروحي كما فعل في الهند والصين نوبيلي (Nobili) وريتشي (Ricci) وشال (Shall) او ان يرتكز على اتجاه الضمير المسيحي الرسالي الحالي كما يبدو في اعمال الكنيسة اليوم كما سنتها البراءة (Rerum Ecclesiae) لا ان تستند الى الافكار والآراء الضيقة التي كانت من اسباب اخفاق انتشار ثقافة العصور الحديثة ولا الى دين تحوّل علمانياً بعلومه فيستند الى الفن والانظمة والقوانين وقد قُطعت صلتها بالغاية السامية التي لاجلها كُوّنت . وعلى الغرب ان لا يقدّم للعالم صورة مارقة عن المسيحية لثقافته وانا من واجبه أن يجرّد المسيحية التي انعشت القوانين والانظمة لا من شوائبها فقط بل مما الحقه بها الغرب من

زوائد تصدم صدما عنيفا الحساسية الاسيوية .

فالبشر الذين يظهرون حساسية شديدة بالمفاهيم الشيوعية التي انفصلت عن القدس المسيحية يرضون بان يلتقوا مع الغرب اذا استندت علومه الى ناموس المحبة ليغذوا منها الشعوب النامية دائما في آسيا .

وهذه هي الحالة الوحيدة التي تستطيع ان تنقذ حضارتنا من توتر اعصابها القاتل ، وتعيش . وقد انشأت وحدة من العالم رفيعة المستوى الانساني ؛ وهذا هو الامكان الواحد الذي يقدور التاريخ ان يجعلنا نتوقعه كما استشعره ارنولد توينبيه . وتال ج . مادول في ختام مقدمته يجب على المسيحيين ان ينطلقوا من هذه النقطة وان لا يتراجعوا امام هذه المهمة العظيمة التي هي جزء من واجب وجودهم في العالم والتي ليس بالاستطاعة باية حالة كانت تأجيلها لان الساعة الراهنة تتطلب انجازها بالحاح .

هنري شارل

العلوم الاثرية والتاريخ

C. W. Céram : *Des Dieux, des tombeaux, des savants.* In-16, 438 pp., 40 pl., fig. dans le texte, index, 2 cartes. Paris, Plon, 1953.

يتقدم علم الآثار بوثبات متباينة وهو كالتاريخ لا يخضع لمبداء الضرورية . فدور الشخصيات القوية والعواقل العبقريين فرموق فيه . ولهذا فان ثمة موضوعا « لرواية علم الآثار » ، ذلك هو الكتاب الذي يبسطه امامنا الاستاذ سيرام «Céram» وهو على نمط كتاب « مكافحو الجراثيم» (Chasseurs de microbes) الذي رسم فيه الطبيب الاميركي بول ده كرويف (Paul de Kruif) لوحة المكتشفات الجرثومية الباعثة على الاسى .

اجل ان بحث هذه المكتشات الاثرية الواسع مرده الى التاريخ اكثر منه الى الخيال بحسب آراء واقوال رجال الطليعة فينكلمان (Winckelmann) وشامبوليون (Champollion) ، وبوتا (Botta) وليار (Layard) وشليمان (Schliemann) وستيفنس (J. L. Stephens) وتومبسون (J. E. Thompson) وغيرهم في اراضي الـ Campanie والتروادة (Troade) والكريت (Crète) ومصر وما بين النهرين وغواتيمالا والمكسيك .

وبيّن المؤلف في الصفحتين ١٧٥—١٧٦ السبب الذي لم يتصد من اجله الى حضارات الانكاس (Incas) والصين والهندوس (Indus) والحثيين ، واختيار الحضارات التي كان اكتشافها حدثاً يقرب الى القصة الخيالية الحقيقية . ويستند مؤلفه الى معلومات واسعة وراسخة مستمدة من الآداب الالمانية والانكليزية وتزينه خرائط ومراجع وفهرست تساعد للبحث عن المعلومات والمقارنات الضرورية . اما زخرف الكتاب فذو معنى عميق لا ينطبق كل الانطباق على موضوعه . وكان بالاستطاعة بدون اجحاف البتة ان يفضّل الكلام على نابوليون وحملته على مصر بدلاً من فينكلمان بيد ان وجهة نظر المؤلف هي وجهة نظر عدد كبير من علماء الالمان التي لها ما يبرّرها . وعلى كل فالظاهر ان الكتاب لا مكان فيه للتحيّز لانه لم يلمع الى دور ماريت (Mariette) فقط بل الى ما قام به براسور ده بوربورج (Brasseur de Bourbourg) باكتشاف كتابات دياغو ده لاندا (Diégo de Landa) . ولئن لم نرَ اسم ماري (Mari) في الفهرست فان الملحوظة الاولى في الصفحة ٣٩١ تدعونا الى انزال تاريخ عهد حمورابي من ١٩٥٥—١٩١٣ الى ١٧٢٨—١٦٨٦ بعد ان اكتشف « علماء افرنسيون مؤخراً في مريام (كذا) ، الفرات الاوسط ، اضبارات من المراسلات بين حمورابي وساماي — اداد الاوّل ، ملك آشور » .

فكم من موحيات اثرية وكم من حماة علم سيوقظ هذا الكتاب بموضوعيته وطرافته .

ر. م.

RACHEL L. CORSON : *Cette mer qui nous entoure.* In-16, 275 pp. — Paris — Librairie Stock, 1952.

يشتمل هذا الكتاب القيّم على دائرة معارف صغيرة بصدد ما هناك من طرق واساليب لمعرفة البحر ومشاكله . وهو في متناول الجمهور . فانه بيان وتبيين حقيقيان . فكم من القرّاء الذين لم يعرفوا البحر الّا من سواحله او انهم تأمّلوه بدون انتباه من على ظهر احدى السفن . فاولئك وهؤلاء طبعاً لم يفكّروا بسعة اسراره وتنوّعها ، هذه الاسرار التي يحجبها جلاله الصامت المقفر في الظاهر . وانهم يشهدون مع المؤلف المطر الباعث على الدهشة في غضون الاجيال المتعدّدة ، ذلك المطر الذي كوّن البحر على سطح كرتنا منذ مليارات

السنين . ومن ثم يتصدى المؤلف الى اشكال الحياة في مياهه ليفودنا من ذلك الماضي السحيق من على سطح المجاري المخددة التي تعج في بعض الاماكن بالاحياء ، ليبيد بعضها بعضا بدون انقطاع على قدر ما هي آخذة بالازدياد ، الى التجاويف العجيبة القائمة في السهول تحت الماء والى الاعماق والهوات الهائلة المخيفة المظلمة في قعر المحيط . وثمة ايضا مدهشات اخرى تعيد الينا الذكرى ان البحر الذي يغطي القسم الاكبر من كرتنا يأتي ، اكثر من الارض البارزة ، باعمال تؤثر على تغيير الاحوال الجوية وبانقلابات تاريخه الكبرى منذ ابعد العصور السحيقة وهو يتأهب لينجز العمل نفسه في المستقبل .

وانهم وقد انتابتهم رعدة في الحقيقة ضيقة سيعرفون انه البحر في صعود مستمر ليغطي يوماً كلّ وجه الكرة او جزءا منه ، ولربما اغرق بعد بضعة عقود من آلاف السنين (وهي برهة يسيرة بالنسبة الى تاريخه) عدداً من المدن التي تكتظ اليوم بالسكان وعدداً من السهول التي تؤمن لهم حياتهم .

ولقد وضعت هذا الكتاب احدى النساء العالمات المولودات في اميركا وكتبته خاصة لأبنائها وطنها . واذا لم نجد فيه مقاماً مرموقاً للبحر المتوسط الغني بالذكريات التاريخية والمثير غريزة حبّ الاستطلاع لدى علماء المحيطات ، ولا لبلدان الشرق التي تحفّ به ، فلا يدعونا ذلك الى الاستغراب . وعلى كل فقد اشارت المؤلفة في الفصل الاخير من كتابها ، في الصفحة ٢٩٣ ، الى اولئك البحارة الاولين الجديرين باسم رجال البحر ، ألا وهم الفينيقيون ، الذين ربما بلغوا في اسفارهم الى الصين والى المحيط الهادي عن طريق الشرق ولم يتركوا لنا للاسف كتابة تنبئ عن اكتشافاتهم متذرعين بالحكمة التي ربما عمدوا اليها ليتلافوا عن قيام منافسين لهم .

ب. م.

فهارس

كتاب وقف اسعد باشا العظم

حققه وعلق عليه الدكتور صلاح الدين المنجد

دمشق ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م — ١٧ صفحة قطع وسط

واضع هذا الكتاب معروف بكتب تجتذب انتباه الطائفة المتعلمة اليها .

فهو يبحث في المكتبات ويدل للقراء بامانة نتائج ابحاثه ، وفي هذا الكراس نبش صك وقف اسعد باشا العظم وبيانا عن تلك الهبة الخطيرة ومعها تعليق قليل مهم وتوطئة تثبت في ذهننا ذكرى المحسن . ولا يسعنا الا ان نهنئ المؤلف ونشجعه ليتحفنا بالغزير مما تشتمل عليه مكتبات دمشق من الكنوز. ا.ع.خ.

فهرس المؤلفين والعناوين للكتب العربية الموجودة بالمكتبة العامة للحماية

نيابة التربية والثقافة

دار الطباعة المغربية – تطوان ١٩٥٢ ، ٦١٠ صفحات ، حجم كبير

اجل انه عمل جليل وذو فائدة هذا الدليل الذي يشتمل على اسماء جميع الكتب المطبوعة وهي موجودة في مكتبة الحماية الاسبانية بمراكش . وهذا الدليل قسمان الاول يشتمل على اسماء الكتب بحسب الحروف الابجدية والثاني يضم اسماء المؤلفين ويكشف لنا عن ثروة هذه المكتبة ثروة تروي غليل المتعطشين الى التنقيب . والذي نتوق اليه هو وضع دليل باسماء مخطوطات المكتبة نفسها وغيرها من المكتبات التي تضم كنوز مخبوءة لم يستفد منها المنقبون هواة العلم . وينبغي انا ان لا ننسى بعض الصور الشمسية التي زين بها الكتاب والتي أخذت من مخطوطات قديمة. ا. ع. خ.

RICHARD ETTINGHAUSEN: *Books Periodicals in Western Languages dealing with the Near and Middle East.* . Completed Summer 1951. The Middle East Institute in 4°. III — 111 pp. Washington, 1952.

تشير توطئة هذه المراجع الى مهمتها الابتدائية والى كونها قد اعدت «للابحاث الاولية» والذي يبعث فينا الاسف هو انها قد اهملت غالباً الفوائد التي تكون مشاكل مختلفة لتخولنا اعداد مستندات كاملة لاحد الموضوعات .

ومن الامثلة على ذلك : اننا نفتش عبثاً بين المجلات الشهرية عن مجلة الدروس الاسلامية الباريسية التي لا يستغني عنها كل متوغل دراسة الاسلام دراسة رصينة في الشرقين الادنى والاوسط ... كما اننا نبحث ايضاً من دون جدوى عن غودفروا — دمومبين (Gaudefroy - Demombynes) وكتابه التنظيمات الاساسية في الاسلام الذي هو من خير المؤلفات على وجه الاسلام .

ومما لا شك فيه هو ان الفقرة التي عنوانها « الثقافة » هي بالحقيقة شديدة الايجاز . فما من كتاب بالانكليزية او الانكليزية . فكان يقتضي لهذا الفصل عدد كبير من التبويب .

فلو قرأ طالب اميركي الفقرات الاربع عشرة فهل يفكر في عمل التثقيف الكبير الذي تحقق على يد المدارس والكليات والجامعات الكاثوليكية من بيروت حتى مادورا . وهل يفكر في اماني « معالج الثقافة الوطنية » للبلدان العربية ؟ ان ما اورده الاستاذ فاضل الجمالي في القضية التي قدمها في جامعة برنستون عن مدارس البدو الرحل في العراق كان بالاستطاعة ان تعد بسطاً للمشكلة .

ان المكتبات الاميركية على رغم وفرة ما فيها من المؤلفات ينبغي لها ان تكون كاملة . ونحن على انتظار لطبعة ثانية يقوم بها معهد الشرق الاوسط ، طبعة تكون اشد اتزاناً بصدد هذه المراجع التعريفية .

هنري شارل

اخبار العالم

اخبار دينية

القديس يوسف الطاهر : بعد اعلان قداسة يوسف الطاهر في ٢٩ ايار المنصرم صار عدد البابوات التي ثبتت الكنيسة قداستهم سبعة وسبعين يزاد عليهم سبعة طوباويين .

ثم في ١٣ حزيران احتُفل في روما باعلان قداسة خمسة آخرين وهم : بيار تاتل ودومنيك سافيو وماريا كروسوفيسا دي روزا وغاسباري دلبوفالو وجوزف بينالي .

مؤتمر رومة المريمي : كان افتتاح مؤتمر اتحاد الاخويات المريمية الاول في روما في ٨ ايلول وقد حضره من المشتركين في اخويات العذراء عشرة آلاف يمثلون ثلاثاً وستين بلدة . انشئت الاخوية المريمية الاولى في عاصمة الكثلكة سنة ١٥٦٣ انشأها الاب لويس اليسوعي الفلاندي مدة دروسه في المعهد الروماني . للاخويات المريمية في العالم كله اكثر من خمسين الف مركز .

صار الاحتفال بافتتاح المؤتمر المريمي في كنيسة القديس بطرس وبحضور الحبر الاعظم : وقد مرّ ستون سنة على قداسته من يوم تكرّس هو ايضاً عضواً في اخوية العذراء .

اعلان العذراء ملكة : في اليوم الاول من تشرين الثاني القادم يحتفل قداسة البابا بيوس الثاني عشر باعلان مُلك العذراء مريم : والعالم المسيحي بامره سوف يشترك بهذا الاحتفال تمجيداً لمريم ملكة السماوات والارض امّ ملك الملوك ربنا يسوع المسيح . ثم بعد ذلك سوف يكلل الحبر الاعظم هامة ايقونة لها تكرّم في معبد بورجير بتاج فاخر هو هدية قدمها العالم الكاثوليكي لمريم في هذه المناسبة ثم يمنح ناجاً ثانياً على رأس ابنها يسوع .

يعقب حفلة الاعلان مُلك العذراء مؤتمران مريميّان يُخصّص الاول بالبحوث اللاهوتية في العظائم التي صنعها الله في مريم وفي سموّ مقامها في الكنيسة جسد المسيح السري . والثاني يخصّص بدعوة الشعب الى تفهّم فضائل مريم ودورها الفعّال في النفوس لخلاصها وتقديسها . وينظّم في الوقت عينه في روما معرض دولي للكتب المريمية .

المرسلون في الصين الشيوعية : كان عدد المرسلين في الصين قبل استيلاء الشيوعيين عليها نحو خمسة آلاف لم يكن باقياً منهم بتاريخ ١ تموز الا مئة وخمسة وثلاثون وهم : اربعة اساقفة واربعة نوّاب رسوليين وستة وسبعون كاهناً واحدى وخمسون راهبة . ومن هؤلاء ثلاثة وعشرون في السجون وغيرهم منفيّون من خورناتهم وآخرون يقومون بالخفية بمهامهم الروحية وبعضهم مهملون يتصبّون على اعمالهم الكهنوتية بكل تحفظ وفطنة

مؤتمر بيروت بمناسبة السنة المريمية : طاف في لبنان فحال العذراء صنم من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية تحيط به الجماهير العديدة بمظاهرات باهرة تجلى بها صدق ايمان اللبنانيين الراسخ في قلوبهم رسوخ صخر جبلهم وتفوقهم ومحبتهم لمريم ملكة لبنان ارزته المجيدة .

في الساعة التاسعة ونصف من مساء الثلاثاء ١٩ تشرين الاول وصل الى مطار بيروت الدولي نيافة الكردينال انجلو رونكالي نظير بريك البندقية موفد الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر ليترأس رسميا باسم قداسته مؤتمر بيروت المريمي . وقد استقبله السلطات الروحية باجة عظيمة والسلطات المدنية بين المراسيم التي يستقبل بها رؤساء الدول . وبعد وصوله انتقل بين هتافات الجموع الى قصر الضيافة الذي أعدّ له في قصر الدكتور جوزف فغالي . ثم في مساء اليوم التالي وهو الاربعاء ٢٠ تشرين الاول الساعة السادسة مساء ترأس الاحتفال بافتتاح المؤتمر . اما اقبال الجماهير من المدينة ومن الجبل على الاشتراك في المؤتمر فما لم يشاهد قط لبنان مثله بعدد الزوار وتفوقهم ومظاهرات الابتهاج والحبة .

الاخبار العالمية

اهتمام الكتلة الاوربية الغربية في شكلة الدفاع : كانت فكرة انشاء المجتمع الاوربي الدفاعي آخر ما توصل الغرب اليه وعليه علق آمالاً كبيرة اقراراً للسلام العالم وتوطيده ازاء الدول الشيوعية المادية فاهتمت كثيراً واميركا بنوع خصوصي وجهدت في حمل سائر الدول الغربية على قبولها وتحقيقها لكن دون جدوى .

هاك لمحة عن منشأ هذه الفكرة :

في ١٧ ايار ١٩٤٦ وقعت بلجيكا وهولندا واللوكسمبورج على ميثاق دفاعي مشترك بعد ان تعهدت فرنسة وبريطانية العظمى بتقديم مساعدتها العسكرية لسنده اذا ما وقع هجوم على المتعاقدين : هذا ما سموه « Bénélux »

ثم في ٤ نيسان ١٩٤٩ نشأ الميثاق الاطلسي الشمالي « OTAN » : انضم اليه مع الدول الخمس المذكورة اعلاه سبع دول اخرى هي : الولايات المتحدة وكندا وايطاليا والبرتوغال والنروج والدانمارك وايسلندا .

لكن الكتلة الغربية بعد انتقال خط القتال الى الشرق بحرب كوريا رأت بانه من الضروري ان ينتقل معه خط دفاعها الى الشرق وانه من اجل هذا لا بد من اشراك المانيا في الاتحاد الدفاعي عن اوربة الحرة اي عن الغرب . فقاومت اذ ذاك فرنسة فكرة اعادة حرية التسلح من جديد لالمانيا وعرضت على الحلفاء الغربيين انشاء جيش اوروبي يُسمح لالمانيا الاشتراك فيه : هذا ما سموه المجتمع الاوروبي الدفاعي « CED » . اما حكومة لندرة فقد حبّذت هذه الفكرة لكنها رفضت الاشتراك فيه عملياً . وتمسكت الولايات المتحدة بتحقيق هذا المشروع تمسكاً شديداً وهددت فرنسة بتسليح المانية هي نفسها اذا رفض

مجلسها فيه . والمجلس الاوربي بعد تردد ومماطلة طال مداها رده رافضاً البحث فيه حينئذ تأثرت الكتلة العربية تأثراً شديداً من هذا الرفض وعمت في ايجاد مشروع آخر يقوم مقام المشروع الدفاعي العربي . . . وبعد احجية والتشاور قرّ الرأي على ان يجتمع في لندرة للمباحثة في الامر تسع دول هي : ايطالية وفرنسة والمانيا وبلجيكة وهولندة واللوكسمبورج وبريطانية العظمى وكندا والولايات المتحدة . وبعد عدة اجتماعات اتفقوا على نقاط عمومية اهمها اثنتان : اعادة السلطة المدنية تامها الى المانيا . ودرس الشروط الضرورية لتمكين المانية من التسلح من جديد .

اتفاق الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية في مسألة الجلاء عن قناة السويس : تم توقيع هذا الاتفاق في ١٩ تشرين الاول الحالي بعد ان دام هذا الاحتلال ٧٣ سنة .

مشكلة تريستا بين ايطاليا ويوغوسلافيا : كانت هذه المشكلة تُعَدّ من اعسر المشاكل حلًا واخطرها في اوربة وها هي قد انتهت بسلام لما ابداه الفريقان من الرزانة والمساهلة في التوصل الى الاتفاق المنشود وقد وُقّع الاتفاق بين ايطالية ويوغوسلافية بالتراضي نهائيًا في لندرة في ٥ تشرين الاول وهو يحتم بابقاء الحالة الناتجة من التقسيم الذي عقب الحرب على ما هي فتحتل ايطالية المنطقة الاولى بما فيها مدينة تريستا ومرفأها والمنطقة الاخرى تبقى ليوغوسلافيا .

BIBLIOTHECA ARABICA SCHOLASTICORUM

SERIE ARABE

Textes etablis par le Pere Maurice BOUYGES, S. J.

Tome I. — ALGAZEL, *Maqâcid al-Falâsifat.* (*en préparation*)

Tome II. — ALGAZEL, *Tahâfot al-Falâsifat*, ou « Incohérence des Philosophes », XXX + 447 pp. - Imprimerie Catholique, 1927.

Tome III. — AVERROÈS, *Tahâfot at-Tahâfot*, ou « Incohérence de l'Incohérence », XL+679 pp. - Imprimerie Catholique, 1930.

Tome IV. — AVERROÈS, *Talkhîç Kitâb al-Maqoûlât*, ou « Paraphrase du *Livre des Catégories* d'Aristote », XL+184 pp. - Imp. Catholique, 1932.

Tomes V-VI-VII. — AVERROÈS, *Tafsîr Mâ ba'd at-Tabî'at*, ou « Grand Commentaire de la *Métaphysique* d'Aristote ».

Tome V.1. — (NOTICE). CCXVII pages. - Impr. Catholique 1952.

Tome V.2 — Livres petit ALIF, grand ALIF, BA', GIM. VIII + 472 + [24] pp. - Impr. Catholique 1938.

Tome VI. — Livres DAL, HE, ZAY, HHA, TTA. XVI + 762 + [34] + 4 pp. Impr. Catholique 1942.

Tome VII. — Livres YA' et LAM, et Table des Matières. XVI + 520 + [24] + (317) + 2 pp. Impr. Catholique 1948.

Tome VIII. — ALFARABI, *Risâlat fî-l-'Aql*, ou « Opuscule sur l'Intellect ». XXIV + 48 pages. Impr. Catholique 1938.

◆

فهارس المشرق العامة

تتناول المجلّدات الاربعة والاربعين الاولى

المطبعة الكاثوليكيّة - بيروت. ١٩٥٢. ٣١٢ ص. عني بنشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

Ignace-Abdo KHALIFÉ, S.J. — *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint Joseph.* Seconde série — Impr. Catholique - Beyrouth, 1952.

Pedro DIB, Docteur en Droit — *Essai sur une théorie des Mobiles en Droit Ḥanafite.* — Préface de Chouéri CAMMAM. — Imprimerie Catholique. Beyrouth 1952. - XVII + 416 pp.

اهدت الينا ادارة معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية الكتب التالية :

١ : المحاضرة الافتتاحية — الاستاذ ساطع الحصري

٢ : محاضرات في القانون المدني العراقي مصادر الالتزام غير العقدية ، والاوصاف المعدلة لآثار الالتزام — الاستاذ منير القاضي

٣ : محاضرات في القانون المدني اللبناني (آثار الالتزام) الدكتور صبحي المحمصاني

٤ : محاضرات في القانون المدني (حوالة الحق في قوانين البلاد العربية) — الدكتور شفيق شحاتة

٥ : مصادر الحق في الفقه الاسلامي — الدكتور عبدالرزاق السنهوري

٦ : محاضرات عن معروف الرصافي — الاستاذ مصطفى علي

٧ : » » جميل الزهاوي — الدكتور ناصر الدين الاسدي

٨ : » » حافظ ابراهيم — الاستاذ احمد الطاهر

٩ : محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء — الدكتور نجيب الارمنازي

١٠ : محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال الاستاذ عبد الرحمن البزاز

١١ : محاضرات في اقتصاديات الاردن — الاستاذ علي الدجاني

١٢ : محاضرات في التشريع الجنائي في الدول العربية الدكتور توفيق الشاوي

١٣ : محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي — الدكتور محمد يوسف موسى

١٤ : البلاد العربية منذ ظهور الاسلام — (خريطة زمنية)

١٥ : نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق الدكتور جميل سعيد